



العدد الواحد و العشرون • السنة السادسة • محرم - ربيع الاول ١٤١٧ هـ ق ١٩٩٧ م

المراسلات والاتصالات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:

❖ الجمهورية الإسلامية في إيران - قم . ص.ب: (٨٩٤ — ٣٧١٨٥)

❖ هاتف: ٧٤٠٢٩٤ فاكس: ٧٣٥١٧٩

محتويات العدد

○ كلمة التحرير

- ❖ من اقر بالذل طائعا فليس منا اهل البيت.....بقلم رئيس التحرير ٤

○ من آفاق القيادة الاسلامية

- ❖ الاستقامة على خط الامام الحسين(ع) في حركة الامام الخميني قدس سره

-ولي امر المسلمين آية الله العظمى خامنئي(دام ظله) ١٣

○ دراسات

- ❖ نظام العلاقات الاجتماعية العامة في مدرسة اهل البيت(ع)

- القسم الرابع.....السيد محمد باقر الحكيم ٢٣

- ❖ فاطمة الزهراء(ع) و مصلحة الاسلام العليا.....الشيخ فواد كاظم المقدادي ٧٥

- ❖ خطاب الاستنصار الحسيني(١).....الشيخ محمد مهدي الآصفي ٩٨

- ❖ ثورة ام و ثورة شعاع(٣).....الشيخ عيسى احمد قاسم (البحرين) ١٣٠

- ❖ منعطفات مهمة في تاريخ الاسلامي.....الشيخ محمد واعظ زادة ١٨٤

ترجمة: عباس الاسدي

○ من فقه مدرسة اهل البيت(ع)

- ❖ الامام الخميني(قدس سره) والفقاهة القائمة على عنصرى الزمان و المكان(٢)

-كاظم قاضي زادة ٥٩

ترجمة: عباس الاسدي

○ تحقيقات

- ❖ المصادر الشيعية لحديث «فاطمة بضعة مني»

-الشيخ محمد جعفر الطبسي ٩١

○ مقارنات

- ❖ مكانة الصحابة عند المسلمين.....عز الدين سليم (العراق) ١٥٣

○ شبهة و رد

- ❖ حول حقوق المرأة في الاسلام.....السيد كاظم الحائري ١٢٠

رسالة الثقلين

مجلة اسلامية جامعة

- تعنى باحياء المعارف الاسلامية من منبع الثقلين والدفاع عن حريم القرآن الكريم و السنة الرسول الشريفة و خط اهل البيت الاطهار عليهم السلام .
- تستقبل نتائج العلماء والمفكرين و الكتاب الاسلاميين التى تصب في رسالة الثقلين لتكريس وحدة الامة الاسلامية و تثبيت شوكتها في ارجاء العالم.
- الاراء الواردة في الموضوعات لاتعتبر بالضرورة عن راي المجمع او المجلة.
- تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنية.
- يرجى ممن يرفد المجلة بنتاجاته الاحتفاظ بصورة منها، فانها لا تعاد نشرت ام لم تنشر.



الجمعية العامة للأمم المتحدة

المشرف العام:

الشيخ

محمد علي التسخيري

رئيس التحرير:

الشيخ

فواد كاظم المقدادي

العدد الواحد والعشرون

السنة السادسة

محرم- الربيع الاول

١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م

○ تعريف

❖ كتاب في مقال : اجوبة مسائل جاز الله.....عبد الكريم روف ١٦٣

○ فنون و آداب

❖ قصيدة: جز بالطوف.....السيد الشريف الرضي ١٢٨

❖ خاطرة: اذن لا نبالي ان نموت محقين.....مصطفى حسن (العراق) ١٥١

❖ قصيدة: نفحة رضوية.....صلاح الصاوي (مصر) ٢١٠

○ اهل البيت(ع) في روايات الصحابة

❖ اهل البيت(ع) على لسان الحسن بن علي(ع) (١).....ناصر الباقر ٢١٣

○ من غرر حكم اهل البيت(ع)

❖ القلب السليم(١).....اعداد: عبدالقادر فرج الله ٢١٨

○ من انباء القرى

❖ انباء و تقارير..... ٢٢٣

○ مع قراء الثقلين

❖ رسائل القراء..... ٢٥٥

من أقر بالذل طائعاً فليس منا أهل البيت

* بقلم رئيس التحرير

إن من صفات الله عز وجل واسمائه الحسنی العزيز ، وهو الممتنع الذي لا يغلبه شيء ، ومن أسمائه تعالى ذكره المعز ، وهو الذي يهب العز لمن يشاء من عباده (١) . وقد أمر الله تعالى الانسان بأن يتخلق بأخلاقه سبحانه ، ويتجلى بأسمائه (الحسنی) ، ويُجاهد لاكتساب صفاته الكمالیة ، كلُّ بحسبه ، وفطره على ذلك : (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) (٢) . ومن تلك الصفات الكمالیة العزّة ، وهو قوله تعالى : (من كان يريد العزّة فلله العزّة جميعاً) (٣) .

ولقد انشطرت مسيرة البشرية إلى شطرين في هذا السبيل : شطر آمن بأن العزّة والنصر لله ومن الله سبحانه ، ونادى بقوله تعالى : (ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين) (٤) ، وقد قاد هذا الشطر من البشرية الانبياء والاولياء (عليهم السلام) ، وكان خاتمهم محمد (صلى الله عليه وآله) ، وواصل أهل بيته (عليهم السلام) هذه القيادة من بعده ، وشطر آمن بان العزّة والنصر لطواغيت الارض ومنهم ، ونادى بما حكى عنه القرآن الكريم في قوله تعالى : (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً) (٥) ، وقوله تعالى : (وقالوا بعزّة فرعون إنا لنحن الغالبون) (٦) .

والذي يتصفح التاريخ الصادق الذي يسرد لنا معالم المسيرة البشرية بشطريها الالهي والطاغوتي ، يدرك أن من اعتقد أن العزّة والنصر لطواغيت الارض ، وسعى لاكتسابهما منهم ، كان سعيه (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) (٧) ، ووجد أنهم لم يحصدوا من سعيهم هذا إلا الذلّة والخسران المبين ، وقد وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم بقوله : (ضربت عليهم الذلّة والمسكنة وبأواها بغضب من الله) (٨) ، وقوله سبحانه : (ضربت عليهم الذلّة أينما تُقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) (٩) .

وبذلك نجد المصداق المطلق والدليل الواقعي على صدق السنّة الالهية التي صدع بها القرآن الكريم في قوله تعالى : (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزّة فإن العزّة لله جميعاً) (١٠) ، ويحذر سبحانه وتعالى كل من يخالف هذه السنّة ويستهزئ بها ، ويعدّهم بنفس المصير المحتوم في الدنيا والاخرة ، وهو قوله تعالى : (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر

بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً»(١١) .

قد نهج الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين(عليهم السلام) نهج القرآن الكريم في بيان هذه السنّة الالهية للناس ، ودعوتهم للسير عليها وعدم النكوص عنها . فعن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال : « من أراد أن يكون أعزّ الناس فليتنق الله عزّوجل»(١٢) .

وعنه(صلى الله عليه وآله) أنه قال : « من أراد عزّاً بلا عشيرة ، وغنىً بلا مال ، وهيبَةً بلا سلطان فليقتل عن ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته »(١٣) .

وعنه(صلى الله عليه وآله) أنه قال : « أعزّ أمر الله يُعزّك الله »(١٤) .

وعن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) قال : « من اعتزّ بغير الله اهلكه العزّ »(١٥) .

وعن الامام الصادق(عليه السلام) قال : « العزيز بغير الله ذليل »(١٦) .

وتأسياً على هذه السنّة الالهية نجد أن جميع المباني العقائدية والمقولات التشريعية للاسلام العظيم قد أخذ في ملاكها الاول مبدأ (إنّ العزّة لله جميعاً)(١٧) ، وأن الله تعالى هو المعزّ لرسوله وللمؤمنين : (ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين)(١٨) .

وصدّق الصادق(عليه السلام) ذلك في قوله : « إن الله فوّض إلى المؤمن أمره كله ، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً . أما تسمع الله عزّ وجلّ يقول : (ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين) ؟ فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً ، ثم قال : إن المؤمن أعزّ من الجبل ، إن الجبل يُستقل منه بالمعاول ، والمؤمن لا يُستقل من دينه شيء »(١٩) .

لهذا نجد أن القاعدة الاسلاميّة الكبرى المسماة اصطلاحاً « بقاعدة نفى السبيل » المدلولة للاية الكريمة : (لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)(٢٠) ، هي القاعدة الحاكمة مطلقاً على كل القواعد الاسلاميّة الأخرى ، بل هي الأساس في مباني غيرها من القواعد الاسلاميّة ؛ لكونها تعني حرمة كل عمل فردى أو اجتماعى ، سياسى أو اقتصادى ، فى المعاملات والعلاقات بين المسلمين والكفار ، يترتب عليه تسلط الكفار على المسلمين ؛ وذلك لحرمة المسلمين أفراداً ومجتمعات ودولة ، وحرمة مقدساتهم وثرواتهم ، أو يستلزم وهن المسلمين وذلتهم المنافى لعزّتهم وعلوّهم لقوله تعالى : (ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين)(٢١) ، حصراً واختصاصاً بهم دون غيرهم .

كما نجد أن الوصف الاعظم الذى يتميز به الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرون (عليهم السلام) هو العزة الالهية ، وهى أحد أبرز القواسم المشتركة فى سيرتهم الرسالية بكل اطوارها ومراحلها ، حيث نجدهم جميعاً سلام الله عليهم ينادون بالشعار القرآنى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) (٢٢) ، وقد أرخصوا حياتهم الشريفة وختموها بالشهادة فى هذا السبيل . فهذا الحسين (عليه السلام) يرفض النزول عن مقام العزة الالهية فى كربلاء عندما أقبل عمر بن سعد نحوه فى ثلاثين الفاً ، فوقف الامام (عليه السلام) امامهم ونادى بصوت عال يسمعه جلهم : « أيها الناس ... أراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم ، وأعرض بوجهه الكريم عنكم ، وأحل بكم نقمته ، وجنبكم رحمته ، فنعم الرب ربنا ، وبئس العبيد أنتم ! أقررتم بالطاعة وأمتتم بالرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم ، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم ، فتباً لكم ولما تريدون ! إنا لله وإنا إليه راجعون . هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين » (٢٣) .

وواصل (عليه السلام) ندائه إلى أن قال : « لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أفر فرار العبيد . عباد الله ، إني عذت بربى وربكم أن ترجمون . أعوذ بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب » (٢٤) .

ويصدع الامام الحسين (عليه السلام) أمام جيش عمر بن سعد فى خطبة تالية مصراً على تمسكه المطلق بسنة العزة الالهية ، فيأخذ مصحفاً وينشره على رأسه ويقف إزاء القوم ويقول : « يا قوم ، إن بينى وبينكم كتاب الله وسنة جدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) » ثم استشهدهم على نفسه المقدسة وما عليه من سيف النبى (صلى الله عليه وآله) ودرعه وعمامته ، فأجابوه بالتصديق ، فسألهم عما اقدمهم على قتله ، فقالوا : « طاعة للامير عبيد الله بن زياد ؛ فقال (عليه السلام) : تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً ! أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين ، سللتم علينا سيفاً لنا فى إيمانكم ، وحششتهم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم ، فأصبحتم ألماً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أنشدته فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم ؟ فهلا لكم الويلات ! تركتمونا والسيف مشيم ، والجأش طامن ، والرأى لمّا يستحصف ، ولكن اسرعتم إليها كطيرة الدبا ، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ثم نقضتموها ، فسحقاً لكم يا عبيد الامة ، وشذاذ الاحزاب ، ونبذ الكتاب ، ومحرفى الكلم ، وعصبه الاثم ، ونفته الشيطان ، ومطفئى السنن . ويحكم ! هؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون ؟ أجل والله ، غدر فيكم قديم وشجت عليه اصولكم ، وتأزرت فرووعكم ، فكنتم أخبث ثمر ، شجى للناظر ، وأكله للغاصب . ألا وإن الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين : بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة . يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حمية ، ونفوس أبيه من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام . ألا وإنى زاحف بهذه الاسرة على قلة العدد وخذلان الناصر » (٢٥) .

وتوالت اجيال اتباع اهل البيت(عليهم السلام) رافعة هذا الشعار ، مترنمة به نشيداً سياسياً ، وتالياً له دعاءً وتعبداً فى ليالهم ونهارهم ، وفى حلهم وترحالهم ، وفى سلمهم وحربهم ، وفى كل ابعاد حياتهم اينما أقلتهم ارض وأظلتهم سماء ، ومن يسبر شيئاً من غورهم وسلوكهم يجد ذلك طافحاً لا ينفك عن يومياتهم . وخذ لذلك نموذجاً وهو الدعاء المروى عن الامام المهدي(عج) المعروف بدعاء الافتتاح ، الذى يتلى يومياً فى شهر رمضان المبارك ، وتتلى اجزاء منه فى تعقيبات الصلاة اليومية ، وتُتخذ مقاطع منه شعارات ترفع فى المساجد والمحافل والمدارس والبيوت ، ومما جاء فيه من الدعاء للامام المنتظر(عج) ولدولة الاسلام : « اللهم أعزه وأعز به ، وانصره وانتصر به ، وانصره نصراً عزيزاً ، وافتح له فتحاً يسيراً ، واجعل له من لدنك سلطاناً نصيراً . اللهم أظهر به دينك ، وسنة نبيك ، حتى لا يستخفى بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق . اللهم إنا نرغب إليك فى دولة كريمه ، تعز بها الاسلام وأهله ، وتذل بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك ، والقادة إلى سبيلك ، وترزقنا بها كرامه الدنيا والاخرة »(٢٦) .

ونحن اليوم فى رحاب ثورتنا الاسلامية الرائده ، ودولتنا المباركة فى ايران نعيش وصلاً بذلك الخط المقدس ، ونحيا فى ظل قيادتنا الرشيدة هدى قيادة اهل البيت(عليهم السلام) ، فى تمثل العزة الالهية مبدءاً وشعاراً ، ومنطلقاً فى كل جوانب الحركة الرسالية فى مضمار الفكر والثقافة والاعلام ، وفى مضمار البناء الاجتماعى والاقتصادى ، وفى النهج السياسى والجهادى .

وبمراجعة خاطفة لسيرة الامام الراحل الخمينى الكبير(قدس سره) مفجر الثورة الاسلامية ، ومؤسس جمهوريتها فى ايران ، نجده يتمثل مسيرة اهل البيت(عليهم السلام) فى التزام خط العزة الالهية ، منها موقفه الثورى الحازم ايام النظام الشاهنشاهى العميل بوجه المصادقة على اللائحة القانونية لحصانة الاميركيين فى ايران عام ١٩٦٤ م ، لاستلزامها ذلك المسلمين وذهاب عزهم ، وقد وصفها بأنها إقرار على إذلال الشعب المسلم فى ايران ، وأنها تأكيد لاستمرار الاستعمار للبلاد .

وبعد الانتصار المظفر للثورة الاسلامية يؤسس الامام الراحل(قدس سره)الجمهورية الاسلامية فى ايران ، على اساس مبدأ « لا شرقية ولا غربية » ، ويعلنه شعاراً حقيقياً دائماً لا اختلاف عليه ولا تخلف عنه ، فيقول : « إن شعارنا لا شرقية ولا غربية هو شعار الثورة الاسلامية المبدئى فى عالم الجياع والمستضعفين ، الذى يجسد السياسة الحقيقية والنهج الحقيقى لعدم انحياز الدول الاسلامية ، والدول التى ستقبل فى المستقبل القريب - بعون الله - الاسلام رسالة منقذة للبشرية ، ولن يتم العدول عن هذه السياسة وهذا النهج قيد أنملة ، ومن المؤكد أن تجاهل سياسة الاسلام هذه ، هو بمثابة التغاضى عن هدف رسالة الاسلام ، وخيانة لرسول الله وأئمة الهدى ،

ومن ثم ستؤدى إلى فناء بلادنا وشعبنا ، والدول الاسلاميه قاطبه . ويجب ألا يتصور أحد أن هذا الشعار هو شعار مرحلى ، بل إنها سياسه عمليه مستمره لشعبنا وجمهوريتنا الاسلاميه وكل المسلمين فى شتى ارجاء العالم ، ذلك أن الشرط للدخول فى صراط الحق هو البراءة والابتعاد عن صراط الضالين ، وهو شرط يجب تطبيقه على كل المجتمعات الاسلاميه وعلى جميع الاصعده والمستويات «(٢٧)» .

وبذلك يضع الامام(قدس سره) حجر الاساس لمبدأ العزّة الالهيه فى بناء الدوله الاسلاميه .

ثم ينطلق الامام الراحل(قدس سره) فى آفاق الامه الاسلاميه ليعبئ المسلمين لهذا الشعار الذى يقوم عزّة المسلمين ، ويحقق لهم القدره والمنع فى ظل الاسلام العظيم ، فيعلن نداء البراءة من المشركين ، ويرشد الامه إلى أنه ركن من الاركان التوحيديه والواجبات السياسيه للحج ، فيقول مخاطباً حجاج بيت الله الحرام : « ... اطلقوا بجوار بيت التوحيد صرخه البراءة من مشركى وملحدى الاستكبار العالمى ، وعلى رأسهم أميركا المجرمه ، ولا تغفلوا عن إظهار عدائكم واستيائكم من اعداء الله وخلقهم ... » ويواصل نداءه قائلاً : « إن صرخه براءتنا هى صرخه أمه يتربص الكفر والاستكبار لها ، ويتحين فرصه قتلها ، ويصوب نباله وحرايه نحو القرآن والعتره العظيمه ، ولكن هيهات من أن تخضع أمه محمد(صلى الله عليه وآله) المرتويه من كوثر عاشوراء ... هيهات أن تخضع أمه كهذه للموت المذل أو الاسر للشرق والغرب »(٢٨) .

وتوالت مواقف العزّة الالهيه فى سيره الامام الراحل(قدس سره) ونهجه المحمدى الاصيل ، وهو يقود الثوره الاسلاميه بعد انتصارها من نصر إلى نصر ، ويجسد ذلك فى حربه الضروس للمنافقين فى الداخل ، والصمود بوجه الاستكبار السياسى والاقتصادى الذى ضرب حصاره المشؤوم على دوله الاسلام الفتيه من الخارج ، والاستبسال فى خوضه لحرب الدفاع المقدس ضد عملاء الاستكبار فى المنطقه ، طيله ثمانى سنوات مليئه بمئات الالاف من الشهداء والجرحى وملايين المشردين ، فخرج منها الشعب المسلم فى ايران معزراً بنصر الله ، وهو يهتف وراء امامه وقائده الفذ بهتاف الحسين الخالد « هيهات منا الذله أبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون » .

ولم ينته مكر الاستكبار عند هذا الحد ، بل راح يعمل بخططه الشيطانيه لنسف الاساس الذى يمثل العمق الاستراتيجى للثوره الاسلاميه وقيادتها الرشيده ، فشن حمله ثقافيه وإعلاميه مبرمجه لاسقاط هيئه الاسلام ، وإهانه مقدساته وشعاراته المبدئيه ، لعزل المسلمين اجتماعياً وسياسياً ، ومحاصرتهم بالوان التهم والافتراءات ، وممارسه مختلف الضغوط النفسيه والسلوكيه ، ودفعهم للتخلى عن هويتهم ، وسلب عزّتهم القائمه بانتمائهم للاسلام ، إمعاناً فى إذلالهم وكسر شوكتهم ، كالحمله الثقافيه الاعلاميه المسعوره التى رافقت صدور كتاب الكلمه الرخيصه « الايات الشيطانيه » للمرتد سلمان رشدى ، الذى أمعن فيه بالتجديف والاستخفاف بالمقدسات الاسلاميه ، فما

كان من الامام الراحل (قدس سره) إلا أن يعلن حكم الله بإهدار دم هذا المرتد الوضع ، وواجه كل الكفر العالمي بقوة واقتدار جسّد فيه مبدأ العزّة الالهية ، وارتسمها سنّة حاكمه لا ينالها افزاق الارض مهما تعمقوا ، وتبعه في ذلك كل المسلمين علماء وحركات وشعوباً ، ولا زال حكمه الالهى الخالد منار عزّ للمسلمين تصاغت امامه كل المساعي العدوانية والضجيج الاعلامى لاميركا واوربا ، وباؤوا بفشل ذريع ، وصدق فيهم قوله تعالى : (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) (٢٩) .

ويعاود الاستكبار الكرّة ، ويجند قواه في جولة اخرى لضرب قاعدة الصمود الاسلامى فى ايران ، والنيل من عزّة ومقدسات الامّة الاسلاميّة ، من خلال مسرحية محكمة «ميكونوس» فى برلين ، واختار لنسيجه هذه المرة بيت العنكبوت «المانيا» ، وهو لا يعلم أن : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) (٣٠) .

وكانت بحق زوبعة فى فنجان ، فقد احبطت القيادة الاسلاميّة الرشيدة بعزّتها الالهية وحكمتها الربانية هذه المؤامرة قبل أن تقف على قدميها ، ومنذ اليوم الاول لمشروعها انبرى لها ربيب أهل البيت (عليهم السلام) ، والخلف الصالح للامام الخميني الكبير (قدس سره) ، سماحه ولى أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي دام ظله الشريف ، ليجهز عليها من خلال وضع يده على مواطن الضعف والفشل فيها ، قائلاً : « ... كان فى تصور أميركا ، نتيجة لتحليل خاطئ لا يسنده واقع ، أن ايران الاسلاميّة صمدت امام التهديد ولغّة القوة الاميركية بفضل الدعم الاوروبى ، لذلك ظلت ترفض التراجع عن مواقفها » وأضاف سماحته قائلاً : « إن تصور احتمال رضوخ ايران فى حال ابتعاد اوربا عنها ، ولید تحليل اميركى غبى وخاطئ » ، واستدل سماحته على ذلك بقوله : « لقد اشعلت أوربا وأميركا والاتحاد السوفياتى السابق والكثير من الدول الرجعية حرباً لا هوادة فيها ضد ايران ، وصمد شعبنا ثمانى سنوات ، وقاوم المعتدين بشهامه ورجولة . والمثير للدهشة هو هذا السؤال : لماذا كرر هؤلاء تجربة فاشلة ؟ فالشعب الايرانى لم يستبسل فى دفاعه وتصديه اعتماداً على أوربا أو آسيا أو الآخرين ، حتى يبقى وحيداً فى الساحة بغيابهم ؟! » (٣١) .

ولا يخفى ، فى معرض الكشف عن حقيقة عقلية هؤلاء ، أن الماديّة الضيقة والرؤية الباطلة المنطلقة منها هى الحاكمة على عقولهم ، فهم لا يدركون قوة ولا عزّة إلا ما كان لطواغيت الارض وجبابرتها .

ثم يتحدى ولى امر المسلمين أميركا والصهيانية قائلاً لهم : « إذا قدر لاميركا والصهيانية عزل أوربا عن ايران فإن هذا الشعب لن يتراجع قيد انملة فى مواجهته لسطوة أميركا وأية دولة أخرى » (٣٢) ، ويؤكد أن كل ذلك هو من اجل تحقيق العزّة الالهية فى مسيرة الثورة والشعب المسلم فى ايران ، فيخاطب الحكومة الاسلاميّة الايرانية قائلاً :

« على الحكومة الإيرانية أن تتخذ الاجراء اللازم بما يتفق والحكمة والمصلحة وعزّة الشعب وبدقة واهتمام متناهيين »(٣٣) .

وهكذا هي مسيرة الثورة الاسلامية وقيادتها الربانية ، يقتدى فيها الخلف بالسلف ، وتتواصل بإصرار وعزيمة على اصول العزّة الالهية التي جسدها الرسول(صلى الله عليه وآله) واهل بيته الطاهرين(عليهم السلام) ، حيث تتجلى على اساسها عظمة الاسلام وهوية المسلمين افراداً وشعوباً ودولاً ، فيُصلّهم فيها قول رسول الله(صلى الله عليه وآله) : « من أقر بالذلّ طائعاً فليس منّا اهل البيت »(٣٤) .

والحمد لله رب العالمين .

(١) راجع لسان العرب ، مادة (عزز) .

(٢) الروم : ٣٠ .

(٣) فاطر : ١٠ .

(٤) المنافقون : ٨ .

(٥) مريم : ٨١ .

(٦) الشعراء : ٤٤ .

(٧) النور : ٣٩ .

(٨) البقرة : ٦١ .

(٩) آل عمران : ١١٢ .

(١٠) النساء : ١٣٨ - ١٣٩ .

- (١١) النساء : ١٤٠ .
- (١٢) البحار ٧٠ : ٢٨٥ .
- (١٣) نفس المصدر ٤٤ : ١٣٩ .
- (١٤) كنز العمال ، ح ٤٣١٠٢ .
- (١٥) غرر الحكم .
- (١٦) البحار ٧٨ : ١٠ .
- (١٧) النساء : ١٣٩ .
- (١٨) المنافقون : ٨ .
- (١٩) مشكاة الانوار : ٥٠ .
- (٢٠) النساء : ١٤١ .
- (٢١) المنافقون : ٨ .
- (٢٢) المصدر السابق .
- (٢٣) مقتل محمد بن أبي طالب.
- (٢٤) تاريخ الطبري ٩ : ٢٤٣ .
- (٢٥) تاريخ ابن عساكر ٤:٣٣٤، والمقتل للخوارزمي ٢:٧، واللهوف : ٥٤ .
- (٢٦) مفاتيح الجنان للقمي : ١٨١ - ١٨٢ .

(٢٧) من بيان البراءة من المشركين الذى وجهه الامام الخمينى (قدس سره) إلى المسلمين كافة وإلى حجاج بيت الله الحرام فى الاول من ذى الحجة عام ١٤٠٧ هـ .

(٢٨) المصدر نفسه .

(٢٩) الفرقان : ٢٣ .

(٣٠) العنكبوت : ٤١ .

(٣١) من خطاب لسماحة ولى امر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئى (دام ظله) ، ألقاه فى كبار قادة الجيش بمناسبة الاحتفال بيوم الجيش فى ٨ ذى الحجة ١٤١٧ هـ ، فى حسينيه الامام الخمينى فى طهران.

(٣٢) نفس المصدر .

(٣٣) نفس المصدر.

(٣٤) البحار ٧٤ : ١٦٢ .

من آفاق القيادة الإسلامية

نصوص من الخطاب الذى ألقاه ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد على الخامنئى «مد ظله»، بمناسبة الذكرى السنوية السابعة لرحيل الامام الخمينى (قدس سره)، وذلك فى شهر المحرم الحرام سنة ١٤١٧ هـ.

الاستقامة على خط الامام الحسين (عليه السلام) فى حركة الامام الخمينى (قدس سره)

ثمّة نمطان من النصر : نصر يلمسه الانسان بنفسه ; ومن مصاديقه إقامة الحكومة ، والقضاء على اعداء الثورة ، وهذا ما شاهدته الامام الخمينى (رضى الله عنه) بأمر عينيه ، ونصر آخر يتسم بالثبات والديمومة - وهو اكثر اهمية من النوع الاول - أى أن ينتصر الخط والفكر والمنهج ، وهذا هو النصر الذى ناله الانبياء - فى نهاية الامر - مع ما تحمّلوه فى حياتهم من مرارة وعذاب .

وهذا النصر عبارة عن غلبة فكر وعقيدة ومنهج إنسان عملاق ومفكر ، وهذا النصر ناله الامام أيضاً ، وإن دوام ذكره وتجدد انعقاد الاجتماعات لحياتها فى كل عام وبهذه الدرجة من الحماس ، يصبّان فى إطار هذا المعنى .

أودّ هنا عرض موضوع بشأن نهضة إمامنا الكبير ، باعتبار أنه كان حامل درس لنا ، وأدعو ذوى الفكر والرأى السياسى واصحاب النظر فى المسائل الكبرى أن يدرسوا هذا الموضوع ويشبعوه تحليلاً .

انتم على وعى أن لحركة الامام (رضى الله عنه) اوجه تشابه كثيرة بالنهضة الحسينية ، وتقارب أن تكون صورة مستقاة منها . ومع أن الحركة الاصلية - أى حركة الامام الحسين (عليه السلام) - انتهت باستشهاد جميع رجالها ، فيما آلت هذه إلى انتصار الامام ، لا يعد هذا فارقاً جوهرياً ؛ لان للحركتين مضموناً واحداً ، وکلتاهما محکومتان بسياق واحد . ولكن أدى تفاوت المقتضيات إلى أن يؤول مصير تلك إلى استشهاد الامام الحسين (عليه السلام) ، بينما ختمت هذه باستلام امامنا لزام الحكم . وهذا على العموم أمر جلى وواضح .

ومن جملة اوجه التشابه البارزة فى كلتا الحركتين هو جانب الاستقامة ، وهذه الكلمة لا ينبغى المرور على مغزاها مرور الكرام ؛ لانها على نصيب كبير من الاهمية ، إذ كانت تعنى بالنسبة للامام الحسين (عليه السلام) العزم على عدم الانصياع ليزيد وحكمه الجائر . ومن هنا انطلقت بوادر التصدى وعدم الاستسلام لحكومة فاسدة حرفت نهج

الدين بالكامل . بهذه النيّة سار الامام من المدينة ، لكنه حينما لمس بمكة وجود الناصر قرن مسيرته تلك بالعزم على الثورة ، وإلاّ فالجوهر الاصلى لمقوفه المعارض هو الوقوف بوجه حكومة لا يجوز قبولها أو تحملها وفقاً للموازن الحسينية .

فالامام الحسين(عليه السلام) وقف أول الامر بوجه هذه الحكومة ، فى وقت لم تكن المشاكل قد برزت بعد ، ثم إنه صار يواجه المشاكل واحدة تلو أخرى ، فكانت مسألة الاضطراب للخروج من مكة ، ثم اندلاع المعركة فى كربلاء وما تلاها من الضغوط التى تعرّض لها فى تلك الواقعة .

إن أحد الامور المهمة التى تعترض سبيل المرء فى المواقف الكبرى هو العذر الشرعى ، فالفروض أو التكاليف توجب على الانسان أن يؤدّيها ، ولكن حينما يستلزم مثل هذا العمل وقوع إشكال كبير – كأن يقتل فيه على سبيل المثال أشخاص كثيرون – هنا يشعر المرء أنه لم يعد مكلفاً .

أنتم على معرفة بالاعذار الشرعية التى برزت متلاحقة للامام الحسين(عليه السلام) ، وكانت كفيلاً بصرف أى إنسان سطحي الرؤية عن هذا السبيل ؛ فهو قد واجه أولاً نكول أهل الكوفة ، ومقتل مسلم بن عقيل ، وهنا كان بإمكان الامام الحسين(عليه السلام) القول بأنّ العذر بات شرعياً وقد سقط التكليف ، فأنا كنت عازماً على عدم البيعة ، ولكن تبين لى أنّ موقفاً كهذا لا يمكن الاستمرار عليه فى مثل هذه الاوضاع والظروف ، والناس لا طاقة لهم على التحمل ، إذن فالتكليف ساقط وأنا أبايع مكرها .

المرحلة الثانية هى واقعة كربلاء بذاتها ، حيث كان بميسور الامام الحسين(عليه السلام) عند مواجهه ذلك الموقف أن يتصرف على شاكله الانسان الذى يتصرف فى المواقف الكبرى بمثل هذا المنطق ، ويقول : إنّ هؤلاء النسوة والصبية لا قبلَ لهم بتحمل هذه الصحراء المحرقة ، وعلى هذا فالتكليف مرفوع ، فيميل نحو الخنوع ، ويقل بما لم يكن قبله حتى ذلك الحين ، أو حتى بعد اندلاع القتال فى اليوم العاشر واستشهاد ثلثه من أصحابه ، فهناك تفاقت عليه المشاكل ، وبات بإمكانه التذرع بأنّ القتال لم يعد ممكناً ، ولا بالمقدور الاستمرار ، ولا محيص من التراجع .

أو حينما تكشف للامام الحسين (عليه السلام) بأنه سيستشهد ، ومن بعد استشهاده ستبقى حُرْم الله وحُرْم النبي (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليهم السلام) بيد الرجال الاجانب ، وهنا يعرض له موضوع الشرف والعرض ، وكان له - باعتباره إنساناً ذا غيره - القول بارتفاع التكليف ؛ لأنه إذا واصل هذا الطريق وقُتل فإنَّ النساء من آل الرسول وبنات أمير المؤمنين وأطهر نساء الاسلام ، سيقعن سبايا بيد الاعداء من الرجال الذين لا أصل لهم ولا فصل ، ولا يفقهون شيئاً من معانى الشرف والغيره ، إذن بالتكليف مرفوع .

هذا الموقف من واقعه كربلاء ينبغى النظر إليه انطلاقاً من هذه الرؤية ، وهو أنَّ الامام الحسين (عليه السلام) لو أراد النظر إلى بعض الحوادث الشديدة الالم والمرارة ، كحادثة استشهاد على الاصغر ، وسبى النساء ، وعطش الصبية ، ومقتل الشبان ، وغيرها من الحوادث الأخرى المروعة فى كربلاء ، بمنظار المتشرع العادى ، ويتغاضى عن عظمت دوره ورسالته ، كان بمستطاعه التراجع عند أية خطوة يشاء ، ثم يقول أن لا تكليف عليه ، ولا مناص الان من مبايعه يزيد ، وأنَّ « الضرورات تبيح المحظورات » .

إلا أنه (عليه السلام) لم يتصرف على هذه الشاكلة . هذه هى استقامة الامام الحسين (عليه السلام) ، وهذا هو معنى الاستقامة .

الاستقامة لا تعنى - فى أية حال - تحمّل المشاكل ؛ لأنَّ تحمّل المشاكل بالنسبة للانسان الفذ أيسر من تحمل الامور التى تبدو فى المقاييس الشرعية والعرفية والعقلية الساذجة خلافاً للمصلحة ، لأنَّ تحمّلها أصعب من تحمّل المشاكل العصبية .

قد يقال للمرء تارة : لا تسلك هذا الطريق لانك ربّما تتعرض للتعذيب . فالانسان القوى يقول : إنى سالك هذا الطريق ولا ضير فى تعرضى للتعذيب . أو قد يقال لآخر : لا تسلك هذا المسلك فقد تقتل ، إلا أننا نرى الانسان الفذ يقول : إنى سالكه ولا أبالى بالقتل .

ولكن تارة أخرى قد لا يقتصر الحديث على مجرد القتل والتعذيب والحرمان ، بل يقال : لا تذهب هذا المذهب ، فقد يُقتل على إثر موقفك هذا عدد من الناس . وهنا يُعرض على بساط البحث موضوع أرواح الاخرين . فيقال له

: لا تَسِر ، فمن المحتمل أن يواجه الكثير من النساء والرجال والاطفال مصاعب جمّة ، وعتّاً كبيراً من جرّاء مسيرك هذا .

وهنا ترتعد فرائص من يهيمه القتل ، أما الذى لا ترتعد فرائصه ، فهو أولاً فى أعلى درجة من البصيرة ، وعلى بينة من ضخامة العمل الذى يؤدّيه . وثانياً : له من قوة النفس ما لا يتسرب معها إليه الوهن . وهاتان الميزتان تجلّتا عند الامام الحسين فى كربلاء ، لذلك كانت واقعة كربلاء كشمس سطعت فى دياجى التاريخ ، وهى ما انفكت ساطعة وستبقى كذلك أبداً الدهر .

وإمامنا الكبير هذا أولاً فى هذه الخاصية حذو الامام الحسين (عليه السلام) تماماً ؛ لذلك نجح فى إيصال الثورة إلى شاطئ النصر ، وكان ثانياً سبباً فى ضمان ديمومتها من بعده .

إنّ لاتتصار فكر الامام (رضى الله عنه) ونهجه انعكاساً أوسع على مستوى العالم ، ويتمثّل فى توجّه الشعوب إلى الاسلام وإلى خط الامام (رضى الله عنه) ، وهذه الانتصارات إنّما هى ثمرة الاستقامة .

فى أحد الايام قالوا للامام : إنّك إذا واصلت هذه النهضة فسيغلقون الحوزة العلمية فى قم . وهنا لم يقتصر الحديث على القتل لكى يقول الامام : لا أبالى بالقتل ، فالكثيرون على استعداد للتضحية بأنفسهم ، ولكن حينما يقال لاحد إنّ عمالك هذا قد ينتهى بإغلاق حوزة قم ، ترتعد فرائص الجميع ، لكن الامام لم ترتعد فرائصه ولم يثن عن مساره بل واصله .

ثم إنّهم قالوا له فى يوم آخر : إنّك إذا واصلت هذا الطريق فإنّهم سيثيرون ضدك كبار العلماء والمراجع ، ومعنى هذا إيجاد الاختلاف فى العالم الاسلامى .

فى مثل هذا الموقف ترتعد فرائص الكثيرين ، إلا الامام فلم ترتعد فرائصه واستمر فى مسيرته حتّى لحظة انتصار الثورة .

قيل للامام مرّات ومرّات : إنّك تحت الشعب الايرانى على الوقوف بوجه النظام البهلوى ، فمن المسؤول عن هذه الدماء التى تُراق ؟ .

وفى عامى ١٣٤٢ و ١٣٤٣ (١٩٦٣ - ١٩٦٤) عرض على أحد العلماء الكبار هذا الموضوع قائلاً : عندما قام الامام بحركته تلك فى الخامس عشر من خرداد وقُتل فيها الكثيرون - وكانوا من خيرة شبابنا - فمن هو المسؤول عن ذلك ؟ هكذا كان نمط التفكير حينذاك . ولا ريب أن هذا التفكير يؤدى إلى إيجاد الضغوط التى قد تصرف أى شخص عن هذا الطريق وعن مواصلة التحرك ، إلا أن الامام استقام ، وفى أمثال تلك المواقف كان يلاحظ سمو روحه وعظمه بصيرته .

هذا فيما يتعلق بفترة مقاومة النظام الشاهنشاهى . أما الذى يُعتبر بمثابة الدرس بالنسبة لنا فهو ما يتعلق بالفترة التالية لذلك ، إذ يجب على الجميع الالتفات إلى هذه النقطة . وكما ذكرت ينبغي للعلماء والمفكرين والمحللين السياسيين ، ومن لديهم القدرة على التحليل ، أن يدرسوا هذه النقطة لأنها مهمة حقاً .

كانت المواجهة حتى ذلك اليوم مع النظام الشاهنشاهى ، ومن بعد إقامة النظام الاسلامى وايجاد الجمهورية الاسلامية اتسع نطاق المواجهة وتبدلت صيغتها . أما اتساع نطاقها فقد ابتداءً منذ أن كشف الاعداء العالميون عن وقوفهم بوجه نظام الجمهورية الاسلامية . ولكن من هم الاعداء العالميون ؟ إنه الاستكبار العالمى الذى يشمل جميع القوى المتغترسة والمتجبرة فى العالم ، وجميع الوجوه الوقحة المتسلطة على الشعوب . ولكن لماذا بدأوا يواجهون الجمهورية الاسلامية ؟ والجواب على هذا التساؤل مطوّل ، وقد عرض عدة مرّات ، وخلاصته أنهم رأوا الخطر محققاً بمصالحهم وتوجهاتهم التوسعية ، وأن الوجود المعنوى والفكرى للجمهورية الاسلامية فى البلدان الاسلامية يهدد هيمنتهم على تلك البلدان ، وما شابه ذلك من الاسباب .

وعلى كل حال ، فقد بدأوا بمواجهة عنيفة ، ولو أن إنساناً ضعيفاً كان بدلاً من الامام (قدس سره) فى أية خطوة من خطوات تلك المواجهة ، لبادر إلى إيقاف تلك الحركة انطلاقاً من وجود العذر والمانع ، ولقال : لا يمكن مواجهة الاستكبار وهو على هذه الدرجة من القوة والمقدرة ، وإنه لا مفر لنا من التراجع مكرهين . إلا أن الامام لم يتراجع .

ولاجل بيان أهمية هذه القضية لابد من الإشارة إلى مسألة مهمة وهى:

الهجوم السياسى الشامل ضد ايران ، فجميع الاجهزة الاعلامية هاجمتنا فى فترات متلاحقة ، وفى بعض الاحيان تؤدى الهجمات السياسية على البلدان إلى شلّها وإرهاقها ، وهى غالباً ما تكون مؤثرة . واليوم حيث هيمن الاعلام الاذاعى والتلفازى على العالم بأسره ، بات أمراً تخشاه الدول إلى حد بعيد لما يتركه من تأثير على شعوبها .

وبدأ الاعداء مثل هذا الهجوم ضد نظام الجمهورية الاسلامية من كل جهة ، لكن الامام لم يُقَلْ : مادام الجميع قد تظاهروا ضدنا فعلينا بالتراجع . لم يقل : إننا قادرون على مواجهة أميركا فقط ، ولا يمكن لنا مواجهة أميركا وروسيا معاً ، وذلك لأنّ العالم كان منقسماً إلى قطبين ، قد تحالفا وتظاهرا علينا ، لكن الامام استقام ولم يتراجع عن كلامه وشعاره ونهجه ، ولم يتفوه بكلمة واحدة ممّا أرادته الاعداء .

هذه هى الاستقامة الحسينية ، وهى بمقاييس العصر شبيهة بمواقف الامام الحسين (عليه السلام) .

وحيثما اندلعت الحرب المفروضة كان الوضع على هذه الشاكلة أيضاً ، فالشعب الذى ورث كل ذلك الدمار من العهد البائد ، وكان بحاجة إلى العمل والاعمار ، تعرض فجأة لهجوم العدو ، وتعطل ما كان لديه من منشآت ومشاريع كالسكك الحديدية والمصافى وصادرات النفط ومصانع الحديد . ولا شك أنّ كل من يواجه مثل هذا الوضع لا يملك إلا أن يستسلم أمامه ، لا سيّما وأنّ الطرف المقابل لم يكن النظام العراقى فحسب ، بل كان - كما يعلم الجميع - النظام العراقى يدعمه الاتحاد السوفياتى وفرنسا وحلف الناتو والخبراء الاميركيين وغيرهم . ولو أنّ الامام (قدس سره) كان ضعيفاً آنذاك لقال : لقد رفع عنا التكليف ، أو لقال : هؤلاء يريدون ألاّ نطبق أحكام الاسلام ، نعم لا نطبقها ، ويريدون ألاّ نعادى إسرائيل ، فلا نعاديها لان الضغوط قويّة.

لكن الامام لم يقل شيئاً من هذا القبيل ، بل أصر على موقفه . وحتى قرار وقف إطلاق النار الذى وافق عليه لم يكن الدافع وراءه يكمن فى تلك الضغوط ، بل وافق عليه بسبب المشاكل الاقتصادية التى عرضها المسؤولون الاقتصاديون فى البلاد آنذاك ، وبينوا له أنّ الدولة غير قادرة على الاستمرار بالحرب بكل هذه التكاليف ، فاضطر الامام للموافقة على قرار وقف الحرب .

إذن فقبول القرار لم يكن مردّه هجوم العدو ، أو تهديد اميركا التى كان من المحتمل أن تتدخل فى الحرب ، فاميركا كانت تتدخل فى الحرب حتّى من قبل هذا ، ولو أنّ العالم تدخل باجمعه فى الحرب ، لم يكن الامام (رضوان الله عليه) لينثنى بتلك السهولة ، فالقضية كانت تتعلق بالوضع الداخلى .

لم يحصل خلال الحياة الشريفة للامام التى امتدت عشر سنوات من بعد انتصار الثورة ، أن تردد لحظة واحدة بسبب ضخامته تهديد العدو - فى أى بُعد من الابعاد - أى إنه كان يتمتع بنفس تلك الروح الحسينية .

فالحرب تقترب عادة بالخسائر ، وكانت حياة الانسان عزيزة على الامام ، فهو يبكى أحياناً على الانسان الذى يعانى ويتألم ، وأحياناً تترقرق الدموع فى عينيه ، وهذا ما شاهدناه مرّات ومرّات ، فقد كان إنساناً رحيماً وعطوفاً ، وكان قلبه طافحاً بالانسانية والمحبة ، ولكن هذا القلب الطافح بالمحبة لم يرتعش يوماً أمام التهديد ، ولم يزل ولم يتراجع ولم يتنازل .

وطوال مدة العشر سنوات تلك أدرك أعداء الثورة بأجمعهم ولمسوا بالتجربة أنّ الامام لا يمكن إرغابه . إنها لنعمه كبرى أن يشعر العدو بأنّ هذا الرجل لا يمكن إزاحته من الساحة بالخوف والتهديد . وقد أدرك الجميع من خلال الشخصية اللمعية التى كان يتحلّى بها الامام أنه رجل لا يمكن إخراجهم من الساحة ، ولا يمكن تهديده بالضغوط ، والتهديد العملى أيضاً لا يجدى نفعاً فى ثنيه عن منهجه ؛ لذلك اضطروا لمجاراته .

إنّ ما يمكن استنتاجه مما اسلفنا - وهذا الاستنتاج طبعاً قابل للتعميم وللتأمل - هو أولاً : أنّ من جملة الخطوط البارزة - بل هو الخط المميز لثورة عاشوراء - هو استقامته الامام الحسين (عليه السلام) . وثانياً : هو أنّ إمامنا الكبير (رضوان الله عليه) اتخذ الاستقامة الحسينية منهجاً له فى نهضته وفى نمط حياته ، ولذلك استطاع ضمان استمراريته الجمهورية الاسلامية ، وصد العدو عن أسلوب الضغط والتهديد ؛ لانه بيّن للعدو أن الضغط والتهديد والهجوم لا تجدى نفعاً ، وأنه ليس بالرجل الذى تثنيه مثل هذه الافعال .

من جانب آخر لننظر كيف تأثرت شعوب العالم المختلفة ، وبخاصة الشعوب الاسلامية ، برسالة الامام . وقد أدرك الاستكبار أنه إذا شاء الابقاء على صمت الشعوب ، وصرفها عن الطريق الصحيح ، فليس أمامه سوى أن

يقوم بعمل يجعلها ترى أنّ إيران الإسلامية تراجعت عن نهجها ، لكى يوقع الجميع فى اليأس ويشيئهم عن عزمهم . وقد أدرك الاستكبار هذه الحقيقة ، وكرّس كل جهوده من أجلها .

اليوم يضغطون على الجمهورية الإسلامية من جميع الجهات ؛ لاجل إبداء اللين إزاء موضوع إسرائيل ، والتنازل عن رفع الشعارات الإسلامية ، وعدم التحدث بهذا القدر عن الاسلام والقرآن - وهما القاسم المشترك بين الشعوب الإسلامية - .

فإذا أردنا مواصلة طريق العزة والتقدم والتنمية والبناء والرفاه ، وبلوغ النتيجة المرجوة - كما حصل خلال هذه السنوات بحمد الله من تقدم ونشاط فى القطاعات المختلفة ، بفضل السواعد المقتدرة ، وببركة الخدمة التى تؤذيها الجمهورية الإسلامية - فالسبيل إلى ذلك أنما يتم بالاستقامة والصمود فى وجه الاعداء والاستكبار .

لقد حقق الشعب المسلم فى إيران خلال هذه السنوات إنجازات كبرى ، وعليه أن يحافظ على هذا الانجازات . فأبناء الشعب - وبخاصة مسؤولو الجمهورية الإسلامية - ملزمون من خلال دورهم العقلانى وتصرفهم السليم أن يحولوا دون ضياع انجازات الشعب - لا سمح الله - ، سواء الانجازات التى حققتها له الثورة مباشرة ، كالحكومة والدولة ورئيس الجمهورية والنواب وما شابه ذلك ، أو ما يتعلق منها بالثورة ولكنه صار للشعب بشكل غير مباشر ، كحركة البناء التى نشهدها ، والتى يتجسد فيها كل عمل الثورة ومهارتها ، والتى تنجزها العناصر الثورية فى الحكومة وفى القطاعات الاخرى . وهذا ما ينبغى لابناء الشعب والمسؤولين صيانتهم بأسلوب عقلانى وسليم .

إنّ السبيل الوحيد الذى يتيح لشعب إيران المسلم والمسؤولين صيانه هذه الانجازات ، وتقديم المزيد من العطاء ، يكمن فى مواصلة النهج الذى اختطه الامام بمسيرته ، وهو نهج الاستقامة والصمود بوجه مطامع الاعداء ، وبوجه الهراء والهذر الذى تتفوه به حفنة أفراد من خلف الحدود ، وتفصح فيه عن مطامعها بهذا الشعب .

ولكن ما هو خط الامام ونهجه الذى يتكرر ذكره ؟ إذا قلنا إنّ خط الامام هو الاسلام والثورة ، فهذا الموضوع

يعتبر طرحاً عاماً ، فمن الواضح أنّ خط الامام هو خط الثورة والاسلام ، وما من شخص لديه اعتراض على

الاسلام والثورة ، فخط الامام يمكن تلخيصه بكلمة واحدة ، وهى (الاستقامة) ، فالشئ القادر على تحقيق

تطلعات هذا الرجل الفذ - الذى يعد أباً لهذه الثورة وبانياً لايران الاسلاميه - هو الاستقامه التى أبداها بسلوكه ، ولم يتنازل أمام الاعداء ولم يرهبهم ، ولم يتزعزع أمام التهديدات . وليس بوسع أحد اتهم الامام بأن ما فعله كان خلافاً للتدبير السليم ، أبداً ؛ فلو أن جميع عقلاء العالم دققوا وحلّلوا لادركوا أن السبيل الصحيح هو السبيل الذى سلكه ذلك الرجل ، وهو السبيل المؤدى إلى أهدافه ، وكل من له هذا الهدف فطريقه هو نفس الطريق الذى سار عليه هذا الشخص العظيم .

كلامى فى الذكرى الاليمه لرحيل الامام ، هو أنه يجب على الشعب المسلم فى ايران بأسره ، وجميع المسؤولين والقطاعات المختلفه ، اتخاذ صمود الامام بوجه طموحات الاعداء قدوة لهم . وإذا شاءت الشعوب الاخرى بلوغ مرحله مرموقه فطريقها هو ذلك الطريق ، وإذا أريد لقضيه فلسطين أن تحل ، فطريق الحل يكمن فى هذه الاستقامه وفى هذا الصمود ، وإذا أريد للقضايا المختلفه الناتجه عن التدخل الاستكبارى فى منطقتنا أن تحل ، فطريقها هو هذه الاستقامه .

اليوم تقف حكومه الجمهوريه الاسلاميه ، ونواب الشعب ، والسلطه القضائيه ، والقوات المسلحه وجميع أبناء الشعب ، كزبر الحديد بوجه أطماع العدو ، ولا يهتزون قيد أنملة أمام تهديداتهم ، وهذا هو طريق العزه والسلامه .

إن الاميركيين يطمحون إلى تحقيق أهدافهم بالتهديد ، إلا أن هذا لا يتسنى لهم حتى عن طريق التدخل .

فالشعب الايرانى لا يسعه التغاضى عن حق الشعب الفلسطينى . يقولون لنا تغاضوا عن حق شعب فلسطين المسلم وأقرّوا المساومه المفروضه عليه ، ولكن من الواضح أننا لا يسعنا ذلك ، ونرفض هذا الموقف بشده ، ونعتبر كل من ينهج هذا النهج خائناً .

اعلموا أن رسالة الامام ورسالة هذا الشعب العظيم الثورى قد اجتاحت العالم - بحمد الله - ، وأن اسم الامام وذكره فى العالم لن يندثرا . من الطبيعى أن إعلام الاعداء يحاول أن يصور رسالة الثورة وكأنها أضحت شيئاً قديماً فى العالم ، وهذا الادعاء كاذب ومجاف للواقع ؛ لأن هذه الثورة العظيمة لشعبنا ، والمسيرة الطافرة لشخصيته قائده الفذة ، مشهودتان اليوم فى أقصى نقاط العالم ، حتى فى بعض الأرجاء التى لا ذكر فيها للإسلام . وهذا الطريق هو طريق عزة بلادنا ، ورفاه وانتصار وسعادة شعبنا الذى سيواصل بحول الله هذا الطريق بكل قوة ، وهو نفس الطريق الذى ستنتهجه الاجيال القادمة بعونه تعالى .

دراسات

* السيد محمد باقر الحكيم

نظام العلاقات الاجتماعية العامة

في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

(٤)

خامساً : الاحسان والمعروف واليد العليا

وفي الحديث عن البناء الفوقي للقاعدة الخامسة ، وهي الاحسان واليد العليا ، نجد أمامنا آفاقاً واسعة ; ذلك أن الكثير من المفردات السابقة تدخل في باب الاحسان واليد العليا ، وإن كان طابعها العام يتصف بصيغة أخرى .

فمثلاً في بعد الانفتاح في المعاشرة أشرنا إلى إفشاء السلام وحرمة القطيعة والهجرة بين المؤمنين ، باعتبارهما دليلين على هذا الاتجاه (الانفتاح) وهذا البعد في النظرية الاسلامية ، ولكن في الوقت نفسه يعتبر إنهاء الهجرة من قبل المظلوم إحساناً للظالم .

وهكذا الامر في مبدأ التكافل الاجتماعي ، ومبدأ التناصر والتراحم ، ومبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، التي أشرنا إليها في قاعدة تقوية البناء الاجتماعي ، أو حسن الظن وغض النظر عن أعمال السوء الشخصية أو الاذى الشخصي .

وكذلك الحال في صفة التواضع ، والصبر على الحساد ، اللذين أشرنا إليهما في قاعدة ضبط العواطف والانفعالات ، فإنهما يُعدّان أيضاً من ألوان الاحسان والمعروف .

ولعل مجمل حالات التودد والمجاملة وحسن الخلق ، التي أشرنا إليها سابقاً ، هي أيضاً ألوان من الاحسان والمعروف ، وهكذا الكثير من الواجبات والالتزامات الشرعية أو الاجتماعية ، فإنها تعتبر أيضاً ألواناً من الاحسان واليد العليا في مجمل حركة الانسان في مجال العلاقات .

لذا سوف تقتصر في بحث البناء الفوقي لهذه القاعدة على الإشارة إلى جوانب أربعة ترتبط بهذه القاعدة :

ضوابط الاحسان

الجانب الاول : الاصول والضوابط العامة في الاحسان ، التي تعتبر جانباً من النظرية أيضاً ; ونشير هنا إلى ضوابط عامة في

موضوع الاحسان :

الضابطة الاولى : أنه وإن كان الاحسان محبوباً بصفته عامه ، ويعبر عن سمه الايثار في أكثر موارد ، فلكونه ينطلق من مفهوم الاخوة والعدل والمساواة بين المؤمنين ، لابد للانسان أن يلاحظ فيه ألا يكون ضرره وخسارته أكبر من النفع والفائدة التي تلحق أخاه المؤمن ، كما يصنع الانسان مع نفسه تماماً في باب المعاملات والمعاوضات ، فإنه حينما يقدم مالا أو حقاً عوضاً عن مال أو حق ، يلاحظ أن تكون منفعته أكثر ، أو مساوية على الأقل .

وقد ورد في ذلك الحديث عن أهل البيت (عليهم السلام) ، فقد روى الحسن بن محمد الطوسي في مجالسه بسند معتبر عن اسماعيل بن خالد قال : « سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) يقول : جمعنا أبو جعفر (الباقر) (عليه السلام) فقال : يا بنى ، إياكم والتعرض للحقوق ، واصبروا على النوائب ، وإن دعاكم بعض قومكم إلى أمر ضرره عليكم أكثر من نفعه له فلا تجيبوه » (١) .

وذكر الكليني في الكافي هذا المعنى ضمن أحاديث متعددة عن الصادق والكاظم (عليهما السلام) : « لا تدخل لاخيك في أمر مضرته عليك أعظم من منفعته له » ، و« لا تبذل لآخوانك من نفسك ما ضره عليك أكثر من منفعته لهم » (٢) .

الضابطة الثانية : تعجيل المعروف لصاحبه وستره عليه ، وتصغيره لديه ، لما لذلك من آثار روحية ونفسية واجتماعية على صاحب المعروف وأهله ، فقد روى الكليني في الكافي والصدوق في الفقيه والخصال عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « رأيت المعروف لا يتم إلا بثلاث : تصغيره ، وستره ، وتعجيله ، فإنك إذا صغرت عظمته عند من تصنعه إليه ، وإذا سترته تممت ، وإذا عجلته هئأته ، وإذا كان غير ذلك سخفته ونكدته » (٣) .

وبهذا المعنى جاء الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : « لا يستقيم قضاء الحوائج إلا بثلاث ، باستصغارها لتعظم ، وباستكتمائها لتظهر ، وبتعجيلها لتهنؤ » (٤) .

كما روى بسند معتبر عن حمزان عن الامام أبي جعفر (عليه السلام) قال : سمعته يقول : « لكل شيء ثمرة ، وثمره المعروف تعجيل السراح » وفي رواية أخرى للصدوق « تعجيله » (٥) .

الضابطة الثالثة : الاهتمام بوضع المعروف عند أهله من الناس ، وهم خيارهم ، فإذا كان ممن ليس من أهل المعروف لا يصح صنع المعروف له .

وهذه الضابطة لا تنافي ما أشرنا إليه سابقاً من صنع المعروف مع كل أحد ، فإن ما ذكرناه هناك إنما هو في حالة عدم معرفة الناس ، فيحسن بالانسان أن يصنع المعروف لحبه المعروف ، ولكن عندما يتبين له سوء حال الشخص الذي يريد أن يصنع إليه المعروف ، وأنه ليس من أهله لا يصح له ذلك ، لانه لا يستحقه فيضيع المعروف ، بل تكون آثار صنع المعروف معه سلبية في

بعض الاحيان ، إذ يقطع سبيل المعروف بكفره ونكرانه له .

وقد وردت في هذا الموضوع روايات معتبرة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، تؤكد روايات أخرى عديدة .

عن سيف بن عميرة قال : « قال أبو عبد الله (عليه السلام) لمفضل بن عمر : يا مفضل ، إذا أردت أن تعلم أشقى الرجل أم سيعد ، فانظر سيئه ومعروفه إلى من يصنعه ، فإن كان يصنعه إلى من هو أهله فاعلم أنه إلى خير ، وإن كان يصنعه إلى غير أهله فاعلم أنه ليس له عند الله خير » [٦] .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « من كان له منكم مال فإياه والفساد ، فإن إعطاءه في غير حقه تبذير وإسراف ، وهو يرفع ذكر صاحبه في الناس ، ويضعه عند الله ، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ، وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم ، وكان لغيره وذمهم ، فإن بقي معه بقية ممن يظهر الشكر له ، ويريد النصح فإنما ذلك ملق وكذب ، فإن زلت به النعل ثم احتاج إلى معونتهم ومكافأتهم فألام خليل ، وشر خدين ؛ ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ، وعند غير أهله إلا لم يكن له من الحظ فيما أتى إلا محمدة اللئام وثناء الاشرار مادام منعماً مفضلاً ، ومقالة الجاهل : ما أجوده ، وهو عند الله بخيل ، فأى حظ أبور وأخسر من هذا الحظ ؟! وأى فائدة معروف أقل من هذا المعروف ؟! فمن كان منكم له مال فليصل به القرابة ، وليحسن منه الضيافة ، وليفكك به العاني والاسير وابن السبيل ، فإن الفوز بهذه الخصال مكارم الدنيا وشرف الآخرة » [٧] .

وفي وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) قال : « يا علي ، أربعة تذهب ضياعاً : الاكل على الشبع ، والسراج في القمر ، والزرع في السبخة ، والصنيعة عند غير أهلها » [٨] .

الضابطة الرابعة : تحمل مؤنة النعم التي يتفضل الله سبحانه وتعالى بها على عباده ، وذلك من خلال المزيد من الانفاق وصنع المعروف ، فإن الانسان إذا أنعم الله عليه بنعمة ظاهرة يتوجه إليه الناس - بطبيعة الحال - فيثقلونه بالطلبات والحاجات ، فينشأ له بسبب ذلك الكبير من الضغط والكلفة .

والضابطة التي وضعها أهل البيت (عليهم السلام) لذلك هو أن يتحمل الانسان مؤنة هذه النعمة ، ويصبر على هذا الضغط ، ويلبى هذه الطلبات ، فإن ذلك يكون سبباً لاستدامتها وبقائها واستمرارها ، وبدون ذلك قد تتعرض هذه النعمة إلى الزوال .

وقد نبه أهل البيت (عليهم السلام) شيعتهم والجماعة الصالحة من أتباعهم على هذه الحقيقة ، والسنة الكونية في النعم الالهية .

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « من عظمت نعمة الله عليه اشتدت مؤنة الناس إليه ؛ فاستديموا النعمة باحتمال المؤنة ، ولا تعرضوها للزوال ، فقل من زالت عنه النعمة فكادت أن تعود إليه » [٩] .

وعن أبان بن تغلب قال : « قال أبو عبد الله (عليه السلام) للحسين الصحافي : يا حسين ، ما ظاهر الله على عبد النعم حتى ظاهر

عليه مؤنة الناس ، فمن صبر لهم وقام بشأنهم زاده الله في نعمه عليه عندهم ، ومن لم يصبر لهم ولم يقم بشأنهم أزال الله عز وجل عنه تلك النعمة «([١٠])

وعن أمير المؤمنين(عليه السلام) قال : « إن لله تعالى في كل نعمة حقاً ، فمن أداه زاده الله منها ، ومن قصر خاطر بزوال نعمته «([١١])

وقال(عليه السلام) : « إن لله عبداً يختصهم بالنعم لمنافع العباد ، فيقرها في أيديهم ما بذلوها ، فإذا منعوها نزاعها منهم ثم حولها إلى غيرهم «([١٢])

الضابطة الخامسة : شكر النعم وصنائع المعروف ، فإن الانسان إذا تفضل عليه بنعمة من عنده ، أو بتسخير عبد من عباده ليحسن له ويصنع المعروف إليه ، فلا بد له أن يشكر هذه النعمة وهذا المعروف ؛ فإن شكر النعم سبب لاستمرارها وبقائها ، وكفرانها سبب لزوالها ؛ ومن أفضل أنواع الشكر صنع المعروف إلى الآخرين ، والاحسان لهم ، وكذلك شكر الله المنعم ، وشكر عباده المحسنين .

عن محمد بن عجلان قال : « سمعت أبا عبد الله(عليه السلام) يقول : أحسنوا جوار النعم ، قلت : وما حسن جوار النعم ؟ قال : الشكر لمن أنعم بها ، وأداء حقوقها «([١٣])

وعن داود بن سرحان قال : « كنا عند أبي عبد الله(عليه السلام) إذ دخل سدير الصير في فلسم وجلس ، فقال له : يا سدير ما كثر مال أحد قط إلا كثر الحجة لله تعالى عليه ، فإن قدرتم تدفعونها([١٤]) عن أنفسكم فافعلوا ، فقال : يابن رسول الله ، بماذا ؟ فقال : بقضاء حوائج إخوانكم من أموالكم ، ثم قال : تلقوا النعم يا سدير بحسن مجاورتها ، واشكروا من أنعم عليكم ، وأنعموا على من شكركم ، فإنكم إذا كنتم كذلك استوجبتم من الله الزيادة ، ومن إخوانكم المناصحة ، ثم تلا (لئن شكرتم لازيدنكم)([١٥])

ويدخل في هذه الضابطة أيضاً مكافأة المعروف بمثله أو بضعفه ، أو الدعاء لصاحبه بالخير وحسن الجزاء ، فإن ذلك لون من ألوان الشكر على المعروف .

عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال : « كان أمير المؤمنين(عليه السلام) يقول : من صنع بمثل ما صنع إليه فإنما كافأه ، ومن أضعفه كان شكوراً ، ومن شكر كان كريماً ، ومن علم أن ما صنع إنما صنع إلى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم ، ولم يستزدهم في مودتهم . ولا تلتمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك ، ووقيت به عرضك ، واعلم أن الطالب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك ، فأكرم وجهك عن رده «([١٦])

وعن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال : « كففاك بشنائك على أخيك إذا أسدى إليك معروفاً أن تقول له : جزاك الله خيراً ،

وإذا ذكر وليس هو في المجلس أن تقول : جزاه الله خيراً ، فإذا أنت قد كافأته »([١٧]).

ولذلك حث أهل البيت (عليهم السلام) على شكر المعروف ، وأنكروا كفرائه ، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « لعن الله قاطعي سبيل المعروف ، قيل : وما قاطعوا سبيل المعروف ؟ قال : الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره ، فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره »([١٨]).

وعنه (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : « من أتى إليه معروف فليكاف به ، فإن عجز فليُثِّن عليه ، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة »([١٩]).

وعن عمار الدهني قال : « سمعت علي بن الحسين (عليه السلام) يقول : إن الله يحب كل قلب حزين ، ويحب كل عبد شكور . يقول الله تبارك وتعالى لعبده يوم القيامة : أشكرت فلاناً ؟ فيقول : بل شكرتك يا رب ، فيقول : لم تشكرني إن لم تشكره ، ثم قال : أشكركم لله أشكركم للناس »([٢٠]).

أداء الحقوق

الجانب الثاني : في صنع المعروف والاحسان هو المعروف من خلال أداء الحقوق التي وضعها الله تعالى على الانسان المسلم لآخيه المسلم ، أو الانسان المؤمن كذلك تجسيدا لعمل المعروف ؛ وقد مرت الإشارة إلى بعض هذه الحقوق في أحاديثنا السابقة ، ونشير هنا إلى بعض النماذج الأخرى التي تعبر عن البناء الفوقي لهذا الجانب ؛ علماً بأن بعض هذه الحقوق واجب وبعضها مستحب .

الرفق بالرفيق

١ - إذا رافق انساناً آخر في طريق أو سفر أو دراسة أو في انجاز عمل معين أصبح لهذا الرفيق حق على رفيقه ، يقتضى الرفق به والاحسان إليه وصنع المعروف لديه ، وقد ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) ما يؤكد هذه الحقوق.

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمها أجراً وأحبهما إلى الله عز وجل أرفقهما بصاحبه »([٢١]).

عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه (عليهم السلام) قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إذا كنتم في سفر فمرض احدكم فأقيموا عليه ثلاثة أيام »([٢٢]).

قضاء حاجة المؤمن

٢- ومن جملة الحقوق للمؤمنين على اخوانهم قضاء الحاجات التي يلجأ المؤمن في قضائها إلى اخوانه ; وقد اشرنا في بعض الابحاث السابقة إلى أن ذلك من الحقوق العامة للمؤمنين على اخوانهم ; وقد ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) روايات عديدة تؤكد استحباب ذلك بصفة عامة ، والثواب الجزيل المترتب عليه فضلاً عن الآثار الوضعية الدنيوية التي يكون قضاء الحاجة سبباً في وجودها .

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : « إن المؤمن لترد عليه الحاجة لآخيه فلا تكون عنده يهتم بها قلبه فيدخله الله بهمة الجنة » ([٢٣]).

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله تبارك وتعالى : على ثوابك ، ولا أرضى لك بدون الجنة » ([٢٤]).

عن اسماعيل بن عمار قال : « قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : المؤمن رحمه على المؤمن ؟ قال : نعم ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمه من الله ساقها إليه وسيبها له ، فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها ، وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما رد عن نفسه رحمه من الله عز وجل ساقها إليه وسيبها له ، وإذا عز وجل تلك الرحمة إلى يوم القيامة حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيه ، إن شاء صرفها إلى نفسه وإن شاء صرفها إلى غيره . (إلى أن قال) : استيقن أنه لن يردها عن نفسه . يا إسماعيل من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلط الله عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً » ([٢٥]).

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « أيما مؤمن سأل أخاه المؤمن حاجة وهو يقدر على قضائها فردّه عنها سلط الله عليه شجاعاً في قبره ينهش من أصابعه » ([٢٦]).

تفريج كربة المؤمن

٣- ومن هذه الحقوق أن يقوم الانسان المؤمن بتفريج كربة أخيه المؤمن عندما يصاب بشدة أو يتعرض لمحنة وضيق .

عن زيد الشحام قال : « سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : من أغاث أخاه المؤمن اللهفان عند جهده فنفس كربته وأعانه على نجاح حاجته كتب الله عز وجل له بذلك ثنتين وسبعين رحمه من الله ، يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته ، ويدخر له إحدى وسبعين رحمه لافزاع يوم القيامة وأهواله » ([٢٧]).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : « من كفارات الذنوب العظام اغاثه الملهوف ، والتنفيس عن المكروب » ([٢٨]).

الستر على المؤمن وتكذيب ما ينسب إليه من سوء

٤ - ومن هذه الحقوق للمؤمنين ستر عيوبهم وعوراتهم وما يرتكبون من ذنب في خفاء وغفلة ، وكذلك تكذيب ما ينسب إليهم من سوء إذا كانوا ينكرون ولا يقولون به .

فقد روى الكليني في الكافي عن الامام الباقر (عليه السلام) قال : « يجب على المؤمن أن يستر عليه سبعين كبيرة » [٢٩] .

كما روى في الجعفریات بإسناده عن علي (عليه السلام) أنه قال : « لو وجدت مؤمناً على فاحشة لسترته بثوبي » . أو قال (عليه السلام) : « بثوبه هكذا » .

كما روى القطب الراوندي في لب الباب عن أمير المؤمنين هذا النص في حديث بينه وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) [٣٠] .

كما ورد أيضاً عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : « أيها الناس ، من عرف من أخيه وثيقة في دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه اقاويل الرجال . أما إنه قد يرمى الرامي وتخطئ السهام ، ويُحيل الكلام ، وباطل ذلك يبور ، والله سميع وشهيد . أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع . فسئل (عليه السلام) عن معنى قوله هذا ، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال : الباطل أن تقول سمعتُ ، والحق أن تقول رأيتُ » [٣١] .

النصيحة للمؤمن

٥ - ومن جملة هذه الحقوق للمؤمنين وجوب النصيحة لهم ، والاخلاص في العمل من أجلهم والصدق فيه ، فقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن الامام الصادق والباقر (عليهما السلام) أنهما قالوا : « يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب » .

وقد سبق ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أنه قال : « الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة الدين ولجماعة المسلمين » [٣٢] .

وكذلك ورد بطريق معتبر عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : « أيما مؤمن مشى في حاجة أخيه فلم ينصحه فقد خان الله ورسوله » [٣٣] .

وقد تقدم في الأبحاث السابقة أن من المعروف الذي يستحقه المؤمن من أخيه المؤمن إكرامه ، كما تقدم في التكافل الاجتماعي وجوب معونة المؤمن عند الضرورة ، وتقدم في المعاملة الخاصة بعض الحقوق للمؤمن على إخوانه المؤمنين .

التنازل عن الحقوق المستحقة

الجانب الثالث : فى صنع المعروف والاحسان هو التنازل عن الحقوق التى يستحقها الانسان من الاخرين ، وعدم مطالبهم بالانصاف لنفسه ، فإن هذا التنازل و غرض النظر عن حقه من أفضل صنائع المعروف ، ومن عزم الامور ، كما يعبر عنه القرآن الكريم : (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (٣٤) ، كما أن أجر المغفرة والصفح على الله تعالى : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا مَغْفِرَةٌ غَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (٣٥) .

وقد تم تأكيد هذا الاتجاه فى أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ضمن مجموعة من المفردات ، وقد ورد عنهم - كما سنشير إليه - أن التنازل عن الحقوق هو خير أخلاق الدنيا والاخرة .

العفو والصفح

المفردة الاولى : العفو والصفح والمغفرة للمسيء خصوصاً عند القدرة على العقاب والاخذ بالتأثر أو استرجاع الحق ، ويترتب على العفو آثار وضعية دنيوية وآثار معنوية ذاتية وآثار أخروية من الثواب والاجر الجزيل .

وكل ذلك وردت فيه روايات وأحاديث عن أهل البيت (عليهم السلام) .

فقد روى الكليني بطريق معتبر فى الآثار الوضعية الدنيوية عن ابن فضال عن أبى الحسن (عليه السلام) أنه قال : « ما التقت فئتَان قط إلا نصر أعظمها عفواً » (٣٦)

وروى أيضاً عن اسماعيل بن زياد السكوني عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : عليكم بالعفو فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً ، فتعافوا يعزكم الله » (٣٧) .

وروى الصدوق عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : « عفو الملك أبقى للملك » (٣٨) .

وعن على (عليه السلام) قال : « العفو زكاة الظفر » (٣٩) .

وفى جانب الآثار المعنوية ما رواه الرضى فى نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : « إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه » (٤٠) ، وقال (عليه السلام) : « أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة » (٤١) ، وفى هذين النصين بيان لما يحصل عليه الانسان من تكامل ذاتي ، من خلال العفو عند القدرة فى شكره لله تعالى ، وفى تفضيله على الآخرين .

وفى جانب الاجر والثواب ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) ما يبين عظم جزاء أهل الحلم والعفو ؛ من ذلك قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذى رواه عنه الباقر (عليه السلام) قال : « إذا كان يوم القيامة ينادى مناد يسمع آخرهم كما يسمع أولهم فيقول : أين أهل الفضل ؟ فيقوم غنق من الناس فيستقبلهم الملائكة فيقولون : ما فضلكم هذا الذى نوديتم به ؟ فيقولون :

كنا يُجهل علينا في الدنيا فنحمل ، ويساء إلينا فنعضو ، فينادى مناد من الله تعالى : صدق عبادي ، خلّوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب» (٤٢).

قبول العذر

المفردة الثانية : قبول عذر المعتذر ، فإنه إذا أساء شخص إلى آخر بقول أو فعل ثم جاءه معتذراً عن ذلك ، فإن من المعروف والاحسان ، الذي يكون مصداقاً للتنازل عن الحقوق ، هو قبول عذره .

فقد روى الصدوق في الفقيه عن الامام الصادق عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في وصيته لعلّ (عليه السلام) قال : « يا علي ، من لم يقبل من متصل عذراً صادقاً كان أو كاذباً لم ينل شفاعتي » (٤٣).

وروى أيضاً عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لولده محمد بن الحنفية قال : « لا تصرم أخاك على ارتياب ، ولا تقطعه دون استعتاب ، لعل له عذراً وأنت تلوم به . اقبل من متصل عذراً صادقاً كان أو كاذباً فتنالك الشفاعة » (٤٤).

وروى الكليني في الروضة عن أبي الحسن (عليه السلام) في حديث أن علي بن الحسين قال لولده : « إن شتمك رجل عن يمينك هم تحول إليك عن يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره » (٤٥).

ومن الملاحظ في هذه الاحاديث الثلاثة أنها جاءت من قبل المعصومين توصية لاولادهم وأهل بيتهم ؛ لان مثل هذا العمل من الاخلاق أعلى درجات التكامل .

إنظار المعسر وإبرأؤه

المفردة الثالثة : إنظار المدين المعسر وتأجيله في الدين ؛ فإن ذلك من الواجبات الشرعية التي نص عليها القرآن الكريم ، والافضل هو إبراء ذمته ، والتصديق عليه بذلك ، فقد قال الله تعالى : (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) (٤٦).

وقد وردت الروايات المعتبرة عن أهل البيت (عليهم السلام) في تأكيد هذا الامر بأساليب متعددة .

فعن عبد الرحمان بن أبي عبد الله عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال في يوم حارّ وحنا كفه : من أحب أن يستظل من فور جهنم ؟ قالها ثلاث مرات ، فقال الناس في كل مرة : نحن يا رسول الله . فقال من أنظر غريماً أو ترك المعسر . ثم قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) قال عبد الله بن كعب بن مالك : إن أبي أخبرني أنه لزم غريماً له في المسجد ، فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فدخل بيته ونحن جالسان ، ثم خرج في الهاجرة ، فكشف رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله ستره فقال : يا كعب ، ما زلتما جالسين ؟ قال : نعم بأبي وأمي ، قال : فأشار رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكفه خذ

النصف ، قال : فقلت : بأبى وأمى ، ثم قال : اتبعه ببقية حقك . قال : فأخذت النصف ووضعت له النصف «(٤٧)» .

وعن معاوية بن عمار عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال : « من أراد أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله ؟ قالها ثلاثاً فهابه الناس أن يسألوه ، فقال : فليُنظر معسراً ، أو ليدع له من حقه «(٤٨)» .

وعنه (عليه السلام) قال : « سعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، ليبلغ الشاهد منكم الغائب . ألا ومن أنظر معسراً كان له على الله عز وجل فى كل يوم صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه ، ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام) : (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وإن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) إنه معسر فتصدقوا عليه بما لكم عليه ، فهو خير لكم «(٤٩)» .

تحليل الميت والحي من الدين

المفردة الرابعة : تحليل المدين من الدين ، ولا سيما الميت ، فإن ذلك من أفضل انواع الصدقات ، وأرقى درجات الاحسان ، حيث يُحسن إليه بالقرض - كما سوف نشير إليه - ويحسن إليه أيضاً بإبراء ذمته وتحليه مرة أخرى .

وقد أكد أهل البيت (عليهم السلام) هذا النوع من الاحسان والتنازل عن هذا الحق ، فقد روى الكليني فى الكافي عن الحسن بن خنيس قال : « قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) : إن لعبد الرحمان بن سيابة ديناً على رجل قد مات ، وكلمناه أن يحلله فأبى ، فقال : ويحه ! أما يعلم أن له بكل درهم عشرة إذا حلّه ، فإذا لم يحلله فإنما له درهم بدل درهم «(٥٠)» .

وعن معتب قال : « دخل محمد بن بشر الوشاء على أبى عبد الله (عليه السلام) فسأله أن يكلم شهاباً أن يخفف عنه حتى ينقضى الموسم ، وكانت له عليه ألف دينار ، فأرسل إليه فأتاه ، فقال له : قد عرفت حال محمد وانقطاعه إلينا ، وقد ذكر أن لك عليه ألف دينار لم تذهب فى بطن ولا فرج ، وإنما ذهبت ديناً على الرجال ، ووضائع وضعها ، فأنا أحب أن تجعله فى حل ، فقال : لعلك ممن يزعم أنه يقبض من حسناته فتعطاها ، فقال : كذلك هو فى أيدينا ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : الله أكرم وأعدل من أن يتقرب إليه عبده فيقوم فى الليلة القرّة ، ويصوم فى اليوم الحار ، ويطوف بهذا البيت ثم يسلبه ذلك فتعطاها ٤ ، ولكن لله فضل كثير يكافئ المؤمن ، فقال : هو فى حل «(٥١)» .

وفى ختام هذا الجانب لابد أن نشير أيضاً إلى وجود مجموعة من المفردات الاخرى التى تعبّر عن هذا النوع من الاحسان ، الذى هو التنازل عن الحقوق ، وقد تقدم الحديث عنها ، من مثل حرمة القطيعة مع المؤمنين حتى لو كان الانسان مظلوماً ؛ فإنه لا يجوز الهجرة اكثر من ثلاثة أيام ، وكذلك غض النظر وغير ذلك .

اليد العليا فى الاحسان

الجانب الرابع : فى الاحسان والمعروف هو أن يكون الانسان ذا يد عليا فى الاحسان ؛ والجانب الثالث ، وإن كان يعبر فى بعد

منه عن مستويات هذا الجانب ، فإن اليد العليا تتحقق تحقّقاً جلياً عندما يبادر الانسان إلى المعروف وصنعه مع الناس ، أو تكون درجته العالية هو أن يصنع المعروف مع من أساء إليه أو ظلمه أو قطعه ، وهو ما نعبر عنه برّد الاساءة بالاحسان ، فهنا مستويان : الاول : المبادرة إلى المعروف ، والثاني : ردّ الاساءة بالاحسان .

١ - المبادرة إلى المعروف

ونجد في أخلاق العلاقات الاجتماعية الماثورة عن أهل البيت (عليهم السلام) مفردات كثيرة ، أشير إلى بعضها في حسن الخلق وفي التودد والمجاملة وفي تقوية البناء الاجتماعي ، وبقية الابحاث السابقة ؛ وهنا نشير إلى بعض النماذج والمفردات .

الانفاق والمعروف

المفردة الاولى : الانفاق على الاصدقاء والمؤمنين والمسلمين عامة ، سواء أكان ذلك بصفة صدقة أو هدية ، أو غير ذلك من صنائع المعروف المالي التي يقوم بها الانسان ، والتي تقى مصارع الهوان ، كما عبّر عن ذلك أمير المؤمنين (٥٢) .

وقد ورد تأكيد الانفاق في القرآن الكريم كثيراً ، ومنه قوله تعالى : (لن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) (٥٣) .

كما وردت روايات كثيرة عن أهل البيت (عليهم السلام) في استحباب الصدقات وأهميتها ، وآثارها الدنيوية والاخرية ، مثل : « إن الصدقة تقضى الدين وتخلف بالبركة » و « تدفع ميتة السوء » و « البرّ والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر » و « إن الله ليعطي بالواحدة عشرة إلى مئة ألف فما زاد » و « استنزلوا الرزق بالصدقة » وأن الصدقة « ما تقع في يد السائل حتى تقع في يد الرب جل جلاله » و « أرض القيامة نار ما خلا ظل المؤمن ، فإن صدقته تظله » و « الصدقة جنة من النار » و « داووا مرضاكم بالصدقة » و « لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه أربع خصال : يحسن خلقه ، وتسخو نفسه ، ويمسك الفضل من قوله ، ويخرج الفضل من ماله » (٥٤) .

ولاهمية هذا الموضوع نجد أهل البيت (عليهم السلام) قد عالجوا فيه مختلف الجوانب والاداب التي يمكن الرجوع إليها في كتب الحديث ، وأكدوا نية القرية وضرورة العمل بها قليلاً أو كثيراً ، وعدم ردّ السائل ، وكذلك صدقة السر والمبادرة فيها ، والاوقات الشريفة لها ، وتقديم صدقة المؤمن على العبادات الاخرى المستحبة ، وشمول الصدقة لجميع الناس ، وكذلك الدواب ، وفضل صدقة الرحم (٥٥) .

وقد ورد التأكيد الكثير لصنع المعروف ، وخصوصاً الانفاق العام في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) . فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « إن من بقاء المسلمين وبقاء الاسلام أن تصير الاموال عند من يعرف فيها الحق ، ويصنع المعروف ، وإن من فناء الاسلام وفناء المسلمين أن تصير الاموال في أيدي من لا يعرف فيها الحق ، ولا يصنع فيها المعروف » (٥٦) .

وعنه (عليه السلام) قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : كل معروف صدقة » [\[٥٧\]](#) .

وعنه (عليه السلام) قال : « المعروف شيء سوى الزكاة ، فتقربوا إلى الله عز وجل بالبرّ وصله الرحم » [\[٥٨\]](#) .

وعن الباقر (عليه السلام) قال : « صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وكل معروف صدقة ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة ، وأول أهل الجنة دخولا إلى الجنة أهل المعروف ، وإن أول أهل النار دخولا إلى النار أهل المنكر » [\[٥٩\]](#) .

وعن أبي بصير قال : « ذكرنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) الاغنياء من الشيعة ، فكأنه كره ما سمع منا فيهم ، فقال : يا أبا محمد : إذا كان المؤمن غنياً وصولاً رحيماً له معروف إلى أصحابه ، أعطاه الله أجر ما ينفق في البر مرتين ضعفين ؛ لأن الله يقول في كتابه : (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقربكم عندنا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ) [\[٦٠\]](#) .

وعنه (عليه السلام) قال : « أيما مؤمن أوصل إلى أخيه المؤمن معروفاً فقد أوصل ذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) » [\[٦١\]](#) .

اطعام الطعام

المفردة الثانية : هي إطعام الطعام وبذله ودعوة الناس إليه ، ولذلك جعل الاسلام هذا العمل من الاعمال الدينية ، كما في بعض الكفارات ، ومن المراسم الاجتماعية ، كما في مراسم الزواج والسفر وغيرها .

وقد وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) روايات عديدة في فضل هذا العمل وأهميته ، منها ما ورد بطريق معتبر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « من الايمان حسن الخلق وإطعام الطعام » [\[٦٢\]](#) .

وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام) قال : « من المنجيات إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس ينام » [\[٦٣\]](#) .

كما ورد عن أبي جعفر (عليه السلام) بطريق معتبر قال : « إن الله عز وجل يحب إهراق الدماء ، وإطعام الطعام » [\[٦٤\]](#) ، والمقصود هنا من إهراق الدماء هو ذبح الذبائح ، وتوفير اللحم في الطعام .

وفي رواية أخرى معتبرة عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : « الرزق أسرع إلى من يطعم الطعام من السكين في السنام » [\[٦٥\]](#) .

القرض للمؤمنين

المفردة الثالثة : هي إقراض المؤمنين وسد حاجاتهم عن هذا الطريق الذي يحفظ ماء وجه المؤمن ، ويغيث لهفته ، ويرفع ضيقه ؛ وقد ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) الحث على هذا المعروف ، وفضلوه على الصدقة ، وقرنوه بالصلاة والعبادة .

روى الكليني بطريق معتبر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « ما من مؤمن أقرض مؤمناً يلتمس وجه الله إلا حسب الله له أجره بحساب الصدقة حتى يرجع إليه ماله » ، وفي رواية : « ما من مسلم أقرض مسلماً » [\[٦٦\]](#) .

كما روى أيضاً بطريق معتبر عنه (عليه السلام) قال : « مكتوب على باب الجنة : الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر » [\[٦٧\]](#) .

وفي رواية الصدوق عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : « الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر ، وصله الاخوان بعشرين ، وصله الرحم بأربعة وعشرين » [\[٦٨\]](#) .

وفي رواية أخرى للكليني عن عقبه بن خالد عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن عثمان بن عمران قال له : « إني رجل موسر ويجيئني الرجل ويسألني الشيء ، وليس هو إبان زكاتي ، فقال له أبو عبد الله (عليه السلام) : القرض عندنا بثمانية عشر ، والصدقة بعشرة ، وماذا عليك إذا كنت كما تقول موسراً أعطيت ، فإذا كان إبان زكاتك احتسبت بها من الزكاة . يا عثمان ، لا تردّه فإن ردّه عند الله عظيم » [\[٦٩\]](#) .

البرّ بالمؤمنين

المفردة الرابعة : هي البرّ بالمؤمنين وإدخال السرور عليهم واللطف بهم وإتحافهم ، فإن في ذلك المزيد من الاحسان والمعروف واليد العليا عليهم ، وقد وردت الاحاديث المتعددة في الحث على هذا النوع من الاحسان والمعروف .

فقد روى الكليني بطريق معتبر عن أبي حمزة الثمالي قال : « سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من سرّ مؤمناً فقد سرّني ، ومن سرّني فقد سرّ الله عزوجل » [\[٧٠\]](#) .

عن مفضل بن عمر عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : « لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنه عليه أدخله فقط ، بل والله علينا ، بل والله على رسول الله (صلى الله عليه وآله) » [\[٧١\]](#) .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث صحيح قال : « أوحى الله عزوجل إلى داود (عليه السلام) : إن العبد من عبادي ليأتيني بالحسنه فأبيحه جنتي ، فقال داود (عليه السلام) : يا رب ، وما تلك الحسنه ؟ قال : يُدخل على عبدي المؤمن سروراً ولو بتمرّة ، قال داود : يا رب ، حقّ لمن عرفك ألاّ يقطع رجاءه منك » [\[٧٢\]](#) .

وعن جميل عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « سمعته يقول : إن مما خص الله به المؤمن أن يعرفه برّ إخوانه وإن قلّ ، وليس البرّ بالكثرة ، وذلك أن الله عزوجل يقول في كتابه : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) ثم قال : (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ

نفسه فأولئك هم المفلحون)، ومن عرفه الله عز وجل بذلك أحبه، ومن أحبه الله تبارك وتعالى وقَّاه أجره يوم القيامة بغير حساب، ثم قال: يا جميل ارو هذا الحديث لآخوانك فإنه ترغيب في البر [\[٧٣\]](#).

وعن بكر بن محمد قال: « أكثر ما كان يوصينا به أبو عبد الله (عليه السلام) البر والصلة [\[٧٤\]](#) ».

وعن سعدان بن مسلم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: « من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاة كتب الله عز وجل له عشر حسنات، ومن تبسم في وجه أخيه كانت له حسنة [\[٧٥\]](#) ».

وعن زيد بن أرقم قال: « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) مافي أمتي عبد ألطف أخاه في الله بشيء من لطف إلا ألطفه الله من خدم الجنة [\[٧٦\]](#) ».

٢- ردّ الاساءة بالاحسان

والمستوى الثاني من اليد العليا في الاحسان هو رد الاساءة بالاحسان، فإن ذلك يعنى اعلى درجه فى الاحسان؛ فأداء الحقوق الواجبة يُعدّ الدرجة الأولى، والتنازل عن الحق يُعدّ الدرجة الثانية، والمبادرة إلى الاحسان يعدّ الدرجة الثالثة؛ وأما أن يحسن الانسان فى مقابل الاساءة فهذا هو أعلى المستويات، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المستوى من الاحسان فى وصف الخاصة من المؤمنين وجعله فرضاً على الانبياء فى عدة مواضع: (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانيةً ويدرون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) [\[٧٧\]](#).

وقد ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) روايات عديدة تؤكد هذا الخلق وتجعله (خير الخلائق) وأعلاها، وتذكر هذه الروايات عدة نماذج ومصاديق يبتلى بها الانسان تجسّد هذا الخلق الفاضل.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى خطبة: ألا أخبركم بخير خلاق [أخلاق الدنيا والاخرة؟] العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والاحسان إلى من أساء اليك واعطاء من حرمك [\[٧٨\]](#) ».

وفى رواية معتبرة عن أبي حمزة الثمالى عن على بن الحسين (عليه السلام) قال: « سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الاولين والاخرين فى صعيد واحد، ثم ينادى مناد أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس فتتلقاهم الملائكة فيقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا نصل من قطعنا، ونعطى من حرمانا، ونعفو عمن ظلمنا، قال: فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنة [\[٧٩\]](#) ».

وعن محمد بن على بن الحسين عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فى وصيته لمحمد بن الحنفية قال: « لا يكونن أخوك على

قطيعتك أقوى منك على صلته ، ولا على الاساءة إليك أقدر منك على الاحسان إليه «(٨٠)» .

وعن زرارة قال : « سمعت أبا عبد الله(عليه السلام) يقول : إنا أهل بيت مروّتنا العفو عمّن ظلمنا «(٨١)» .

وعن علي بن جعفر بن محمد قال : « إن محمد بن اسماعيل شاء أن يستأذن عمه أبا الحسن موسى(عليه السلام) في الخروج إلى العراق ، قال : فأذن له ، فقام محمد بن اسماعيل فقال : يا عم أحب أن توصيني ، فقال : أوصيك أن تتقى الله في دمي ، قال : ثم ناوله أبو الحسن(عليه السلام) صرة فيها مئة وخمسون ديناراً ، فقبضها محمد ، ثم ناوله أخرى فيها مئة وخمسون ديناراً فقبضها ، ثم أعطاه أخرى فيها مئة وخمسون ديناراً فقبضها ، ثم أمر له بألف وخمسة درهم كانت عنده ، فقلت له في ذلك فاستكثرته ، فقال : هذا ليكون اوكد لحجتي عليه إذا قطعني ووصلته ، ثم ذكر أنه سعى بعمّه إلى الرشيد وأنه يدعى الخلافة ويجيء له الخراج ، فأمر له بمئة ألف درهم ومات في تلك الليلة «(٨٢)» .

سادساً : القدوة والسلوك المتميز

لا شك أن إيجاد الانسان الاسوة والقدوة من أهم الاهداف التي استهدفها أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ، كما أشرنا إلى ذلك في عدة مواضع من الاهداف والخصائص والجانب الروحي والاخلاقي وفي الاسس والقواعد لنظرية العلاقات الاجتماعية وغيرها من المواضع ؛ باعتبار أن القدوة لها ابعاد في التأثير .

وهنا نريد أن نتحدث عن البناء الفوقي الذي رسمه أهل البيت للقدوة في العلاقات الاجتماعية وتأثيرها في هذا المجال .

القدوة والعلاقات الاجتماعية

ونجد أهل البيت يؤكدون وجود العلاقة بين القدوة والعلاقات الاجتماعية وأثرها في ترسيخ دعائم هذه العلاقات وتحقيق الغرض منها .

فقد روى الشريف الرضي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنه قال : « من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه ، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس «(٨٣)» . فإن الفقرة الأخيرة من هذا النص تشير إلى وجود العلاقة بين صلاح النفس وصلاح العلاقات الاجتماعية مع الناس ، وأن القدوة الصالحة تتجسد في الانسان الصالح في نفسه .

وقد تقدم في (الصحبة) النصيحة من أهل البيت بمصاحبة الاخيار باعتبار تأثير العلاقات الاجتماعية والسلوك العام للانسان بالصاحب ؛ فعندما يكون خيراً وقدوة يكون له تأثير في طبيعة الانسان الاخر ؛ ولذلك جاءت التوصية من رسول الله بهذا الشأن على ما رواه ابن عباس قال : « قيل : يا رسول الله اى الجلساء خير ؟ قال : من تذكركم الله رؤيته ويزيد في عملكم منطقته

ويرغبكم في الآخرة عمله» [٨٤] ، فإن الفقرتين الأولى والآخرة ترتبطان بتأثير القدوة على الآخرين في العلاقات .

وفي هذا المجال يمكن أن نقسم صفات القدوة ذات التأثير في العلاقات الاجتماعية إلى قسمين :

أحدهما : الصفات التي تعبر عن الارتباط بين الإنسان القدوة مع الله تعالى ، والتي عبّر عنها قول أمير المؤمنين (عليه السلام) « من أحسن فيما بينه وبين الله ... » .

ثانيهما : الصفات التي تعبر عن السلوك المتميز للإنسان القدوة في العلاقات الاجتماعية .

الارتباط بالله تعالى

أما القسم الأول من الصفات فقد ذكرها الأخلاقيون وعلماء الحديث في جهاد النفس والصفات الحميدة ، وهي كثيرة نشير هنا إلى أهمها ، وهي اليقين بالله تعالى وحسن الظن به ، والتوكل عليه ، والحب لله ، والرجاء له ، والخوف منه .

وقد اهتم أهل البيت في بناء الكتلة الصالحة بهذه الصفات باعتبارها الأساس الروحي والأخلاقي لشخصية الإنسان الصالح ؛ وقد تناولنا هذا الجانب سابقاً في البناء الروحي والأخلاقي عندما أشرنا إلى موضوع جهاد النفس والخطوط العامة له .

وهنا نشير إلى بعض الأحاديث الشريفة ذات الصلة بهذه الصفات مما يرتبط بالعلاقات الاجتماعية :

اليقين بالله

١ - فقد ورد في موضوع (اليقين بالله) عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال : « ليس شيء إلا وله حد ، قلت : جعلت فداك فما حد التوكل ؟ قال : اليقين . قلت : فما حد اليقين ؟ قال : ألا تخاف مع الله شيئاً » [٨٥] .

وهذا الحديث تعبير عن الآية الكريمة : (الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً) [٨٦]

وفي رواية أخرى معتبرة توضح هذا المعنى في صلة اليقين بالعلاقات الاجتماعية عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : « من صحه يقين المرء المسلم أن لا يرضى الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله ؛ فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره ؛ ولو أن أحدكم فرّ من رزقه كما يفر من الموت لادرّكه رزقه كما يدركه الموت ، ثم قال : إن الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط » [٨٧] .

التوكل على الله

٢- والتوكل على الله تعالى في العمل الاجتماعي والحركة السياسية في المجتمع صفة مهمة في القدوة بعد أن يبذل الانسان كل جهده ويستجيب لوظيفته في هذا العمل والحركة . وقد ورد عن الامام علي بن الحسين (عليه السلام) قال : « خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط فاتكأت عليه ، فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في تجاه وجهي ، ثم قال : يا علي بن الحسين ، مالي أراك كئيباً حزيناً ؟ أعلی الدنيا فرزق الله حاضر للبر والفاجر ؟ قلت : ما على هذا احزن وإنه لكما تقول ، قال : فعلى الآخرة فوعدٌ صادق يحكم فيه ملك قاهر ؟ (أو قال : قادر) ، قلت : ما على هذا احزن وإنه لكما تقول ، فقال : ما حزنك ؟ قلت : مما نتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس ، قال : فضحك ثم قال : يا علي بن الحسين (عليه السلام) ، هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه ؟ قلت : لا ، قال : فهل رأيت أحداً توكل على الله فلم يكفه ؟ قلت : لا ، قال : فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه ؟ قلت : لا ، ثم غاب عني » ([٨٨]).

فإن الامام وإن كان قد طرح في السؤال موضوعاً اجتماعياً وهو التخوف من فتنة ابن الزبير وآثارها على الناس ، فالجواب جاء يؤكد على التوكل بعد أن لم يكن باليد شيء من العمل يقوم به الامام (عليه السلام).

حسن الظن بالله

٣- وحسن الظن بالله تعالى في سيرة العبد في حياته الدنيوية والاخروية له آثار عظيمة في الحياة كلها ؛ فقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال : « أحسن الظن بالله ، فإن الله عز وجل يقول : أنا عند ظن عبدي المؤمن بى إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً » ([٨٩]).

وفي حديث معتبر عن بريد بن معاوية ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : « وجدنا في كتاب علي (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال على منبره : والذي لا إله إلا هو ما أعطى مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ، ورجائه له ، وحسن خلقه ، والكف عن اغتياب المؤمنين ؛ والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصير من رجائه له ، وسوء خلقه ، واغتياب المؤمنين ؛ والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن ؛ لأن الله كريم بيده الخير يستحي أن يكون عبده المؤمن قد احسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه » ([٩٠]).

ولا شك أن هذا الظن له انعكاس طبيعي على النظرة إلى العلاقات الاجتماعية مع الناس وثباتها واستمرارها .

فقد روى الصدوق في من لا يحضره الفقيه بإسناده في وصية علي (عليه السلام) لولده محمد بن الحنفية قال : « ولا يغلبن عليك سوء الظن بالله عز وجل ؛ فإنه لن يدع بينك وبين خليلك صلحاً » ([٩١]).

حب الله

٤ - وحب الله من أعظم الصفات التي تنسحب على جميع مناحي حياة الانسان ; وقد اكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) [\[٩٢\]](#) ، وكذلك قوله تعالى : (والذين آمنوا أشد حبا لله) [\[٩٣\]](#) .

وقد وردت روايات أهل البيت (عليهم السلام) تؤكد هذه الصفة في العلاقات الاجتماعية ، وتجعلها قائمة على اساس الحب في الله والبغض في الله تعالى ، واعتبرت أن حقيقة الدين هو هذا الحب وهذه المودة ، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك عندما تحدثنا عن محتوى العلاقة الاجتماعية وقلنا إنها هي المودة والحب ، وأعلى مستوى لهذه المودة وهذا الحب أن يكونا حباً ومودة في الله تعالى .

فقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله فهو ممن كمل إيمانه » [\[٩٤\]](#) .

وفي رواية معتبرة عن أبي حمزة الثمالي ، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال : « إذا جمع الله الأولين والآخرين قام مناد فنادى يسمع الناس فيقول : أين المتحابون في الله ؟ قال : فيقوم غنق من الناس فيقال لهم : اذهبوا إلى الجنة بغير حساب ، قال : فتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة بغير حساب ، قال : ويقولون : وأي حزب أنتم من الناس ؟ فيقولون : نحن المتحابون في الله ، قال : فيقولون : أي شيء كانت أعمالكم ؟ قالوا : كنا نحب في الله ونبغض في الله ، قال : فيقولون : نعم أجز العالمين » [\[٩٥\]](#) .

وفي رواية صحيحة السند عن أبي عبيدة زياد الحذاء ، عن أبي جعفر (عليه السلام) (في حديث) أنه قال له : « يا زياد ، ويحك ! وهل الدين إلا الحب ؟ ألا ترى إلى قول الله لمحمد (صلى الله عليه وآله) : (حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) وقال : (يحبون من هاجر إليهم) فقال : الدين هو الحب ، والحب هو الدين » [\[٩٦\]](#) .

الرجاء والخوف من الله

٥ - ومن هذه الصفات العالية رجاء العبد لله تعالى في كل أمر مهما ضاقت به الاحوال أو اشتدت عليه الامور أو تراكمت عليه الذنوب ، والخوف من الله تعالى في كل الاحوال مهما صلح حاله أو كثرت عبادته ; وقد أكد القرآن الكريم على هذه الصفة في مواضع عديدة عندما تحدث عن المؤمنين : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) [\[٩٧\]](#) .

وقوله تعالى : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) [\[٩٨\]](#) وقوله تعالى : (وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين) [\[٩٩\]](#) .

وفي رواية عن علي بن إبراهيم ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « كان أبي يقول : إنه ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران ، نور خيفة ونور رجاء ; لو وزن هذا لم يزد على هذا ، ولو وزن هذا لم يزد على هذا » [\[١٠٠\]](#) .

وعن حماد بن عيسى ، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) قال : « كان فيما أوصى به لقمان لابنه أن قال : يا بني خف الله خوفاً لو جنته ببر الثقلين خفت أن يعذبك الله ، وارج الله رجاء لو جنته بذنوب الثقلين رجوت أن يغفر الله لك » ([١٠١]).

وروى الشريف الرضى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال في خطبة له : « يدعى بزعمه أنه يرجو الله ؛ كذب والعظيم ؛ ما باله لا يتبين رجاءه في عمله ؟! فكل من رجا عُرف رجاءه في عمله ، وكل رجاء إلا رجاء الله فإنه مدخول ، وكل خوف محقق إلا خوف الله فإنه معلول ؛ يرجو الله في الكبير ، ويرجو العباد في الصغير فيعطى العبد ما لا يعطى الرب ، فما بال الله جل ثناؤه يُقَصِّر به عما يُصنع به لعباده ؟ أتخاف أن تكون في رجائك له كاذباً ؟ أو تكون لا تراه للرجاء موضعاً ؟ وكذلك إن هو خاف عبداً من عبيده أعطاه من خوفه ما لا يعطى ربّه ، فجعل خوفه من العباد نقداً وخوفه من خالقه ضماراً ووعداً ... » ([١٠٢]).

الصفات التي تعبر عن السلوك المتميز

وأما القسم الثاني وهو الصفات التي تعبر عن السلوك المتميز والقُدوة في العلاقات الاجتماعية فهي عديدة ، وقد تحدثنا عن عدد منها في هذا البحث حيث كان لها ارتباط بتلك الموضوعات مثل التواضع والعفة والحلم والعفو والرفق وكظم الغيظ ؛ ونشير هنا إلى مجموعة أخرى من مفردات هذه الصفات التي لها أهمية خاصة في العلاقات الاجتماعية ، وتعبر عن القدوة في العلاقات وهي الصبر والزهد ، والحياء ، واداء الامانة ، والقناعة ، والورع عن المحارم ، والاستدامة في العمل .

الصبر

يتعرض الانسان في حركته الاجتماعية وعلاقاته مع الناس إلى مشاكل وتعقيدات ومحن وآلام واختبار وامتحان ؛ ولذلك فهو في أشد الحاجة إلى الطاقة والقوة التي يتغلب بها على جميع هذه المصاعب ويجتاز بها هذا الطريق ويتحمل بها الضغوط ، وهذه الطاقة إنما هي الصبر والصمود ؛ وقد ورد في القرآن الكريم في آيات عديدة التأكيد للصبر ومدحه والثناء عليه وما اعده الله تعالى من اجر وثواب للصابرين .

كما ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) التأكيد لذلك في احاديث كثيرة ، ولعل من أفضل هذه الاحاديث ما رواه الكليني في اصول الكافي في باب الصبر ، وقد جمع فيه بين الايات القرآنية والحديث الشريف . عن حفص بن غياث قال : « قال أبو عبد الله (عليه السلام) : يا حفص ، إن من صبر صبر قليلاً ، وإن من جزع جزع قليلاً ، ثم قال : عليك بالصبر في جميع امورك ؛ فإن الله عزوجل بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) فأمره بالصبر والرفق ، فقال : (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً) * وذرنى والمكذبين أولى النعمة) وقال (ادفع بالتي هي أحسن [السينة] ([١٠٣]) فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فصبر حتى نالوه بالعظائم ، ورموه بها فضاقت صدره فأنزل الله عليه : (ولقد نعلم أنه يضيق صدوركم بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) ثم كذبوه ورموه فحزن لذلك فأنزل الله : (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * ولقد كُذِّبت رسل من قبلك

فصبروا على ما كُذِّبوا وأوذوا حتى آتاهم نصرنا) فألزم النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه الصبر فتعدوا فذكروا الله تبارك وتعالى فكذبوه فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر الهى؛ فأنزل الله عز وجل: (فاصبر على ما يقولون) فصبر في جميع احواله، ثم بشر في عترته بالائمة (عليهم السلام) ووصفوا بالصبر فقال جل ثناؤه: (وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فعند ذلك قال النبي (صلى الله عليه وآله): الصبر من الايمان كالرأس من الجسد، فشكر الله ذلك له فأنزل الله (وتمت كلمه ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) فقال: انه بشرى وانتقام، فأباح الله له قتال المشركين فأنزل الله (اقتلوا) [١٠٤] المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، (واقتلوهم حيث ثقتموهم) فقتلهم الله على يدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) واحبائه وجعل له ثواب صبره مع ما اذخر له فى الآخرة؛ فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله له عينه فى اعدائه مع ما يدخر له فى الآخرة» [١٠٥].

وعن محمد بن على بن الحسين عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فى وصيته لمحمد بن الحنفية قال: «ألق عنك وارادات الهموم بعزائم الصبر؛ عود نفسك الصبر فنعم الخلق الصبر، واحملها على ما أصابك من احوال الدنيا وهمومها» [١٠٦].

وعن أبى بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: إني لاصبر من غلامى هذا ومن أهلى على ما هو أمر من الحنظل. إنه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم، ودرجة الشهيد الذى قد ضرب بسيفه قدام محمد (صلى الله عليه وآله)» [١٠٧].

وعن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «إنا صبر وشيعتنا أصبر منا، قلت: جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟ قال: لانا نصبر على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون» [١٠٨].

الزهد

يتعرض الانسان فى حياته ومعيشته وكذلك فى علاقاته الاجتماعية إلى ضغوط الهوى والشهوات الدنيا ورغباتها المختلفة؛ الامر الذى قد يربك كل مسيرة الانسان عندما يريد أن يستجيب لكل هذه الشهوات والافات؛ ومن ثم يحتاج الانسان إلى نظرة موضوعية للدنيا وما فيها تجعله قادراً على التعامل مع كل هذه الاشياء، ومن خلال العقل والمصلحة وما ينتهى به إلى الكمالات الحقيقية، ويعنى الزهد فى الدنيا معرفه حقيقتها وموقعها من حياة الانسان والنظرة الواقعية الصادقة؛ ولذلك نجد القرآن الكريم يحث على الزهد فى قوله تعالى: (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور * سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن

نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور»([١٠٩]).

وقد جاء الحديث عن أهل البيت(عليهم السلام) يؤكد هذا الاتجاه ويشرحه في سيرة الانسان الصالح (القدوة).

عن محمد بن يحيى عن الهيثم بن واقد الحريري عن أبي عبد الله(عليه السلام)قال: « من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام »([١١٠]).

وعن حفص بن غياث ، عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال : « سمعته يقول : جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا ، ثم قال : قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) : لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي من أكل الدنيا ثم قال أبو عبد الله : حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الايمان حتى تزهد في الدنيا »([١١١]).

وعن أبي حمزة ، عن أبي جعفر(عليه السلام) قال : « قال أمير المؤمنين(عليه السلام) : إن من أعون الاخلاق على الدين الزهد في الدنيا »([١١٢]).

وعن علي بن هاشم بن البريد ، عن أبيه أن رجلاً سأل علي بن الحسين(عليه السلام)عن الزهد ، فقال : « عشرة أشياء ، فاعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع ، واعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين ، واعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا . ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله عزوجل : (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)»([١١٣]).

وعن جميل بن دراج ، عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال : « مرّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) بجدي أسكّ ملقى على مزبلة ميتاً فقال لأصحابه : كم يساوى هذا ؟ فقالوا : لعله لو كان حياً لم يساو درهماً ، فقال النبي(صلى الله عليه وآله) : والذي نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله »([١١٤]).

وعن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب قال : « سئل علي بن الحسين(عليه السلام) أى الاعمال أفضل عند الله عزوجل ؟ فقال : ما من عمل بعد معرفة الله عزوجل ومعرفة رسوله(صلى الله عليه وآله) أفضل من بغض الدنيا ؛ وإن لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعباً ، فأول ما غصى الله به الكبير ، وهى معصية ابليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين ، والحرص وهى معصية آدم وحواء »([١١٥]) حين قال الله عزوجل لهما : (كلا) [١١٦]) من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) فأخذا ما لا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة ؛ وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه ، ثم الحسد وهى معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله ، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة ، فصرن سبع خصال ، فاجتمعن كلهن فى حب الدنيا ، فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والدنيا دنيا آن [١١٧]) : دنيا بلاغ ودنيا ملعونة »([١١٨]).

القناعة

وتكون القناعة جانباً من الخلفية النفسية للانسان الذي يكون زاهداً في هذه الدنيا ، ويكون قادراً نفسياً وروحياً على التعامل مع شهواتها ولذاتها ، ولذلك لابد للانسان أن يربى نفسه على التحلى بهذه الصفة .

وقد أكد القرآن الكريم هذه الصفة في مثل قوله تعالى : (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) [\[١١٩\]](#) .

أو في مثل قوله تعالى : (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) [\[١٢٠\]](#) .

وقد ورد الحديث عن أهل البيت (عليهم السلام) يؤكد هذه الصفة المتميزة في سلوك الانسان .

ففي رواية عن احمد بن أبي عبد الله ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « مكتوب في التوراة : ابن آدم كن كيف شئت كما تدين تُدان ، من رضى من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ، ومن رضى باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور » [\[١٢١\]](#) .

وعنه (عليه السلام) قال : « من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس » [\[١٢٢\]](#) .

وعن حمزة بن حران قال : « شكا رجل إلى أبي عبد الله (عليه السلام) أنه يطلب فيصيب ولا يقنع ، وتنازعه نفسه إلى ما هو أكثر منه ، وقال : علمنى شيئاً أنتفع به ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : إن كان ما يكفيك يغنيك ، فأدنى ما فيها يغنيك ، وإن كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك » [\[١٢٣\]](#) .

الورع عن المحارم

ويعتبر الورع عن المحارم الجانب الآخر من الخلفية النفسية للزهد في الدنيا وشهواتها ؛ حيث يجب على الانسان أن يختار من الدنيا ما حلل الله تعالى له منها : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون) [\[١٢٤\]](#) . ويجتنب الفواحش والاثم والرجس والزور ؛ وقد جعل الله تعالى في مقدمة صفات المؤمن بعد إيمانه بالله وتوكله عليه هذه الصفة : (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون) [\[١٢٥\]](#) .

لذا جاء عن أهل البيت (عليهم السلام) التأكيد لاهمية ودور اجتناب المحارم والورع عنها ففي رواية عن علي بن ابراهيم . عن عمرو بن سعيد بن هلال الثقفي ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « قلت له : إني لا ألقاك إلا في السنين ، فأخبرني بشيء آخذ به ، فقال : أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد ؛ واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه » [\[١٢٦\]](#) .

وعن أبي الحسن الاول (عليه السلام) قال : « كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول : ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في

خدورهنّ ، وليس من اوليائنا من هو فى قريّه فيها عشرة آلاف رجل فيهم من خلق الله أروع منه »([١٢٧]).

وعن حنان بن سدير قال : « قال أبو الصباح الكناني لابی عبد الله (عليه السلام) : ما نلقى من الناس فيك ؟! فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : وما الذى تلقى من الناس فى ؟ فقال : لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول : جعفرى خبيث ، فقال : يعيركم الناس بى ؟! فقال له أبو الصباح : نعم . قال : فقال : ما أقلّ والله من يتبع جعفرأ منكم ، إنما أصحابى من اشتدّ ورعه ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه ، فهؤلاء أصحابى »([١٢٨]).

وعن أبى جعفر (عليه السلام) قال : « كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث : عين سهرت فى سبيل الله ، وعين فاضت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله »([١٢٩]).

وعن أبى عبد الله (عليه السلام) قال : « فيما ناجى الله عزوجل به موسى (عليه السلام) : يا موسى ، ما تقرب إلى المتقربون بمثل الورع عن محارمى ، فإنى أبيعهم جنات عدن لا أشرك معهم أحداً »([١٣٠]).

الحياء

ويعدّ الحياء صفة نفسية وخلقية عالية تمنع الانسان من الاندفاع فى الشهوات والانسياق مع الغرائز ، وتعطى فرصة للعقل فى التحكم بسيرة الانسان واختيار الصالح فيها ؛ ولذلك جاء التأكيد لاهمية هذه الصفة فى الانسان خصوصاً فى النساء باعتبار ما اودع فيها من الشهوة بما يزيد على الرجل ؛ فإن الحياء هو الذى يضبط هذه الشهوة .

فقد روى الكليني فى الكافى بطريق معتبر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : « خلق الله الشهوة عشرة أجزاء ، فجعل تسعة أجزاء فى النساء وجزءاً واحداً فى الرجال ؛ ولولا ما جعل الله فيهن من الحياء على قدر اجزاء الشهوة لكان لكل رجل تسع نسوة متعلقات به »([١٣١]).

ومن هنا نجد أهل البيت (عليهم السلام) يجعلون الحياء من الايمان ؛ وبدون الحياء فلا ايمان .

روى الكليني فى الكافى بطريق معتبر عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : « الحياء من الايمان والايمان فى الجنة »([١٣٢]).

وعن معاذ بن كثير عن احدهما (عليهما السلام) قال : « الحياء والايمان مقرونان فى قرن ، فإذا ذهب احدهما تبعه صاحبه »([١٣٣]).

وعن احمد بن أبى عبد الله عن بعض أصحابنا ، رفعه قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : الحياء حياءان : حياء عقل

وحياء حمق ، فحياء العقل ، هو العلم وحياء الحمق هو الجهل «(١٣٤)» .

الصدق وأداء الأمانة

ولعل من أكثر الصفات المتميزة ذات الصلة المباشرة بالعلاقات الاجتماعية ، والتي تعبّر عن القدوة الصالحة هما الصدق والأمانة ، وقد عرف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه كان يوصف قبل البعثة بالصادق الأمين وكان لهذه الصفة دور مهم في التأثير على مسيرة الدعوة الإسلامية .

وقد أكد القرآن الكريم هذه الصفة فأمر بها ونهى عن مخالفتها ووصف عباده المؤمنين بها في آيات عديدة ، كما وصف بها بعض أنبيائه في مقام التأكيد لأهميتها ، ومنه قوله تعالى : (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) (١٣٥) وقوله تعالى : (واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) (١٣٦) وقوله تعالى : (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) (١٣٧) .

وقد ورد حديث أهل البيت (عليهم السلام) ليؤكد على هذه الصفة كثيراً فقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : « إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر » (١٣٨) .

وعن اسحاق بن عمار وغيره ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم ؛ فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة » (١٣٩) .

وعن عمرو بن أبي المقدام قال : « قال لي أبو جعفر (عليه السلام) في أول دخلة دخلت عليه : تعلّموا الصدق قبل الحديث » (١٤٠) .

وعن أبي كهمس قال : « قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : عبد الله بن أبي يعفور يقرئك السلام . قال : عليك وعليه السلام . إذا أتيت عبد الله فأقرئه السلام وقل له : إن جعفر بن محمد يقول لك : انظر ما بلغ به علي (عليه السلام) عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فالزمه ، فإن علياً (عليه السلام) أنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) بصدق الحديث وأداء الأمانة » (١٤١) .

وعن عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « كونوا دعاة للناس بالخير بغير الستمكم ؛ ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع » (١٤٢) .

الاستقامة

ومن جملة هذه الصفات الاستقامة في العمل والثبات فيه والاستمرار عليه ; فإن هذه الصفة لها تأثير كبير في بناء شخصية الانسان وتطور العلاقات الاجتماعية واثباتها .

وقد أكد أهل البيت (عليهم السلام) هذه الصفة من خلال النصح بالبقاء والاستمرار في العمل سنه على الاقل من أجل أن لا يوجد انطباع للانسان أنه متغير ومتقلب ، بالاضافة إلى أن نتائج العمل لا تظهر عادة في وقت قصير بل لابد من الصبر والانتظار فيه حتى يتأكد الانسان من صلاحه وفساده .

فقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال : « احب الاعمال إلى الله عزوجل مداوم عليه العبد وإن قل » [\[١٤٣\]](#) وكذلك روى بطريق معتبر عن علي بن الحسين (عليهما السلام) أنه كان يقول : « إني لاحب أن اداوم على العمل وإن قل » [\[١٤٤\]](#) و« إني لاحب أن أقدم على ربي وعملى مستو » [\[١٤٥\]](#) .

نماذج لصورة القدوة الصالحة

وقد أراد أهل البيت (عليهم السلام) من خلال هذه الارشادات والنصائح أن توجد الجماعة الصالحة بل القدوة الصالحة في المجتمع الاسلامي ، كما اشاروا إلى ذلك في بعض الاحاديث السابقة ; ولذلك نجد أهل البيت (عليهم السلام) يؤكدون على شيعتهم - بل يستنكرون احياناً غير ذلك - ان يتحلوا بأعلى الاخلاق الاسلامية الراقية التي تجسد هذه القدوة .

وهنا نشير إلى بعض النماذج التي تحدث فيها أهل البيت (عليهم السلام) عن شيعتهم الحقيقيين والقدوة الراقية للجماعة الصالحة .

عن حمran بن أعين ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « كان علي بن الحسين (عليه السلام) قاعداً في بيته إذ قرع قوم عليهم الباب فقال : يا جارية ، انظري من بالباب ؟ فقالوا : قوم من شيعتك ، فوثب عجلأً حتى كاد أن يقع ، فلما فتح الباب ونظر إليهم رجع فقال : كذبوا ! فأين السم في الوجوه ؟ أين أثر العبادة ؟ أين سيماء السجود ؟ إنما شيعتنا يعرفون بعبادتهم وشعئهم ، قد فرحت العبادة منهم الاناف ، ودثرت الجباه والمساجد ; خمص البطون ، ذبل الشفاه ، قد هيئت العبادة وجوههم ، وأخلق سهر الليالي وقطع الهواجر جثثهم ; المسبحون إذا سكت الناس ، والمصلون إذا نام الناس ، والمحزونون إذا فرح الناس ; يعرفون بالزهد ، كلامهم الرحمة ، وتشاغلهم بالجنة » [\[١٤٦\]](#) .

وعن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : « قال : يا جابر ، أنما شيعه علي (عليه السلام) من لا يعدو صوته سمعه ولا شحناؤه بدنه ; لا يمدح لنا قالياً ، ولا يواصل لنا مبغضاً ولا يجالس لنا عائباً ، شيعه علي (عليه السلام) من لا يهرُّ هرير الكلب ، ولا يطمع

طمع الغراب ، ولا يسأل الناس وإن مات جوعاً ، أولئك الخفيضة عيشهم [\[١٤٧\]](#) المنتقلة ديارهم ؛ إن شهدوا لم يعرفوا ، وإن غابوا لم يفتقدوا ، وإن مرضوا له يعادوا ، وإن ماتوا لم يشهدوا ؛ في قبورهم يتزاوون . قلت : وأين أطلب هؤلاء ؟ قال : في أطراف الارض بين الاسواق ، وهو قول الله عزوجل : (أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين) [\[١٤٨\]](#) .

وعن أبي بصير قال : « قال الصادق (عليه السلام) : شيعتنا أهل الورع والاجتهاد وأهل الوفاء والامانة ، وأهل الزهد والعبادة ؛ أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم واللييلة ، القائمون بالليل ، الصائمون بالنهار ، يزكون أموالهم ويحجون البيت ويجتنبون كل محرّم » [\[١٤٩\]](#) .

وعن ابن أبي نجران قال : « سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول : من عادى شيعتنا فقد عادانا ، ومن والاهم فقد والانا ، لانهم منا ، خلقوا من طينتنا ؛ من أحبهم فهو منا ، ومن أبغضهم فليس منا . شيعتنا ينظرون بنور الله ، ويتقلبون في رحمته الله ، ويفوزون بكرامة الله ؛ ما من أحد من شيعتنا يمرض إلا مرضنا لمرضه ، ولا اغتم إلا اغتمنا لغمّه ، ولا يفرح إلا فرحنا لفرحه ، ولا يغيب عنا أحد من شيعتنا أين كان في شرق الارض أو غربها ، ومن ترك من شيعتنا ديناً فهو علينا ، ومن ترك منهم مالاً فهو لورثته . شيعتنا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجون البيت الحرام ويصومون شهر رمضان ويوالون أهل البيت ويتبرّون من أعدائهم ، أولئك أهل الايمان والتقوى ، وأهل الورع والتقوى ، من ردّ عليهم فقد ردّ على الله ، ومن طعن عليهم فقد طعن على الله ؛ لانهم عباد الله حقاً ، وأولياؤه صدقاً . والله إن أحدهم ليشفع في مثل ربيعه ومضر فيشفعه الله فيهم لكرامته على الله عزوجل » [\[١٥٠\]](#) .

ونختم هذه النماذج بالنص الرائع المروى عن أمير المؤمنين في تصوير شيعة أهل البيت (عليهم السلام) المعروف بوصف المتقين والذي اشرنا إلى بعض فقراته في خصائص الجماعة الصالحة [\[١٥١\]](#) .

« أما بعد ، فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم ، آمناً من معصيتهم ؛ لانه لا تضره معصية من عصاه ، ولا تنفعه طاعة من أطاعه ، فقسم بينهم معاشهم ، ووضعهم من الدنيا مواضعهم ؛ فالمتقون فيها هم أهل الفضائل : منطقتهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ، ومشيمهم التواضع . غصوا ابصارهم عما حرم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم . نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتى نزلت في الرخاء ، ولولا الاجل الذى كتب الله عليهم لم تستقر ارواحهم فى اجسادهم طرفه عين ؛ شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب . عظم الخالق فى انفسهم فصغر مادونه فى أعينهم . فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون ، وهم والنار كمن قد رآها ، فهم فيها معذبون . قلوبهم محزونة ، وشروهم مأمونة ، واجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة . صبروا أياماً قصيرة اعقبتهم راحة طويلة ؛ تجارة مربحة يسرها لهم ربهم . ارادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وأسرتهم ففدوا انفسهم منها . أما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء القرآن يرتلون ترتيلاً ، يحزنون به انفسهم ويستثيرون به دواء دائهم ؛ فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً ، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً ، وظنوا أنها نصب اعينهم ، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم ؛ فهم حانون على اوساطهم ، مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم واطراف اقدامهم ، يطلبون إلى الله تعالى فى فكاك رقابهم ، وأما النهار فحلمااء علماء ،

إبرار اتقياء ؛ قد براهم الخوف برى القُداح ، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض ، ويقول : لقد خولطوا ! ولقد خالطهم أمرٌ عظيم ؛ لا يرضون من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير ، فهم لانفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ؛ إذا زكى أحدٌ منهم خاف مما يقال له ، فيقول : أنا اعلم بنفسى من غيرى ، وربى اعلم بى منى بنفسى . اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون ، واجعلنى أفضل مما يظنون ، واغفر لى ما لا يعلمون .

فمن علامه احدثهم أنك ترى له قوة فى دين ، وحزماً فى لين ، وإيماناً فى يقين ، وحرصاً فى علم ، وعلماً فى حلم ، وقصداً فى غنى ، وخشوعاً فى عبادة ، وتجمالاً فى فاقة ، وصبراً فى شدة ، وطلباً فى حلال ، ونشاطاً فى هدى ، وتحرجاً عن طمع ؛ يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسى وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر . يبيت حذراً ويصبح فرحاً ؛ حذاراً لما حذر من الغفلة ، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة . إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب . قره عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقى . يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل . تراه قريباً أمله ، قليلاً زلله ، خاشعاً قلبه ، قانعاً نفسه ، منزوراً أكله ، سهلاً أمره ، حريزاً دينه ، ميثه شهوته ، مكظوماً غيظه ؛ الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون . إن كان فى الغافلين كُتب فى الذاكرين ، وإن كان فى الذاكرين لم يكتب فى الغافلين . يعفو عن ظلمه ، ويعطى من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيداً فحشه ، ليناً قوله ، غائباً منكروه ، حاضراً معروفيه ، مقبلاً خيريه ، مدبراً شره ، فى الزلازل وقور ، وفى المكاره صبور ، وفى الرخاء شكور . لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب . يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، لا يُضيع ما استُحفظ ، ولا ينسى ما ذُكر ، و ينانز باللقاب ، ولا يضار بالجار ، ولا يشمت بالمصائب ، ولا يدخل فى الباطل ، ولا يخرج من الحق . إن صمت لم يغمه صمته ، وإن ضحك لم يعل صوته ، وإن بغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له . نفسه منه فى عناء ، والناس منه فى راحة . أتعب نفسه لاخرته ، وأراح الناس من نفسه . بعده عن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ؛ ليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخديعة » ([١٥٢]) .

[١] وسائل الشيعة ٥٤٤: ١١، ح ٦.

[٢] وسائل الشيعة ٥٤٤: ١١، ح ١ و ٢.

[٣] وسائل الشيعة ٥٤٢: ١١، ح ١ .

[٤] نهج البلاغة، الحكمة ١٠١.

[٥] وسائل الشيعة ٥٤٣: ١١، ح ٢ .

[٦] وسائل الشيعة ٥٣٢: ١١، ح ١.

[٧] وسائل الشيعة ٥٣٢: ١١، ح ٣.

[٨] وسائل الشيعة ٥٣٣: ١١، ح ٤.

[٩] وسائل الشيعة ٥٤٩: ١١، ح ١.

[١٠] وسائل الشيعة ٥٤٩: ١١، ح ٣.

[١١] وسائل الشيعة ٥٥٠: ١١، ح ٧.

[١٢] وسائل الشيعة ٥٥٠: ١١، ح ١٠.

[١٣] وسائل الشيعة ٥٥٢: ١١، ح ٣.

[١٤] هكذا وردت، وفي مجالس ابن الشيخ الذي نقل عنه الوسائل: «فإن قدرتم أن تدفعوها».

[١٥] وسائل الشيعة ٥٥٢: ١١، ح ٧.

[١٦] وسائل الشيعة ٥٣٦: ١١، ح ١.

[١٧] وسائل الشيعة ٥٣٧: ١١، ح ٧.

[١٨] وسائل الشيعة ٥٣٩: ١١، ح ١.

[١٩] وسائل الشيعة ٥٣٩: ١١، ح ٢.

[٢٠] وسائل الشيعة ٥٣٩: ١١، ح ٣.

[٢١] وسائل الشيعة ٨: ٤٩٢، ح ٢.

[٢٢] وسائل الشيعة ٨: ٤٩٣، ح ٣.

[٢٣] وسائل الشيعة ٥٧٦: ١١، ح ٣.

- [٢٤] وسائل الشيعة ٥٧٦: ١١، ح ٤.
- [٢٥] وسائل الشيعة ٥٧٧: ١١، ح ٥.
- [٢٦] وسائل الشيعة ٥٧٩: ١١، ح ١٠.
- [٢٧] وسائل الشيعة ٥٨٦: ١١، ح ١.
- [٢٨] نهج البلاغة، الحكمة ٢٤.
- [٢٩] وسائل الشيعة ٥٩٣: ١١، ح ١.
- [٣٠] جامع أحاديث الشيعة ١٨٧: ١٦، ح ٢، ٣، وفي الباب أحاديث أخرى.
- [٣١] نهج البلاغة، الكلام ١٤١.
- [٣٢] وسائل الشيعة ٥٩٤: ١١ - ٥٩٥، ح ١ و ٢ و ٣ و ٧.
- [٣٣] وسائل الشيعة ٥٩٦: ١١، ح ٢.
- [٣٤] الشورى : ٤٣.
- [٣٥] الشورى : ٤٠.
- [٣٦] وسائل الشيعة ٥١٨: ٨، ب ١١٢، ح ١.
- [٣٧] وسائل الشيعة ٥١٩: ٨، ح ٢.
- [٣٨] وسائل الشيعة ٥١٩: ٨، ح ٥.
- [٣٩] نهج البلاغة، الحكمة ٢١١.
- [٤٠] نهج البلاغة، الحكمة ١١.
- [٤١] نهج البلاغة، الحكمة ٥٢.

[٤٢] وسائل الشيعة ٨: ٥٢، ح ١٠.

[٤٣] وسائل الشيعة ٨: ٥٥٣، ح ١.

[٤٤] وسائل الشيعة ٨: ٥٥٣، ح ٢.

[٤٥] وسائل الشيعة ٨: ٥٥٣، ح ٣.

[٤٦] البقرة : ٢٨٠.

[٤٧] وسائل الشيعة ٥٤٦: ١١، ح ٢.

[٤٨] وسائل الشيعة ٥٤٦: ١١، ح ١.

[٤٩] وسائل الشيعة ٥٤٦: ١١، ح ٤.

[٥٠] وسائل الشيعة ٥٤٨: ١١، ح ١.

[٥١] وسائل الشيعة ٥٤٨: ١١، ح ٢.

[٥٢] راجع نهج البلاغة، الخطبة ١١٠.

[٥٣] آل عمران : ٩٢.

[٥٤] راجع الوسائل ٢٥٥: ٦ - ٢٥٩، من احاديث الباب الاول من أبواب الصدقة.

[٥٥] راجع الوسائل ٢٥٥: ٦، ٣٣٦.

[٥٦] وسائل الشيعة ٥٢١: ١١، ح ١.

[٥٧] وسائل الشيعة ٥٢١: ١١، ح ٢.

[٥٨] وسائل الشيعة ٥٢٢: ١١، ح ٧.

[٥٩] وسائل الشيعة ٥٢٣: ١١، ح ١٠.

[٦٠] وسائل الشيعة ٥٢٤: ١١، ح ١٣ .

[٦١] وسائل الشيعة ٥٢٤: ١١، ح ١٥ .

[٦٢] وسائل الشيعة ٥٥٤: ١١، ح ٢ .

[٦٣] وسائل الشيعة ٥٥٤: ١١، ح ٥ .

[٦٤] وسائل الشيعة ٥٥٤: ١١، ح ٦ .

[٦٥] وسائل الشيعة ٥٥٤: ١١، ح ٨ .

[٦٦] وسائل الشيعة ٥٤٥: ١١، ح ٢ .

[٦٧] وسائل الشيعة ٥٤٥: ١١، ح ٣ .

[٦٨] وسائل الشيعة ٥٤٦: ١١، ح ٥ .

[٦٩] وسائل الشيعة ٢٠٨: ٦، ح ٢ .

[٧٠] وسائل الشيعة ٥٦٩: ١١، ح ١ .

[٧١] وسائل الشيعة ٥٧٠: ١١، ح ٣ .

[٧٢] وسائل الشيعة ٥٧٠: ١١، ح ٧ .

[٧٣] وسائل الشيعة ٥٩١: ١١، ح ١ .

[٧٤] وسائل الشيعة ٥٩٢: ١١، ح ٤ .

[٧٥] وسائل الشيعة ٥٨٩: ١١، ح ١ .

[٧٦] وسائل الشيعة ٥٩٠: ١١، ح ٣ .

[٧٧] الرعد: ٢٢ .

- [٧٨] وسائل الشيعة ٨: ٥٢٠، ح ١ .
- [٧٩] وسائل الشيعة ٨: ٥٢٠، ح ١ .
- [٨٠] وسائل الشيعة ٨: ٥٢٢، ح ٧ .
- [٨١] وسائل الشيعة ٨: ٥٢٢، ح ٨ .
- [٨٢] وسائل الشيعة ٨: ٥٢٢، ح ٩ .
- [٨٣] نهج البلاغة، القسم الثالث: رقم ٤٢٣.
- [٨٤] وسائل الشيعة ٨: ٤١٢، ح ٤ .
- [٨٥] وسائل الشيعة ١١: ١٥٨، ح ٤ .
- [٨٦] الاحزاب : ٣٩ .
- [٨٧] وسائل الشيعة ١١: ١٥٨، ح ٥ .
- [٨٨] وسائل الشيعة ١١: ١٦٦، ح ١ .
- [٨٩] وسائل الشيعة ١١: ١٨٠، ح ١ .
- [٩٠] وسائل الشيعة ١١: ١٨١، ح ٣ .
- [٩١] وسائل الشيعة ١١: ١٨١، ح ٦ .
- [٩٢] آل عمران : ٣١ .
- [٩٣] البقرة : ١٦٥ .
- [٩٤] وسائل الشيعة ١١: ٤٣١، ح ١ .
- [٩٥] وسائل الشيعة ١١: ٤٣٢، ح ٦ .

[٩٦]) وسائل الشيعة ٤٣٥: ١١، ح ١٧ .

[٩٧]) السجدة : ١٦ .

[٩٨]) الاسراء : ٥٧ .

[٩٩]) الاعراف : ٥٦ .

[١٠٠]) وسائل الشيعة ١٧٠: ١١، ح ٤ .

[١٠١]) وسائل الشيعة ١٧٠: ١١، ح ٦ .

[١٠٢]) وسائل الشيعة ١: ١٧١، ح ٨ .

[١٠٣]) هكذا وردت الآية في هذا الحديث ، وفي المصحف لا توجد كلمة «السيئة» في هذه الآية .

[١٠٤]) في المصحف الشريف (فاقتلوا) .

[١٠٥]) وسائل الشيعة ٢٠٧: ١١، ح ١ .

[١٠٦]) وسائل الشيعة ٢٠٨: ١١، ح ٣ .

[١٠٧]) وسائل الشيعة ٢٠٩: ١١، ح ٥ .

[١٠٨]) الكافي ٩٣: ٢، ح ٢٥ .

[١٠٩]) الحديد : ٢٠ - ٢٣ .

[١١٠]) الكافي ٢: ١٢٨، ح ١ .

[١١١]) الكافي ٢: ١٢٨، ح ٢ .

[١١٢]) الكافي ٢: ١٢٨، ح ٣ .

[١١٣]) الكافي ٢: ١٢٨، ح ٤ .

[١١٤] الكافي ٢ : ١٢٩ ، ح ٩ .

[١١٥] المعروف لدى الامامية أن النهي لادم عن الاكل من الشجرة كان نهياً تنزيهياً إرشادياً ، والتعبير بالمعصية هنا تعبير مجازي.

[١١٦] في المصحف الشريف (فكلا) .

[١١٧] هكذا وردت في المصدر، وصوابها «دُئِيَان».

[١١٨] الكافي ٢ : ١٣٠ ، ح ١١ .

[١١٩] التوبة : ٥٥ .

[١٢٠] طه : ١٣١ .

[١٢١] الكافي ٢ : ١٣٨ ، ح ٤ .

[١٢٢] الكافي ٢ : ١٣٩ ، ح ٩ .

[١٢٣] الكافي ٢ : ١٣٩ ، ح ١٠ .

[١٢٤] الاعراف : ٣٢ .

[١٢٥] الشورى : ٣٧ .

[١٢٦] الكافي ٢ : ٧٦ ، ح ١ .

[١٢٧] الكافي ٢ : ٧٩ ، ح ١٥ .

[١٢٨] الكافي ٢ : ٧٧ ، ح ٦ .

[١٢٩] الكافي ٢ : ٨٠ ، ح ٢ .

[١٣٠] الكافي ٢ : ٨٠ ، ح ٣ .

[١٣١] الكافي ٥: ٣٣٨، ح ١.

[١٣٢] الكافي ٢: ١٠٦، ح ١.

[١٣٣] الكافي ٢: ١٠٦، ح ٤.

[١٣٤] الكافي ٢: ١٠٦، ح ٦.

[١٣٥] المؤمنون : ٨.

[١٣٦] مريم : ٥٤.

[١٣٧] الاحزاب : ٣٥.

[١٣٨] الكافي ٢: ١٠٤، ح ١.

[١٣٩] الكافي ٢: ١٠٤، ح ٢.

[١٤٠] الكافي ٢: ١٠٤، ح ٤.

[١٤١] الكافي ٢: ١٠٤، ح ٥.

[١٤٢] الكافي ٢: ١٠٥، ح ١٠.

[١٤٣] الكافي ٢: ٨٢، ح ٤.

[١٤٤] الكافي ٢: ٨٢، ح ٥.

[١٤٥] بحار الانوار ١٦٩: ٦٥، ح ٣٠.

[١٤٦] هكذا وردت في المصدر ، وصوابها إمّا «الخفيضة عيشتهم» أو «الخفيض عيشتهم».

[١٤٧] بحار الانوار ١٦٨: ٦٥، ح ٣٠.

[١٤٨] بحار الانوار ١٦٧: ٦٥، ح ٢٣.

[١٥٠]) بحار الانوار ١٦٧: ٦٥، ح ٢٥.

[١٥١]) ذكر الكراجي في الكنز ياسناده عن ابي حمزة الثمالي عن يحيى بن أم الطويل عن نوف البكالي «قال: عرضت لى إلى امير المؤمنين على بن ابي طالب (عليه السلام) حاجة فاستتبت إليه جندب بن زهير والربيع بن خثيم وابن أخته همام بن عباد بن خثيم وكان من اصحاب البرانس ، فاقبلنا معتمدين لقاء أمير المؤمنين (عليه السلام) فالفينا حين خرج يؤم المسجد ، فافضى ونحن معه إلى نفر مبدئين قد افاضوا فى الاحداث تفكهاً وبعضهم يلهى بعضاً ؛ فلما أشرف لهم امير المؤمنين (عليه السلام) أسرعوا إليه قياماً فسلموا فردّ التحية ثم قال : ثم قال : من القوم ؟ قالوا: أناس من شيعتك يا امير المؤمنين ، فقال لهم خيراً ثم قال : يا هؤلاء مالى لا أرى فيكم سمّة شيعتنا ، وحليّة أحبّتنا أهل البيت ؟ فأمسك القوم حياء .

قال نوف : فأقبل عليه جندب والربيع فقالا : ما سمّة شيعتكم وصفتمهم يا امير المؤمنين ؟ فتناقل عن جوابهما ، وقال : اتقيا الله أيها الرجالن وأحسننا فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

فقال همام بن عباد و كان عابداً مجتهداً : أسألك بالذى اكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم ، وفضلكم تفضيلاً إلا أنبأتنا بصفه شيعتكم ، فقال لا تقسم فسأنبئكم جميعاً ، وأخذ بيد همام فدخل المسجد فسيح ركعتين أوجزهما وأكملهما وجلس واقبل علينا وحفّ القوم به ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله) ثم قال : ... / عن بحار الانوار ٦٥ : ١٩٢، ح ٤٨.

[١٥٢]) نهج البلاغة : خ ١٩٣ .

من فقه مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

الامام الخميني (قدس سره) والفقاهة القائمة على عنصرى الزمان والمكان (٢)

كلام غالب الفقهاء فى حالات « المتقى فيه » . أما الامام الراحل (رحمه الله) فقد استنتج فهماً جديداً للنصوص بلحاظ العلاقات المعقدة والهجمات الواسعة التى استخدمت اسس الدين فى عصرنا الحاضر ، ورأى أن هذه الأدلة ليس فيها اطلاق على جميع حالات « المتقى فيه » ؛ قال سماحته : « وهل تعم بالنسبة إلى المتقى فيه ؟ الظاهر منها ومن أدلة نفى الحرج والرفع وإن كان ذلك وتكون تلك الأدلة حاكمه على أدلة المحرمات والواجبات لكن يقع الكلام فى موارد يمكن أن يقال باستثنائها منها أو دل دليل عليه . منها بعض المحرمات والواجبات التى فى نظر الشارع والمتشرعة فى غاية الاهمية مثل هدم الكعبة والمشاهد المشرفة بنحو يحو الاثر ولا يرجى عوده ، ومثل الرد على الاسلام والقرآن والتفسير بما يفسد المذهب ويطباق الالحاد وغيرها من عظام المحرمات ؛ فإن القول بحكومه نفى الحرج أو الضرر وغيرهما على أدلتها بمجرد تحقق عنوان الحرج والاضطرار والاكره والضرر والتقية بعيد عن مذاق الشرع وغايته » (١) .

وقال سماحته فى احدى خطبه مقيداً الأدلة المطلقة للتقية فى حال ثبوت اطلاقها : « التقية محرمة فى بعض الاحيان ، فحينما يرى الانسان أن دين الله يتعرض للخطر لا يمكن أن يمارس التقية ، فلا بد من أن يتقدم مهما كانت النتائج . فالتقية فى الفروع وليس فى الاصول ؛ التقية لحفظ الدين ، وحينما يتعرض الدين للخطر ، فليس هناك مجال للتقية والصمت » (٢) .

لقد كان لاهتمام الامام (رحمه الله) بالتحرك المعادى للدين ورصد سماحته له حافزاً له على استنباط افكار وتصورات جديدة من النصوص الدينية ، فالاهتمام بالزمان والمكان والتوجه للتأثيرات المدمرة التى ستنج عن تطبيق المخططات الاستعمارية المشؤومة دفعه لاطلاق عملية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فى الحالات المهمة ، حيث يشير فى ذيل الشرط الرابع لوجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لهذا الامر ويقول : « لو كان المعروف والمنكر من الامور التى يهتم بها الشارع الاقدس كحفظ نفوس قبيلة من المسلمين وهتك نواميسهم أو محو آثار الاسلام ومحو حجته بما يوجب ضلالة المسلمين أو امحاء بعض شعائر الاسلام ... لابد من ملاحظة الاهمية ولا يكون مطلق الضرر ولو النفسى موجباً لرفع التكليف ... » (٣) .

لاريب فى أن الغيرة الاسلامية والبصيرة والوعى وبعد النظر هى من جملة العوامل التى مهدت الارضية اللازمة لكى يطلق الامام (رحمه الله) ، فى بداية الثورة تصريحه المعروف « التقية حرام ولو بلغ ما بلغ » .

٥ - التقية مداراةً واحكامها :

ذكرنا فى الفصل السابق أن التقية من الاحكام المهمة فى المذهب والتى اجمع عليها علماءؤه ، إذ وردت روايات عديدة تؤكد لزوم مسايرة العامة فى بعض الظروف ؛ فقد نقل عن الامام الباقر (عليه السلام) أنه قال : « التقية فى كل شىء يضطر إليه ابن آدم فقد احله الله » (٤) .

وفى رواية الاعجمى عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال : « لا دين لمن لا تقية له » (٥) .

الروايتان أعلاه تبينان حكماً واضحاً فى مسألة التقية ، رغم أن الثانية مطلقة والاولى محصورة فى حالة الخوف وقد بيّنا موقف الامام الخميني (رحمه الله) منها ؛ ولكن توجد روايات أخرى بعضها معتبرة السند يستفاد من مدلولاتها الدعوة إلى التقية مداراةً ولا يوجد ما يُخاف منه .

لا يفرّق الامام الخميني (رحمه الله) فى هذه المسألة بين موارد الشك والعلم بالخلاف ويقول : « إن المستفاد من تلك الروايات صحة العمل الذى يؤتى به تقية سواء كانت التقية لاختلاف بيننا وبينهم فى الحكم كما فى المسح على الخفين والافطار لدى السقوط أو فى ثبوت الموضوع الخارجى كالوقوف بعرفات اليوم الثامن لاجل ثبوت الهلال عندهم ، والظاهر عدم الفرق بين العلم والخلاف والشك » (٦) .

وعلى هذا الاساس فان فتاوى الامام حول اسلوب المعاشرة فى الحج إلى جانب الاخوة اهل السنة جدير بالاهتمام .

٦ - حكم الاسماك العديمة الفلس :

ثمّة فارق اساسى منذ القديم بين الاحكام الشرعية والموضوعات الشرعية المستجدة والموضوعات التى لم ترد فى تحديد كلام الشارع ؛ وليس من شأن الفقيه تبين الموضوعات الخارجيه ، ويبقى الكثير من الاسئلة التفصيلية التى تشير إلى خصوصيات بعض الموضوعات دون اجوبة من لدن الفقهاء . حيث يُكتفى بذكر الاطار العام حول الحكم ويُبيّن مفهوم الموضوع وليس مصداقه .

ولكن لا يمكن للفقيه أن يترك الناس وشأنها فى كل الاحوال ، ويصبح من الضرورى له ولمقلديه المعرفة الدقيقة بالموضوعات الخارجيه ، لاسيما حينما تكون الحكومة المطلقة بيد الفقيه . ومن الحالات التى يمكن أن يؤثر فيها الزمان والمكان فى الفهم الموضوعى هى استخدام العلم البشرى والوسيلة المتطورة فى كشف مصاديق العناوين

الكلية لموضوعات الاحكام ; مع ضرورة الانتباه إلى أن بعض موضوعات الاحكام مقيدة بالفهم العرفي والرؤية العرفية ولا تنفع معها الدقة الفعلية ، في حين يمكن في حالات أخرى استخدام أية وسيلة لاكتشاف واقع متحقق أو وصف أو خصوصية معينة .

سُقنا المقدمة اعلاه لمعالجة موضوع حكم حلية أو حرمة بعض انواع الاسماك ; فقد اصبح بالامكان في الوقت الحاضر صيد مختلف انواع الاسماك ، كان بعضها محرماً عند المسلمين في السابق بسبب عدم رؤيتهم للفلس عليها أو شكهم في ذلك .

وبعد انتصار الثورة الاسلامية طرحت تساؤلات حول هذا الموضوع ، وفتح الامام الخميني (رحمه الله) رغم عدم تخصصه بهذا الامر الباب امام المجتمع للقبول بالكشف العلمي لمصاديق الاسماك ذات الفلس ، حينما افتى بالاختذ برأى المتخصصين الموثوقين حول اسماء الكافيار (٧) ، ورغم أن الحكم الشرعي وعنوان الموضوع لم يتغيرا ، إلا أن تغير الظروف واستخدام العلم مهّد الطريق امام استخدام انواع الاسماك المحللة من حيث المصاديق . فقد عقد وبأمر من الامام (رحمه الله) قبل ١٣ عاماً تقريباً ندوة في ميناء «بندر انزلي» لدراسة حلية بعض انواع الاسماك أو حرمتها وشارك فيها ممثل الامام في محافظة كيلان وعدد من علماء كيلان ومازندران وقم واساتذته ومتخصصون في علوم البيئة ، وقد وقّع المتخصصون المشاركون في هذه الندوة على رسالة تؤكد وجود الفلس على اجزاء من اجسام هذه الاسماك (٨).

إن مسألة الاسماك المحللة والمحرمه يمكن أن تسلط ضوءاً على تأثير الزمان والمكان على دائرة المحرمات والمباحات ، فبالرغم من أنها ليست معرفة جديدة للفقيه ، إلا أنها تركت اجتماعياً أثراً كبيراً من ناحية المعرفة الدقيقة لموضوع معين من قبل المتخصصين الملتزمين مقرونه بتأييد الفقيه ; ويمكن اعتبار المنافع المادية والغذائية الحاصلة من صيد اسماء الكافيار وانواع الاسماك المماثلة الأخرى من تأثيرات دور الزمان والمكان في التوصل إلى مصاديق جديدة للاسماك المحللة .

٧ - التعامل بالدم ، حرمة وجوازه :

من المعاملات المحرمه والباطلة المطروقة في باب المعاملات هو بيع الدم وشراؤه ; قال العلامة في كتاب نهاية الاحكام : « بيع الدم وشراؤه حرام اجماعاً لنجاسته وعدم الانتفاع به » (٩) .

وتشير عبارات الفقهاء المتقدمين والمتأخرين أيضاً إلى هذا الامر ، ولكن هناك سؤال يتبادر إلى الذهن وهو : هل معيار الحرمة هو نجاسته أم عدم الانتفاع الصحيح به ؟ ظاهر الامر أن النجاسة هي التي توجب في الغالب عدم الانتفاع ، وعدم الانتفاع يؤدي إلى بطلان المعاملة (١٠) ، لكن تطورات الزمان والمكان مكنت من الاستخدام إلى الحلال للدم النجس ، ولهذا لا يبقى مبرر لحرمة التعامل بالدم ، وقد وافق جميع العلماء المعاصرين تقريباً على هذه الفتوى ؛ يقول الامام الخميني (رحمه الله) في المكاسب المحرمة : « منها الدم ، والظاهر فيه جواز الانتفاع به في غير الاكل ، وجواز بيعه لذلك ؛ فان ماوردت فيه من الاية والرواية لا تدل على حرمة الانتفاع به مطلقاً ؛ فقد تقدم الكلام في الاية الكريمة ، مع أنه لم يكن في تلك الاعصار للدم نفع غير الاكل ، فالتحريم منصرف إليه » (١١) .

٨ - حكم الشطرنج :

طرح الامام الخميني (رحمه الله) في السنتين الاخيرتين من حياته مسائل عديدة ، استثقل امرها بعض الفقهاء ، ومن تلك المسائل التي اعترض عليها رسمياً احد تلامذته مسألة حلية اللعب بالشطرنج بفرض زوال كونه آله قمار وعدم طلب الفوز والهزيمة (١٢) .

وقبل أن نبادر إلى تحليل موقف الامام ونوضح كيفية تدخل العنصر الزمني في الفتوى ، نورد الاسئلة والاجوبة التي طرحت في هذا المضمار :

سؤال : لو خرج الشطرنج عن كونه آله قمار تماماً ، واصبح يستفاد منه اليوم لعبة فكرية ، فما هو حكم اللعب به ؟

الجواب : بفرض المذكور لا اشكال فيه لو لم يترتب عليه فوز وهزيمة .

وكتب احد تلامذة الامام (رحمه الله) الرسالة التالية في مقام الاشكال على هذه الفتوى وفتوى اخرى : « كيف يزعم السائل المحترم أن الشطرنج قد خرج اليوم عن كونه آله قمار واصبح مجرد لعبة فكرية ؟ ففي رواية معتبرة للسكوني عن الامام الصادق (عليه السلام) : ... ان هناك اطلاقاً لكلا الدليلين ؛ وعليه نستفيد أن اللعب بالشطرنج حرام سواء خرج عن كونه آله قمار أم لا ، وإن دعوى الانصراف يحتاج إلى مصدر صحيح وهو مالا نتصوره ، وأما ما يمكن أن يقال مثل الغلبة أو الالة في ذلك الزمان فليس له مصدر صحيح ، وقد راجعت ادلة الفحص ولم اجد حجة خلاف الاطلاق المذكور » (١٣) .

وقد اشار الامام (رحمه الله) فى الرد على هذه الرسالة - بشكل عام - ان مسأله عدم الاهتمام بالزمان والمكان والجمود على النص ، ولفت الانظار إلى أن الجمود على النص دون الاهتمام بالزمان والمكان يحطم اواصر الحضارة الجديدة ويعيد المرء إلى العهود القديمة . « يجب حسب ما كتبتموه أن تنفق الزكاة على الفقراء بطرق الانفاق المذكورة فقط ، وليس من سبيل لانفاقها على مئات الحالات الاخرى حالياً ، وأن يكون الرهان فى السبق والرماية مختصاً بالقوس والنبل وسباق الخيل وامثال هذه الوسائل التى كانت تستخدم فى الحروب سابقاً ، وأنه يحلّ للشيعه التصرف بالانفال المحلله لهم دون أى مانع فيقضون على الغايات وكل ما يحفظ سلامه البيئه ويعرضون ارواح الملايين من البشر للخطر ، وليس من حق احد أن يعترضهم ، كما ينبغى أن لا تُخرب الدور والمساجد التى تعترض شق الطرق لحل مشكله المرور وحفظ حياه الالاف ، وامثال ذلك ، وبالجملة فإن تصوركم للاخبار والروايات يقضى على الحضارة الجديدة تماماً وعلى الناس أن يعيشوا دائماً فى الصحارى ... » (١٤) .

الامثلة المذكورة فى رسالة الامام (رحمه الله) تعتبر مصاديق واضحة لتدخل الزمان والمكان فى الاجتهاد ، مما سنطرقه لاحقاً ، والامر الاخر أن الامام (رحمه الله) اعتبر اشكالات تلميذه ناتجة عن اهمال عنصرى الزمان والمكان فى الاجتهاد . حيث عَقَّب بعد ذكر هذه الامثلة على الاشكال المطروح حول قضيه الشطرنج وقال : « وأما اللعب بالشطرنج فى حالة خروجه عن كونه آله قمار فراجع فيه كتاب جامع المدارك للمرحوم آية الله الحاج السيد أحمد الخانسانى الذى يعتبر اللعب بالشطرنج جائزاً بدون الرهن ، ويجرح فى جميع الادله ، فى حين لا يخفى على احد التزامه بالاحتياط وتقواه ومكانته العلمية ودقه نظره ، وأما ما ذكرت من أن السائل كيف عرف أن الشطرنج ليس آله قمار ، فهو عجيب منك ، لان الاسئلة والاجوبه فرضيه ، وما اجبت به لا اشكال فيه بفرض المذكور ، وفى حالة عدم الاحراز فينبغى عدم اللعب » (١٥) .

اعتبر الامام (رحمه الله) وصف الشطرنج بالقمار مؤثراً فى تحقق موضوع الحكم ، ولذا فان حكمه فى الحال الحاضر وبفرض خروجه عن كونه آله قمار هو كحكم كرة القدم وامثالها .

٩ - بيع السلاح لاعداء الدين :

من المعاملات المحرمة والباطلة فى رأى البعض بيع السلاح لاعداء الدين ، وبالطبع فان الكثير من الفقهاء اعتبروا ذلك مصداقاً لما يقصد به المساعدة على المحرم ، حيث يتضح لنا ذلك من خلال نظرة عابرة إلى عبارات العلامة الحلى فى التبصرة والقواعد والمحقق الحلى فى شرايع الاسلام والشيخ الانصارى فى المكاسب ؛ أما الامام

الخميني(١٦) ، وبعض الفقهاء المعاصرين أو المتأخرين عن الشيخ الانصاري(١٧) فقد عدّوا هذا العنوان خطأً ، وطرحوا البحث تحت عنوانه الخاص (بيع السلاح لاعداء الدين) ، وهذا البحث يعتبر احد مصاديق تضارب الاراء والافكار ، وقد اشار صاحب الجواهر إلى اربع نظريات في هذا الموضوع لكنه اختار فتوى خامسة(١٨) .

كما اشار السيد محمد كاظم الطباطبائي صاحب العروة الوثقى إلى ثمانى نظريات ونسبها إلى آخرين ، ولم يوافق على أى منها ، طارحاً رأيه الخاص بذلك ، كما أن الامام الخميني رفض النظريات الثمانية .

١ مصدر عنوان : بيع السلاح لاعداء الدين

إن طرح هذا العنوان جاء متأثراً بروايات هي اجابة لاسئلة طرحت على الائمة(عليهم السلام) سوى واحدة منها ، فبعضها طرح من قبل من كان يعمل بصناعة السلاح لتحديد تكليفه الشرعي(١٩) ، واصبحت هذه الروايات مصدر تصورات مختلفة وطرحت على ضوءها نظريات متعددة في هذا المضمار ، في حين استخدم البعض الوجه العقلي أو الاستحسان أو تمسك بادلة اخرى لاثبات ارائهم ، والنظرية المعروفة بتخصيص الحرمة في زمن الحرب هي في الحقيقة جمع بين نظرتي الجواز المطلق في بيع السلاح والحرمة المطلقة .

أما النظريات الاخرى فهي في الغالب تتبع اسلوب الجمع هذا ، وقد طرحت اساليب متعددة من الجمع الروائي على اساس مدلول مستنبط من رواية «المفصل» في حين اعتبر البعض أن مدلول روايات «المفصل» خارجة عن موضوع «بيع السلاح لاعداء الدين» . واجازوا بيع السلاح للمخالفين ، ولكن قالوا بالمنع المطلق في جواز بيع السلاح لاهل الحرب «نظرية الشهيد» ، ويلاحظ هنا أنهم غفلوا عن الوجوه العقلية والقرائن الموجودة في زمن صدور الروايات وخصوصيات الرواة ، ولم يأخذوا بالاعتبار العلاقة بين بيع السلاح وتقوية الكفار في الازمنة والظروف المختلفة .

يقول الامام الخميني(رحمه الله) في تحرير الوسيلة : « يحرم بيع السلاح من اعداء الدين حال مقاتلتهم مع المسلمين ، بل حال مباينتهم معهم بحيث يخاف منهم عليهم ، وأما في حال الهدنة معهم أو زمان وقوع الحرب بين انفسهم ومقاتلة بعضهم مع بعض فلا بد في بيعه مع مراعاة مصالح المسلمين ومقتضيات اليوم ، والامر فيه موكل إلى نظر والى المسلمين ، وليس لغيره الاستبداد بذلك ، ويلحق بالكفار من يعادى الفرقة الحقّة من سائر الفرق المسلمة ، ولا يبعد التعدي إلى قطاع الطريق واشباههم ، بل لا يبعد التعدي من بيع السلاح إلى بيع غيره مما يكون سبباً لتقويتهم على اهل الحق كالزاد والراحلة والحمولة ونحوها »(٢٠) .

يفهم من هذه الفتوى الحرمة المطلقة فى بيع السلاح للكفار اثناء الحرب معهم ، أما فى الحالات الاخرى فقد قيد جواز البيع بمصلحة النظام الاسلامى ورأى ولى الامر . يقول الامام (رحمه الله) فى كتابه الاستدلالي «المكاسب المحرمة» :

« وبالجملة إن هذا الامر (بيع السلاح لاعداء الدين) من شؤون الحكومة والدولة وليس امراً مضبوطاً بل تابع لمصلحة اليوم ومقتضيات الوقت »(٢١) .

وفيما يلى نشير اجمالاً إلى خصائص البحث العلمى عند الامام فى هذه المسألة وكيفية تدخل الزمان والمكان فى الاستنباط :

أ - معرفة موضوع حكم الحرمة :

١ - موضوع الحكم المذكور ليس مطلق السلاح ، وإنما هو السلاح التى تستخدم فى الحرب اثناء بيعها ، وليس هناك منع لبيع السلاح القديمة التى لا تستخدم آلة حرب اثناء بيعها ، بل يرغب الكفار فى الاحتفاظ بها تحفاً مثلاً(٢٢) .

ورغم أن بعض الروايات اشارت إلى مسألة السرج والسيف وغيرهما لكن الحرمة على اساس المعرفة الموضوعية المذكورة لا تشمل فى الحال الحاضر بيع السياف والدرع والسرج ؛ لانها لا تستخدم آلات حرب فى العصر الحاضر ، ولا يؤثر وجودها أو عدم وجودها فى البنية الدفاعية والقتالية .

٢ - ليس المراد من اعداء الدين مطلق الاعداء ، وإنما الدول أو الطوائف القوية المناوئة للإسلام ، وعليه لا يمكن أن نتشكك فى جواز بيع السلاح لليهودى التابع للدولة الاسلامية والسكان فى كنفها(٢٣) .

ب - معرفة الحكم فى كلام الامام :

قبل أن يلقي الامام (رحمه الله) نظرة على مدلول الروايات ، يشير إلى حكم العقل ، ويقول : « اعلم أن هذا الامر أى بيع السلاح من اعداء الدين من الامور السياسية التابعة لمصالح اليوم ، فربما تقتضى مصالح المسلمين بيع السلاح بل اعطائه مجاناً لطائفة من الكفار ، وذلك مثل ما إذا هجم على حوزة الاسلام عدو قوى لا يمكن دفعه إلا بتسليح هذه الطائفة وكان المسلمون فى أمن منهم ، فيجب دفع السلاح اليهم للدفاع عن حوزة الاسلام وعلى والى المسلمين أن يؤيد هذه الطائفة المشتركة المدافعة عن حوزة الاسلام بأى وسيلة ممكنة وربما تقتضى

المصالح ترك بيع السلاح وغيره مما يتقوى به الكفار مطلقاً سواء كان موقع قيام الحرب أو التهيؤ له أم زمان الهدنة والصلح والمعاقدة ، وبالجمله إن هذا الامر من شؤون الحكومه والدوله وليس امراً مضبوطاً بل تابع لمصلحه اليوم ومقتضيات الوقت ؛ فلا الهدنة مطلقاً موضوع الحكم لدى العقل ولا المشرك والكافر كذلك «(٢٤)

لم يعتبر الامام(رحمه الله) رواية على بن جعفر مطلقه بسبب احتماله لخصوصيه تلك الحاله ، لان السؤال خصص حمل السلاح إلى الدول المشركه التي كانت من ألد أعداء المسلمين في تلك البرهه(٢٥) .

كما اعتبر رواية الوصيه النبويه التي اطلقت على بائع السلاح لاهل الحرب اسم الكافر (الروايه الرابعه) أنها غير مطلقه بسبب القرائن الداخليه ، وهى :

١ - انصراف اهل الحرب الاعداء بالفعل .

٢ - أن العقوبه الشديده لبائع السلاح ووصمه بالكفر لا يستحقها بائع سلاح إلى يهودى تحت ذمه المسلمين(٢٦)

أما الروايتان الخامسه والسادسه ، فرغم أنه اعتبرهما مطلقتين ، قيدهما ايضاً بالقرائن القطعيه والعقليه .

والملاحظ هنا أن هذه المسأله تحيطها ظروف اجتماعيه ويدخل العقل فى تحديد معايير الحكم حولها ، وبالتالي فإن حالات الجواز والمنع ترتبط بالظروف الاجتماعيه للاسئله والاجوبه ، ويمكن التوصل إلى أحكام جديده على اساس العلاقات الاجتماعيه لهذا الزمن ونوع العلاقات العسكريه والسياسيه الحاكمه على العالم ، من خلال اعتماد معيار اساسى فى المسأله مأخوذ من العقل والشواهد النقليه .

فمن خصائص الحروب المعاصره شموليتها ، فقد تنال الهزيمه بلداً قوياً مجهزاً بالسلاح العسكري والقوه البشرى المدربه بسبب ضعفه السياسى والاقتصادى ، وفى مثل هذه الحاله ، لو باع احد طرفى النزاع - مثلاً - كميّه من السلاح إلى عدوه لتقويه بنيتة الاقتصاديه قبل أن تتعزز البنيه العسكريه للعدو ... أليس هذا بصلاح البائع ؟ فمن خلال بيع السلاح للعدو يمكن مثلاً تفتيت قدرته الاقتصاديه وسلب قابليته على شراء اسلحه أخرى جديده من مصادر أخرى ومن ثم يكون التغلب عليه .

وعلى أية حال ، فإن العلاقات المعقدة في هذا الزمن لا يمكن أن تطرح معايير محددة لمصالح المسلمين ، والاجدر إذن أن يُترك الامر للفقهاء وولاء الامور في تشخيص صغريات مصلحة المسلمين في كل زمان على قاعدة المعيار الرئيسى للبحث وهو (رعاية مصلحة الاسلام والمسلمين في بيع الاسلحة) .

١٠ - مسألة الملكية واستخراج النفط :

من المسائل المطروحة في الفقه الاسلامي ملكية الارض وتوابعها ، فهناك تقسيمات لملكية الارض احداها الملكية بواسطة الاحياء ، فمن احيا ارضاً مواتاً ملكها وحق له الانتفاع بها ، ومنع الآخرين من الاستيلاء عليها ، فقد ورد في روايات عديدة معتبرة السند : « من احيا ارضاً مواتاً فهي له » (٢٧) و « أيما قوم احياوا شيئاً من الارض وعمروها فهم احق بها وهي لهم » (٢٨) .

إن اطلاق الملكية والاحقية يقتضى أن يشمل العمق والارتفاع ايضاً ، ولهذا لو عثر صاحب الارض على كنز في ارضه فهو له (٢٩) ، وإذا استطاع أن يتصرف في فضاء ملكه فهو تصرف مشروع بمقتضى اطلاق الملكية ؛ وعليه يكون بوسع المالك أن يبني عمارة بأدوار عديدة في ملكه دون أن يكون قد أتى عملاً غير قانوني ؛ هذا لو اردنا أن نغض النظر عن احكام الدولة المتعلقة ببناء المدن .

وهنا ثمة نقطتان رئيسيتان تطرحان على بساط البحث :

أولاً : هل الثروات المدفونة في اعماق الارض كالنفط مثلاً هي من ملك صاحب الارض ايضاً ؟.

ثانياً : هل تدخل هذه الثروات في الملكية الشخصية - غير الحكومية - ؟ وهل يسمح شرعاً للأشخاص - مالكيين وغيرهم - باستخراجها ؟ .

يجيب الامام الخميني (رحمه الله) في رده على رسالة أمين مجلس امناء الدستور على السؤالين اعلاه ، بشكل يختلف عن فتواه في تحرير الوسيلة وحاشية العروة ، مما يكشف بشكل واضح عن استعانتة بعنصرى الزمان والمكان في فهم الحكم الشرعى حول هذه المسألة .

نص رسالة امين مجلس الامناء :

بسم الله الرحمن الرحيم

« حضرة قائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى الامام الخميني .

نتقدم اليكم بالسلام ، ونسأل الله أن يزيد بركات وجودكم المبارك في ظل عنايات حضرة بقيه الله ارواحنا له الفداء . حول المعادن التي لها مالک خاص تبعاً لمملکة للأرض أو أحيائها ، وهي ليست من الانفال حسب مافي تحرير الوسيلة وسائر النصوص الفقهية المعتبرة ، ادلى مجلس الامناء برأيه قبل هذا بشكل عام أن المعادن الواقعة في الاملاك الشخصية والوقفية هي ليست من الانفال والثروات العامة ، لكن من الجائز اشراف الدولة على اكتشاف المعادن واستثمارها طبقاً للمصلحة العامة . وثمة مشروع صادق عليه مجلس الشورى الاسلامي حالياً ، تنص المادة الثانية منه على أن النفط يعتبر من الانفال سواء وقع في ملك شخصي أو وقفي أو في اراض اخرى وبحار ، وبما أن شمول التبعية المذكورة ولا سيما للنفط يتطلب معرفة رأيكم المبارك ، لهذا فإننا نرجو ابداء رأيكم الشريف في اصل الموضوع أولاً ، وفي جواز التصرف في الاراضى الشخصية والوقفية للاستخراج في حالة عدم التبعية «(٣٠) .

اشارت الرسالة إلى رأى الفقهاء المشهور حول المعادن الموجودة ، ولم يصف مجلس الامناء إلا عبارة «اشراف الدولة» على اساس المصالح العامة، ومع ذلك فإن هذه المصلحة العامة لا تنفي ملكية الاشخاص ، وغاية ما يمكن أن تفعله هي سيطرة الدولة على مقدار الاستثمار أو اسلوبه والامور الضرورية الاخرى ؛ وقد اجاب الامام على هذه الرسالة بالتالى :

« بعد السلام والتحية ، إن اصل مسألة تبعية اعماق الارض والفضاء للاملاك الشخصية هي عرفية بحدود الحاجة ؛ فمثلاً إذا حفر شخص ما خارج حدود منزله أو ارضه الشخصية أو الوقفية قناة تحت ارض الاخرين أو تصرف فيها ، فليس من حق اصحاب المنازل أو المتولين ، تقديم الشكوى ، أو إذا شيد شخص ما بناءً فوق المتعارف ، أو تنقل فيه ، فليس من حق المالكين أو المتولين منعه ، ومن ثم فإن تبعية الارض الشخصية هي بالمقدار العرفي ولا تتدخل الالات الجديدة في تحديد المقدار العرفي ، ولكن مقدار التبعية للدولة كبير جداً ، وللدولة الحق في أن تمنع التصرف اكثر من الحق العرفي للشخص أو الاشخاص ؛ وعليه فإن النفط والغاز والمعادن الخارجة عن الحدود العرفية للاملاك الشخصية لا تتبع الاملاك ؛ أما إذا افترضنا أن المعادن في حدود الاملاك الشخصية ، وهو افتراض غير صحيح ، فإن هذه المعادن تعتبر خارجة عن تبعية الاملاك الشخصية ؛ لأنها ثروات وطنية تعود للجيل الحاضر والاجيال اللاحقة على مدى الزمن ، وتستطيع الدولة الاسلامية أن تستخرجها . ولكن عليها أن تسدد قيمة الاملاك الشخصية أو إيجار الارض التي تم التصرف بها مثل سائر الاراضى دون حساب المعادن في السعر أو الايجار ، ولا يستطيع المالك أن يمنع هذا الامر «(٣١) .

يشير الامام (رحمه الله) فى هذه الرسالة إلى عدة امور :

١ - تبعية الارض فى الاعماق والفضاء ليست مطلقة ، وغايتها الحاجة العرفية للملكية .

٢ - الالات الجديدة لا تتدخل فى تحديد المقدار العرفى .

٣ - تبعية الارض بالنسبة للدولة كبيرة جداً .

٤ - ما يرتبط بالجيل الحاضر والاجيال اللاحقة هو الدولة الاسلامية .

هذه الامور توضح تدخل عنصرى الزمان والمكان فى الاجتهاد ، فمن الواضح - فيما يتعلق بالبند الاول - أن الملكية المطلقة لاى شىء تبیح الاستفادة منه ، ولا شك فى أن الفقهاء فى الازمنة الماضية لم يطرحوا رأياً تفصيلياً فى ملكية اعماق الاراضى وفضائها ، ففى تلك البرهنة افتى الفقهاء باطلاق « من أحيى ارضاً ميتاً فهى له » ، ولكن هذا الاطلاق اصبح موضع شك وترديد بعد الاكتشافات التى لم يكن لها وجود فى عصر صدور الاحاديث . وإذا اردنا أن نبين رأى الامام بشكل آخر ، فلنا أن نقول : إن الشارع المقدس قبل فيما يتعلق بالامور المعاملية بامضاء السيرة العقلانية - إلا فى حالات خاصة - والارتكاز العرفى لملكية الارض هو أن يستثمرها بصفقتها ملكاً ويمنع الآخرين الاستفادة منها . وإذا راجعنا اليوم العرف العام وقلنا إن المترو الذى يمتد تحت الارض فى عمق ستين متراً مثلاً ، ولا يؤثر على الارض وكيفية الاستفادة منها ، فإن صاحب الارض لا يرى فى نفسه أنه صاحب حق ، وإن المشرفين على بناء المترو لا يحتاجون إلى اخذ الاذن فى ذلك . هذه السيرة العرفية والارتكاز العقلانى كانت موجودة فى زمن الشارع المقدس ، رغم أن موضوع الاستفادة من اعماق الارض لم يكن مطروحاً كما هو حالياً ، ولكن لو كان مطروحاً بهذه الصورة افتراضاً لما كنا سمعنا جواباً مغايراً لما ذكر .

الامر الثانى فى بيان الامام - وعلى عكس الاول - هو اشارة إلى عدم تأثير الزمان والمكان فى تعيين حدود الاحتياج العرفى .

إن ما يكتسب الحجية من سيرة العقلاء ويمكن اعتماده موضوعاً أو حكماً شرعياً هو قبوله بسيرة عقلاء عصر المعصومين معياراً لذلك ، وإذا تحققت سيرة عقلانية جديدة فى الازمنة التالية ، فإنه لا يعتبر موضع امضاء الشارع بالمقدار الذى يحرز عقلانيته ، نحو حق تأليف الكتب الذى يعتبر سيرة عقلانية فى القرون الاخيرة مما لم يكن مطروحاً فى عصر الشارع (٣٢) .

وما هو مُسلّم في موضوع البحث أن سيرة العقلاء في فترة نزول الوحي والمعصومين اعتبرت الحاجات العرفية للناس ، التي كان يستفاد منها من خلال الالات المتوفرة حينذاك ، تدخل في ملكية الشخص وضمن حقوقه ؛ فهل يمكن الان ، حيث يمكن للالات الجديدة أن تفي بحاجات عرفية مغايرة ، أن نعمم هذا الجواز الشرعي ؟ هنا يرفض الامام (رحمه الله) مثل هذا التعميم ويكتفى بسيرة فترة النص ، ويقول : إن الالات الجديدة لا تتدخل في تعيين المقدار العرفي .

ويمكن متابعة نظير هذا الموضوع في مسألة المسافة الشرعية للسفر الموجب للقصر والافطار ؛ فتشير معظم الروايات الواردة في تحديد المسافة المذكورة بمسير يوم واحد ؛ ولكن لم يبال بقدرة وسائط النقل في عصرنا الحاضر التي تستطيع أن تدور الكرة الارضية في نفس الفترة الزمنية واعتبر الملاك هو الفراسخ الثمانية التي تساوى مسيرة يوم واحد على الوسائط المتداولة في زمن المعصومين (عليهم السلام) (٣٣) ، وقد أبدى بعض المعاصرين فعلياً رأيه بضرورة الالتفات إلى الوسائل المتعارفة في كل زمان (الحافلة في زماننا مثلاً) لتحديد المسافة الموجبة للقصر (٣٤) .

المسألة الثالثة التي طرحها الامام (رحمه الله) في فتواه هي تبعية الارض للدولة ، ويعتقد أنها رد على السؤال التالي : لو كانت تبعية الارض للفرد تتحدد في اطار الحدود العرفية ، فهل هي ضمن الحدود العرفية ايضاً بالنسبة للدولة ؟ والدولة لا تستطيع إذن أن تتمتع بحق المبادلة أو الاعتراض في غير التبعية العرفية .

المسألة الرابعة التي وضحها الامام (رحمه الله) في هذه الرسالة هي مسألة تبعية الملكية للدولة ؛ ويمكن طرح هذه المسألة بصورتين :

أ - ملكية الدولة في مقابل الاجنبي .

ب - ملكية الدولة في مقابل الافراد ، والملكيات الشخصية لرعاياها .

من الواضح أن ملكية الدولة لاعمق الارض والفضاء لم تكن مطروحة في عصر صدور الروايات ، ولكن مساحة ملكية الدولة هي عقلاً أكبر من ملكية الاشخاص .

بعبارة ثانية : إن جميع الموارد الخارجة عن حدود الملكية العرفية لافراد هي من املاك الدولة ، من مثل النفط والغاز والمعادن حتى الاسماك الموجودة في الحدود المائية ومكانة البلاد من الناحية الجغرافية ، وحاجة البلدان

الآخري للعبور من سماء الدولة ؛ كل هذه تعتبر من حقوق الدولة ؛ ولهذا لا يمكن أن نشك أن سيرة العقلاء فيما يتعلق بملكية الدولة هي مطلقاً بالنسبة للآجانب . وقد أصبح حق الملكية هذامن الوضوح بمكان بحيث تمنع الدول دفن النفایات الذرية فی الصحارى المجاورة لها والتي یحتمل أن تلحق اضراراً بشعوبها وارضیها .

اما ملكية الدولة بالنسبة للأفراد - ویبدو أن الامام یقصد بها ملكية الدولة ایضاً - فهو یقول : « للدولة الحق أن تمنع التصرف بأكثر من الحق العرفی للشخص أو الاشخاص » (٣٥) .

والسؤال الذى یطرح هنا هو : لو حفر الشخص ارضاً بحوزته ، وحصل من اعماقها على كمية قليلة من النحاس ، فهل التصرف به غیر مباح ، أم یكون استئذان الحاكم فی التصرف الموجب لهدر مصادر الثروة الوطنية فقط ؟ .

الفقرة الآخيرة من كلام الامام (رحمه الله) من الفقرات البديعة التى تلفت الانظار ، ولاشك أن الوصول إلى مثل هذه النتيجة متعسر جداً لولا معلوماته الواسعة وبصيرته وسعة افقه ؛ فكما أن اتلاف المال فی الفقه محرم والتفريط بالثروات الطبيعية أو التى حصل علیها الشخص بكدّ يده وسعيه مذموم ، كذا یحرم استغلال الثروات أكثر من الحاجة إليها ، حتى وإن كان الآخرون فی غیر حاجة لها .

الامام (رحمه الله) يرى أن الآجیال القادمة صاحبة حق فیما تحتویه الارض حالياً من ثروات یرتبط بقاء الشعوب وحياتها بها ، رغم أنها (الآجیال اللاحقة) لم تجئ إلى هذه الدنيا بعد ، ولا یمكن الدفاع عن حقها المستقبلى المنتفى حالياً لعدم تحقق الموضوع . إن حقوق الآجیال التى ستلینا تدعونا لاستخدام الثروة الوطنية فی الحدود المتعارفة . وهذه النقطة تبين احد مصادیق حقوق الآخريين فی العصر الحاضر ، عصر الحضارة والتحدى الالى .

وهذا الامر یمنع استفادة الناس من مصادر الثروة بشكل مسرف ویحدد الدولة ایضاً فی هذا المضمار ، حيث یعتبر الاستخدام المفرط للثروة الوطنية احدى المشكلات الرئيسية للانظمة العميلة والنظام الطاغوتى السابق فی ایران ، الامر الذى أشار إليه الامام الراحل (رضی الله عنه) مرات عديدة.

(١) الامام الخمينی، الرسائل ٢ : ١٧٧ .

(٢) صحیفه نور ٧ : ٣٨ .

- (٣) تحرير الوسيلة ٤٣٤:١.
- (٤) وسائل الشيعة ٤٦٨:١١.
- (٥) المصدر السابق .
- (٦) الامام الخميني، الرسائل ٢ : ١٩٦.
- (٧) بي آزار شيرازي ، رساله نوين امام خميني ٣:١٥٩.
- (٨) نفس المصدر ٣:١٥٩ .
- (٩) نهاية الاحكام ٤٦٣:٢، نقلاً عن دراسات في المكاسب المحرمة ٢٦٧:١.
- (١٠) راجع، الشيخ حسين علي المنتظري، دراسات في المكاسب المحرمة ٢٧٦:١.
- (١١) الامام الخميني ، المكاسب المحرمة ٣٨:١.
- (١٢) المقصود بذلك الرهان أو تحديد مبلغ للفائز (المترجم).
- (١٣) نشره باسدار اسلام (حارس الاسلام) السنة السابعة ، العدد ٨٣ : ١٠ .
- (١٤) صحيفة نور ٢١:٣٤.
- (١٥) نفس المصدر .
- (١٦) طرح الامام الخميني هذا البحث في اوائل كتاب المكاسب المحرمة ١٥١:١ - ١٥٨.
- (١٧) راجع مثلاً ، السيد محمد كاظم الطباطبائي ، حاشية المكاسب : ١٠ ، محمد علي توحيدى ، مصباح الفقاهة ١:١٨٦ .
- (١٨) محمد حسن النجفي، جواهر الكلام ٢٢:٢٩ .

(١٩) مثال ذلك : حكم السراج ، وهند السراج ، ومحمد بن قيس ، وابو القاسم الصيقل . راجع : وسائل الشيعة ١٢ : ٦٩ و ٧٠.

(٢٠) الامام الخميني، تحرير الوسيلة ٤٩٦:١.

(٢١) الامام الخميني، المكاسب المحرمة ١٥٣:١.

(٢٢) نفسه ١ : ١٥٢ .

(٢٣) نفس المصدر السابق .

(٢٤) نفس المصدر السابق .

(٢٥) نفسه ١ : ١٥٥ .

(٢٦) نفسه ١ : ١٥٥ .

(٢٧) وسائل الشيعة ٣٢٧:١٧.

(٢٨) المصدر السابق : ٣٢٦ .

(٢٩) في حالة عدم وجود مالك سابق للكنز .

(٣٠) استفتاءات الامام الخميني ٢ : ٥٨٧ .

(٣١) نفسه : ٥٨٨ و ٥٨٩ .

(٣٢) يوجد طريقتان لاضفاء الشرعية على بعض الحقوق مثل حق التأليف ، الاول : أن نعتبر حق التأليف أو حق الاختراع أو حق الاستفادة من علامة سلعة ما أو اسم خاص أو غير ذلك من مصاديق حقوق الناس واموالهم ، وأن نطبق حكم الروايات التي تدعو إلى احترام حقوق الناس واموالهم على هذه المصاديق، والثاني ، فتح الطريق للحالات المستحدثة من السيرة العقلانية في زمن الامام المعصوم التي امضاها الشارع ؛ فمثلاً يمكن الحصول من حق التجهيز على الارضية المناسبة لموافقة الشارع على حق التأليف والاختراع وغيرهما.

(٣٣) راجع : وسائل الشيعة ٤٩٠:٥ - ٤٩٤.

(٣٤) راجع : محمد صادق طهراني ، صلاة المسافر (صلاة المسافر بالوسائل المعاصرة) .

(٣٥) راجع: استفتاءات الامام الخميني ٥٨٨:٢.

دراسات

فاطمة الزهراء (عليها السلام) ومصلحة الاسلام العليا

* الشيخ فؤاد كاظم المقدادى

إن ثانى نماذج السيرة الطاهرة لاهل البيت (عليهم السلام) ، التى تكشف لنا اللحاظ الامثل لمصلحة الاسلام العليا ، هو سيرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وزوجه وصيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) ، التى حكت هذا الاصل بكل وضوح وجلاء فى كل مفردات حياتها ، ومراحل واطوار سيرتها المباركة ، وقد مهّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لها الارضية المناسبة لذلك ، من خلال التعريف بمقامها ، وبيان موقعها الفريد منه (صلى الله عليه وآله) ، وتوجيه الامّة نحوها ، والوصية بحفظ مكانتها والتصديق بها ؛ لانها الصادقة المحدثّة ، وخفض الجناح لها ، ورعاية شأنها ، ووردت روايات كثيرة من الفريقين تكشف لنا عن كل ذلك باعلى مستويات الخطاب ودرجات البيان ، منها :

عن ابن عباس قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : وإنما سماها فاطمة لان الله فطمها ومحبيها عن النار » (١) .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « فاطمة بضعة منى ؛ من سرّها فقد سرّنى ، ومن ساءها فقد ساءنى . فاطمة أعز الناس علىّ » (٢) .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « أول شخص يدخل الجنّة فاطمة » (٣) .

كما أن امتثال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأمر الله تعالى فى تزويجها من أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) ، جاء ليؤكد المقام الرفيع لها (عليها السلام) ، والدور الرسالى العظيم الذى ينتظرها إلى جوار على (عليه السلام) . ذلك الدور الذى مثّل بحق تفانياً كاملاً فى مصلحة الاسلام العليا ، وتضحية وعطاء لا حد له فى سبيل الحفاظ على تلك المصلحة ، ودرء الخطر والانحراف عن رسالته أبيها محمد (صلى الله عليه وآله) .

ومما جاء فى شأن اختيارها زوجة لأمير المؤمنين على (عليه السلام) ما عن على (عليه السلام) قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أتانى ملك فقال : يا محمد ، إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك : إنى قد زوجت فاطمة ابنتك من على بن أبى طالب فى الملا الأعلى ، فزوجها منه فى الأرض » (٤) .

وقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « إن الله أمرنى أن أزوجه فاطمة من على » (٥) .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : « إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : يا على ، إن الله أمرنى أن اتخذك صهراً » (٦) .

وقال الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) : « إنما فاطمة بضعة منى ، يؤذيني من آذاها ، وينصبني ما أنصبها » (٧) .

وقوله (صلى الله عليه وآله) : « فاطمة بضعة منى ، فمن أغضبها أغضبني » (٨) .

وقوله (صلى الله عليه وآله) : « يا على ، إن فاطمة بضعة منى ، وهى نور عيني وثمره فؤادى ، يسوؤنى ما ساءها ، ويسرنى ما سرها ، وإنها أول من يلحقنى من اهل بيتى فأحسن إليها بعدى » (٩) .

وروى عن عائشة أن النبى (صلى الله عليه وآله) قال - وهو فى مرضه الذى توفى فيه - : « يا فاطمة ، ألا ترضين أن تكونى سيده نساء العالمين ، وسيده نساء هذه الامه ، وسيده نساء المؤمنين ؟ » (١٠) .

وعن يونس بن ظبيان قال : « قال أبو عبد الله (عليه السلام) : لفاطمة (عليها السلام) تسعة اسماء عند الله عزوجل : فاطمة ، والصديقه ، والمباركة ، والطاهرة ، والزكية ، والراضية ، والمرضية ، والمحدثه ، والزهراء . ثم قال (عليه السلام) : أتدرى أى شىء تفسير فاطمة ؟ قلت : أخبرنى يا سيدى . قال : فطمت من الشر . قال : ثم قال : لولا أن أمير المؤمنين (عليه السلام) تزوجه لما كان لها كفوف إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه » (١١) .

وهى التى لعظمتها ومقامها الفريد لقبها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسيده نساء العالمين ، فقد روى أن النبى (صلى الله عليه وآله) عاد فاطمة (عليها السلام) وهى مريضة ، فقال لها : « كيف تجدينك يا بنية ؟ » قالت : « إنى لوجعة ، وإنه ليزيدنى أنى مالى طعام آكله » ، قال : « يا بنية ، أما ترضين أنك سيده نساء العالمين ؟ » (١٢) .

ومن النماذج التى ينقلها لنا التاريخ وأصحاب السيرة عن تفانيها سلام الله عليها فى حفظ مصلحة الاسلام العليا ، وتحمل كل المصائب والمحن والظلم فى سبيل ذلك ما يلى :

أ- أنها كانت فى المقدمة فىمن يواسى أباهـا ويشاركه فى الشدة والمحن، وتضميد جراحاته فى الحروب وجراحات المؤمنين المقاتلين تحت لوائه ؛ ففى معركة أحد - وقد كانت تسند المسلمين وتضمد جراحات المقاتلين - شاهدت أباهـا وقد جرح وكسرت رباعيته ، وخذله المنافقون ، وشاهدت أيضاً عمَّ ابىها حمزة شهيداً مع نخبة من المؤمنين على أرض المعركة ، فأثت أباهـا وهى تبكى على عمها ، وتحاول تضميد جرح رسول الله(صلى الله عليه وآله)وقطع الدم الذى كان ينزف من جسده الشريف الطاهر ، فكان زوجها على(عليه السلام) يصب الماء على جرح رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهى تغسله ، ولما يئست من انقطاع الدم أخذت قطعه صوف فأحرقتها ، حتى صارت رماداً ، فذرتـه على الجرح حتى انقطع دمه .

ويقول الواقدى وهو يتحدث عن رجوع النبى(صلى الله عليه وآله) من معركة أحد : « وكنّ جئن اربع عشرة امرأة ، منهن فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ، ويسقين الجرحى ويداوينهم»(١٣) .

ب - كان كل همّ الزهراء(عليها السلام) بعد وفاة ابىها هو اسناد امير المؤمنين والذب عنه ، وإعانتـه على تجاوز المحن ورد المؤامرات والفتن التى يثيرها تجاههم القوم من اعدائهم ، وهو دور لا بدّ لها منه ؛ لمعرفة أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قد اوصى امير المؤمنين بأن مصلحه الاسلام العليا بعد وفاته تكمن فى حقن دماء المسلمين ، ووقايتهم من عوامل الردء عن الاسلام ، حتى وإن غصب حقه الالهى فى الخلافة ؛ لان اكثريتهم حديثو عهد به ، فقد جاء عن امير المؤمنين(عليه السلام) أنه قال : « إن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أوعز إلىّ قبل وفاته وقال لى : يا أبا الحسن ، إنّ الامّة ستغدربك من بعدى ، وتنقض فيك عهدي ، وإنك منى بمنزلة هارون من موسى ، وإن الامّة من بعدى كهارون ومن اتبعه والسامرى ومن اتبعه ، فقلت : يا رسول الله ، فما تعهد إلىّ إذا كان كذلك ؟ فقال : إذا وجدت اعواناً فبادر إليهم وجاهدهم ، وإن لم تجد اعواناً فكف يدك واحقن دمك حتى تلحق بى مظلوماً .

فلما توفى رسول الله(صلى الله عليه وآله) اشتغلت بغسله وتكفينه والفراغ من شأنه ، ثم آليت على نفسى يميناً ألاّ أرتدى برداء إلاّ للصلاة حتى أجمع القرآن ، ففعلت ثم اخذت بيد فاطمة وابنى الحسن والحسين فدرت على أهل بدر وأهل السابقة ، فناشدتهم حقى ودعوتهم إلى نصرتى ، فما أجابنى منهم إلاّ أربعة رهط : سلمان ، وعمار ، وأبو ذر ، والمقداد ، ولقد راودت فى ذلك بقية أهل بيتى ، فأبوا علىّ إلاّ السكوت ، لما علموا من وغارة صدور القوم وبغضهم لله ورسله ولاهل بيت نبيه »(١٤) .

وروى أن علياً(عليه السلام) « لما رأى خذلان الناس له وتركهم نصرته لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه ، فلم يخرج حتى جمعه كله ، فكتبه على تنزيله والناسخ والمنسوخ ، فبعث إليه أبو بكر أن اخرج فبايع ، فبعث إليه إنى مشغول ، فقد آليت يمين ألا ارتدى برداء إلا للصلاة حتى أولف القرآن وأجمعه ، فجمعه فى ثوب وختمه ثم خرج إلى الناس ، وهم مجتمعون مع ابى بكر فى مسجد الرسول(صلى الله عليه وآله) فنادى(عليه السلام) بأعلى صوته : أيها الناس ، إنى لم ازل منذ قبض رسول الله(صلى الله عليه وآله) مشغولاً بغسله ثم بالقرآن حتى جمعته كله فى هذا الثوب ، فلم ينزل الله على نبيه آية من القرآن إلا وقد جمعته كلها فى هذا الثوب ، ليست منه آية إلا وقد اقرأنيها رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعلمنى تأويلها ، فقالوا : لا حاجة لنا به . عندنا مثله .

ثم دخل بيته فقال عمر لابى بكر : أرسل إلى على فليبايع ، فإننا لسنا فى شىء حتى يبايع ، ولو قد بايع أمناه وعائلته ، فأرسل أبو بكر رسولاً أن أجب خليفة رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، فأتاه الرسول فأخبره بذلك ، فقال على(عليه السلام) : ما اسرع ما كذبتكم على رسول الله(صلى الله عليه وآله) ! إنه ليعلم ويعلم الذين حوله أن الله ورسوله لم يستخلفا غيرى ، فذهب الرسول فأخبره بما قاله فقال : اذهب فقل أجب أمير المؤمنين أبا بكر ، فأتاه فأخبره بذلك ، فقال على(عليه السلام) : سبحان الله ! والله ما طال العهد بالنبي منى ، وإنه ليعلم أن هذا الاسم لا يصلح إلا لى ، وقد أمره رسول الله(صلى الله عليه وآله) سابع سبعة فسلموا على بإمرة المؤمنين ، فاستفهمه هو وصاحبه عمر من بين السبعة فقالا : أمر من الله ورسوله ؟ فقال لهما رسول الله(صلى الله عليه وآله) : نعم حقاً من الله ورسوله إنه أمير المؤمنين وسيد المسلمين وصاحب لواء الغر المحجلين ، يعقده الله يوم القيامة على الصراط فيدخل أوليائه الجنة واعداءه النار .

قال : فانطلق الرسول إلى أبى بكر فأخبره بما قال ، فكفوا عنه يومئذ .

ثم ارسلوا إليه بعد ذلك قنفذاً - وكان رجلاً فظاً غليظاً جافياً من الطلقاء احد بنى تيم - وارسلوا معه اعواناً ، فانطلق فاستأذن فأبى على(عليه السلام) أن يأذن له ، فرجع اصحاب قنفذ إلى أبى بكر وعمر وهما فى المسجد والناس حولهما فقالوا : لم يأذن لنا ، فقال عمر : هو إن أذن لكم ، وإلا فادخلوا عليه بغير إذنه .

فانطلقوا فاستأذنوا فقالت فاطمة(عليها السلام) : احرّج عليكم أن تدخلوا بيتى بغير اذن ، فرجعوا وثبت قنفذ فقالوا : إن فاطمة قالت كذا وكذا فحرّجتنا أن ندخل عليها البيت بغير إذن منها ، فغضب عمر وقال : مالنا وللنساء ؟ ثم أمر أناساً حوله فحملوا حطباً وحمل معهم فجعلوه حول منزله ، وفيه على وفاطمة وابناهما(عليهم السلام) ، ثم نادى عمر حتى أسمع علياً(عليه السلام) : والله لتخرجن ولتبايعن خليفة رسول الله ، أو لا ضرمنّ عليك بيتك ناراً

، ثم رجع فقعد إلى أبى بكر وهو يخاف أن يخرج علىّ بسيفه لما قد عرف من بأسه وشدّته ، ثم قال لقنفذ : إن خرج وإلاّ فاقتحم عليه ، فإن امتنع فأضرم عليهم بيتهم ناراً .

فانطلق قنفذ فاقتحم هو واصحابه بغير إذن ... وحالت فاطمة(عليها السلام) بين زوجها وبينهم عند باب البيت ، فضربها قنفذ بالسوط على عضدها ، فبقى أثره فى عضدها من ذلك مثل الدملاج من ضرب قنفذ إياها ... ثم الجأها إلى عضادة بيتها ، فدفعها فكسر ضلعاً من جنبها وألقت جنيئاً من بطنها...»(١٥).

وروى عن الصادق(عليه السلام) أنه قال : « لَمَّا استخرج امير المؤمنين(عليه السلام) من منزله خرجت فاطمة صلوات الله عليها خلفه ، فما بقيت امرأة هاشمية إلاّ خرجت معها حتى انتهت قريباً من العتبة فقالت لهم : خلّوا عن ابن عمّى ، فوالذى بعث محمداً أبى(صلى الله عليه وآله)بالحق إن لم تخلّوا عنه ... لاضعن قميص رسول الله(صلى الله عليه وآله) على رأسى ولاصرخنّ إلى الله تبارك وتعالى ، فما صالح بأكرم على الله من أبى ، ولا الناقه بأكرم منى ، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدى »(١٦) .

ج - عندما وجدت الزهراء(عليها السلام) أن وصية رسول الله(صلى الله عليه وآله) بالولاية والخلافة لعلی(عليه السلام) من بعده قد نقضت ، وانقلب القوم على اعقابهم وارتدوا عنها ، انطلقت من مبدأ المصلحة الإسلامية العليا وانبرت لاداء دورها الرسالى فى هذا السبيل ، موطنه نفسها على كل المحن والمصائب والظلم التى ستحلّ بها ؛ فاستثمرت مسأله غصب فدىك ، وهى نحلّه أبيها إليها ، لتكون مدخلاً وطريقاً لاطهار الحقائق وتمييز الحق عن الباطل للامه والاجيال اللاحقه ، وإلقاءً للحجّه التامه على القوم . وكان لهذا الاسلوب الايجابى فى المواجهه أثره البليغ فى توجيه وعى الامه ، لتدرك الحق وتعلم من أهدره . وقد ظلّ هذا الدور حيّاً فى ضمير الامه ووجدانها ، بالرغم من عدم تسنّم امير المؤمنين(عليه السلام) الخلافة ، وعدم استرداد الزهراء حقّها فى فدىك آنذاك ، وبقي ذلك علامه صارخه معبره عن مدى الظلم الذى لحق بأهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، والانحراف الذى وقع بعده . ولم يستطع اعداء اهل البيت(عليهم السلام) ، وعلى رأسهم بنى أمية ، محو هذا الدور الرسالى الرائد للزهراء(عليها السلام) من صفحات التاريخ ومرويات رجاله ، حتى لقد طفحت بها كتب أهل السنه كما طفحت بها كتب الشيعة .

ولنتصفح بعض مفردات ما ورد فى بيان هذا الدور الفريد للزهراء(عليها السلام) ، فقد ذكر المؤرخون أن فدىك قرية من قرى الحجاز ، بينها وبين المدينه مسيره يومين أو ثلاثه أيام على ابعد التقادير ، وتقع إلى جوار خيبر التى كانت من اكبر القرى اليهوديه وأمنعها حصوناً ، وبعد أن تغلب المسلمون على خيبر ، بعد تلك المعارك الضاريه بينهم وبين يهودها ، واستولى عليها المسلمون ، تركهم النبى(صلى الله عليه وآله) يعملون فى الارض بنصف

ناتجها والنصف الآخر للفاتحين ، ولما انتهى النبي منها ضاق الامر بسكان فدك ، وأيقنوا أن النبي سوف يتجه إليهم ، فاستولى عليهم الخوف وارسلوا إليه أنهم على استعداد لان يسلموه الارض وجميع ما يملكون ، على أن يتركهم يعملون فيها بنصف الناتج كما صنع مع يهود خيبر ، فوافق على ذلك فصالحهم على نصف ناتجها ، وبذلك كانت خيبر ملكاً للمسلمين ؛ لانهم استولوا عليها بالحرب ، وفدك ملكاً للنبي (صلى الله عليه وآله) ؛ لانه لم يوجف عليها بخيل أو ركاب ، وقد وهبها النبي (صلى الله عليه وآله) لفاطمة الزهراء ، وتركتها في يد النبي يتصرف بناتجها كما تريد ، وتأخذ منه ما يكفيها وولدها ، كما تجمع على ذلك المصادر الشيعية وبعض المصادر السنية .

عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « لما بويع أبو بكر واستقام له الامر على جميع المهاجرين والانصار ، بعث إلى فدك من أخرج وكيل فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله منها ، فجاءت فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى أبي بكر ثم قالت : لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، واخرجت وكيلى من فدك وقد جعلها لى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر الله تعالى ؟

فقال : هاتى على ذلك بشهود ، فجاءت بأُم أيمن ، فقالت له أُم أيمن : لا أشهد يا أبا بكر حتى احتج عليك بما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، انشذك بالله أَلست تعلم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : أُم أيمن امرأة من أهل الجنة ؟ فقال : بلى ، قالت : فأشهد أن الله عزوجل أوحى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (وَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) فجعل فدكاً لها طعمه بأمر الله ، فجاء على (عليه السلام) فشهد بمثل ذلك ، فكتب لها كتاباً ودفعه إليها ، فدخل عمر فقال : ما هذا الكتاب ؟ فقال : إن فاطمة (عليها السلام) ادّعت فى فدك ، وشهدت لها أُم أيمن وعلى (عليه السلام) ، فكتبته لها ، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه ومزقه فخرجت فاطمة (عليها السلام) تبكى ... » (١٧) .

وجاء فى الدر المنثور للسيوطى عن البزاز وأبى يعلى وابن حاتم وابن مردويه عن سعيد الخدرى أنه قال : « لما نزلت الآية : (وَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) دعا رسول الله فاطمة الزهراء واعطاها فدكاً » كما روى ذلك جماعة عن ابن عباس وغيره .

كما جاء فى شرح النهج عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن استولى على فدك ، وهبها لفاطمة وظلت فى يدها إلى أن توفى ، وبعد وفاته انتزعها أبو بكر وضمها إلى اموال المسلمين (١٨) .

وجاء أيضاً أن فاطمة(عليها السلام) لما انصرفت من عند أبي بكر ، أقبلت على امير المؤمنين(عليه السلام) فقالت له : « يابن أبى طالب ، اشتملت شملة الجنين ، وقعدت حجرة الظنين ، نقضت قادمة الاجدل ، فخانك ريش الاعزل (أضرعت خدك يوم اضعت خدك ، افترست الذئاب وافترشت التراب ، ماكففت قائلاً ، ولا أغنيت باطلاً) هذا ابن أبى قحافة يبتزنى نحيله أبى ، وبليغه ابنى ! والله لقد أجهر فى خصامى وألفيته ألد فى كلامى ، حتى منعتنى القيلة نصرها والمهاجرة وصلها ، وغضت الجماعة دونى طرفها ، فلا دافع ولا مانع . خرجت كاظمه ، وعدت راغمه ، ولا خيار لى . ليتنى مت قبل هنيئتى ، ودون ذلتى ، عذرى الله منه عادياً ، ومنك حامياً ، ويلاى فى كل شارق ! ويلاى فى كل غارب ! مات العمدة ، ووهن العضد ، شكواى إلى أبى ، وعدواى إلى ربى . اللهم انك أشد منهم قوة وحولاً .

فأجابها امير المؤمنين : لا ويل لك ، بل الويل لشائتك ، نهنيى عن وجدك يا ابنه الصفوة ، وبقية النبوة ، فما دنيت عن دينى ، ولا اخطأت مقدورى ، فإن كنت تريدان البلغة ، فرزقك مضمون ، وكفيك مأمون . ما اعد لك خير مما قطع عنك ، فاحتسبى الله . فقالت : حسبى الله ونعم الوكيل «(١٩) .

وعندما وجدت الزهراء(عليها السلام) أن الاجواء قد تهيأت ، والمقدمات قد حصلت ، قامت بدورها الاساسى الذى خططت له ببراعة فى بيان الحقائق بالحجة الدامغة ، وإظهار الحق الالهى لعلى(عليه السلام) بالخلافة وغضب القوم له ظلماً وجوراً ؛ فقد جاء فى الروايات وكتب التاريخ الموثوقة أن الزهراء(عليها السلام) لما رأت اصرارهم على موقفهم ، ارادت أن تعلن رأيها وظلامتها على اكبر جمهور من المسلمين ، حتى لا تترك عذراً لمعتذر ، واستغلت اجتماع المسلمين فى مسجد ابيها فى يوم من ايام الجمعة ، فلائت خمارها وأقبلت فى لمة من حفدتها ونساء قومها ، حتى دخلت على أبى بكر وعنده حشد كبير من المهاجرين والانصار فى المسجد ، وقيل فى بيته كما جاء فى رواية أخرى ، وقد وصف حفيدها عبد الله بن الحسين بن الحسن السبط موقفها هذا فقال : « لما دخلت عليهم ضرب أبو بكر بينهم وبينها ربطه بيضاء أو قبطية ، ثم أنت أنه أجهد لها القوم بالبكاء ، فأمهلتهم طويلاً حتى سكتوا ، ثم قالت : ابتدئ بحمد من هو أولى بالحمد والطول والمجد . الحمد لله على ما أنعم به ، وله الشكر بما الهم » ومضت تعدد نعم الله على عباده ومواقف ابيها وتضحياته فى سبيل الدعوة ، حتى انقذهم من الضلال وعبادة الاوثان والاصنام ، ثم توجهت إلى ذلك الحشد وقالت : « أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه ، وحمله دينه ووحيه ، وامناء الله على انفسكم ، وبلغاؤه إلى الامم ، وزعيم حق له فيكم ، وعهد قدمه إليكم ، وبقية استخلفها عليكم ، كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بينه بصائره ، منكشفه سرائره ، متجليه ظواهره ، قائد إلى الرضوان اتباعه ، مؤد إلى النجاة استماعه ، به تنال حجج الله المنورة ، وعزائمه المفسرة ، ومحارمه المحذرة ، وبيناته الجالية » ومضت فى خطبتها تقول : « لقد جعل الله الايمان تطهيراً

لكم من الشرك ، والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر ، والزكاة تزكيةً للنفس ونماءً في الرزق ، والصيام تثبيتاً للاخلاص ، والحج تشييداً للدين » وظلت تتحدث عن الفوائد التي يجنيها المسلم من فروع الاسلام واصوله ، حتى خلصت إلى القول : « (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبى دون نساءكم ، وأخا ابن عمى دون رجالكم ، ولنعم المعزى (٢٠) إليه ، فبلغ الرسالة صادعاً بالندارة ، مانلاً عن مدرجة المشركين ، ضارباً ثبجهم ، آخذاً بأكظامهم ، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، يكسر الاصنام ، وينكت الهام ، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر ، وتفرد الليل عن صبحه ، وأسفر الحق عن محضه ، ونطق زعيم الدين ، وخرست شقاشق الشياطين ، وطاح وشيظ النفاق ، وانحلت عقدة الكفر والشقاق ، وفُهِتْ بكلمة الاخلاص ، وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان ، وموطئ الاقدام ، تشربون الطرق ، وتقناتون القد ، أذلّه خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله بأبى محمد بعد اللتيا والتي ، وبعد أن منى بيهم الرجال ، ودؤبان العرب ، ومردة أهل الكتاب كلما اوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله ، أو نجم قرن للشيطان ، وفغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها ، فلا ينكفى حتى يطاء جناحها بأخمصه ، ويخمد لهبها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في أمر الله ، قريباً من رسول الله سيد أولياء الله ، مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون ، تتربصون بنا الدوائر، وتتوَكَّفون الاخبار ، وتنكصون عند النزال ، وتفرون عند القتال .

فلما اختار الله لنبيه دار انبيائه ومأوى اصفائه ، ظهرت فيكم حسكة النفاق ، وسمل جلباب الدين ، ونطق كاظم الغاوين ، ونبغ خامل الاقلين وهدر فنيق المبطلين ، فخطر في عرصاتكم ، واطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم ، فألفاكم بدعوته مستجيبين ، وللعزة فيه ملاحظين ، ثم استنهضكم فوجدكم حفافاً وأحمشكم فألفاكم غضاباً ، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير مشربكم ، هذا والعهد قريب ، والكلم رحيب ، والجرح لمّا يندمل ، والرسول لمّا يُقبر ، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة (ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) فهيئات منكم ، وكيف بكم ، وأنى تؤفكون ؟ وكتاب الله بين أظهركم ، أموره ظاهرة ، واحكامه زاهرة ، وأعلامه باهرة ، وزواجره لايحة ، واوامره واضحة ، وقد خلفتموه وراء ظهوركم . أرغبة عنه تريدون ؟ أم بغيره تحكمون ، ؟ بسئ للظالمين بدلاً (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها ، ويسلس قيادها ، ثم اخذتم توروون وقديتها ، وتهيجون جمرتها ، وتستجيون لهتاف الشيطان الغوى ، واطفاء أنوار الدين الجلى ، واهمال سنن النبي الصفى ، تشربون حسواً في ارتغاء ، وتمشون لاهله وولده في الخمرة والضراء ، ويصير منكم على مثل حز المدى ، ووخز السنان في الحشا ، وأنتم الان تزعمون أن لا إرث لنا (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) أفلا تعلمون ؟ بل قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية أنى ابتته .

ثم التفتت إلى أبى بكر وقالت : « أغلب على إرثى يابن أبى قحافه ؟ أفى كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبى ؟ لقد جئت شيئاً فرياً ! أفعل على عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟ إذ يقول : (وورث سليمان داود) (٢١) وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال : (فهب لى من لذك ولياً يرثنى ويرث من آل يعقوب) (٢٢) وقال : (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) (٢٣) وقال : (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) (٢٤) وقال (إن ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين) (٢٥) وزعمتم أن لا حظوة لى ولا إرث من أبى ولا رحم بيننا ، أفخصكم الله بآية اخرج أبى منها ؟ أم هل تقولون : إن أهل ملتين لا يتوارثان ؟ أولست أنا وأبى من أهل ملّة واحدة ؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وابن عمى ؟ فدونها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشر ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعود القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم إذ تندمون ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم » .

ولم ير الناس اكثر باك ولا باكية منهم يومئذ . ثم رمت بطرفها نحو الانصار فقالت : « يا معشر النقيبة وأعضاء الملكة وحضنة الاسلام ، ماهذه الغميلة فى حقى والسنة عن ظلامتى ؟ أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبى يقول : المرء يحفظ فى ولده ؟ سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ذا إهالة ولكم طاقة بما احاول ، وقوة على ما اطلب وازاول . أتقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله) ؟ فخطب جليل استوسع وهنه ، واستنهر فتقه ، وانفتق رتقه ، واظلمت الارض لغيبته ، وكسفت الشمس والقمر وانتشرت النجوم لمصيبته ، وأكدت الامال ، وخشعت الجبال ، واضيع الحريم ، وازيلت الحرمه عند مماته ، فتلك والله النازلة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ، ولا بائقة عاجلة ، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه ، فى افنيتمكم ، وفى ممساكم ، ومصبحكم ، يهتف فى افنيتمكم هتافاً ، وصراخاً ، وتلاوة ، وألحاناً ، ولقبه ما حل بأنبياء الله ورسله ، حكم فصل وقضاء حتم : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) (٢٦) إيهأ بنى قيله ! أهضم تراث أبى ؟ وأنتم بمرأى منى ومسمع ، ومنتدى ومجمع ، تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة ، وأنتم ذوو العدد والعدة ، والاداء والقوة ، وعندكم السلاح والجنه . توافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتىكم الصرخه فلا تغيثون ، وأنتم موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصلاح ، والنخبة التى انتخبت ، والخيرة التى اختيرت لنا أهل البيت .

قاتلتم العرب ، وتحملتم الكد والتعب ، وناطحتم الامم ، وكافحتم البهم ، لا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون ، حتى إذا دارت بنا رحى الاسلام ، ودرّ حلب الايام ، وخضعت ثغرة الشرك ، وسكنت فورة الافك ، وخمدت نيران الكفر ، وهدأت دعوة الهرج ، واستوسق نظام الدين فأنى حزتم بعد البيان ؟ واسررتكم بعد الاعلان ؟ ونكصتم

بعد الاقدام ؟ وأشركتم بعد الايمان ؟ بؤساً لقوم نكنوا أيمانهم من بعد عهدهم ، وهموا باخراج الرسول ، وهم بدءوكم أول مرة ، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين .

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض وابتعدتم من هو أحق بالبسط والقبض ، وخلوتم بالدعة ، ونجوتهم بالضيق من السعة ، فمجبجتم ما وعيتم ، ووسعتم الذى تسوغتم . فإن تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعاً فإن الله لغنى حميد.

ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة منى بالجلد الذى خامرتكم ، والغدر الذى استشعرتها قلوبكم ، ولكنها فيضة النفس ، ونفته الغيظ ، وخور القناة ، وبثه الصدر ، وتقدمه الحجة ، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر ، نعبة الخف ، باقية العار ، موسومة بغضب الجبار ، وشنار الابد ، موصولة بنار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ، فبعين الله ما تفعلون ، (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) وأنا ابنه نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فاعملوا إنا عاملون ، وانتظروا إنا منتظرون «(٢٧)» .

ويبدو أن خطابها هذا فى المسجد ، وحديثها مع الانصار قد احداثاً جواً مشحوناً بالقلق ، وظهرت على الكثير من المسلمين بوادر الندم ، وأخذوا يتحدثون بظلامتها ، وموقفهم المتخاذل منها ومن حق على فى الخلافة(٢٨) .

د - لم تكتف الزهراء(عليها السلام) بهذا الاسلوب فى المواجهة ، وأداء دورها الرسمى المطلوب فى احقاق مصلحة الاسلام العليا ، بإظهار الحق وبيانه ، وردع الباطل وإزهاقه ، بل نهجت سبيلاً آخر يتكامل به دورها المعبر عن عقيدتها الراسخة ، وحسها المرهف ، وإرادتها المتفانية فى الله سبحانه ، إدراكاً منها لضرورة إبقاء جذوة الحق ساخنة فى ضمير الامة ووجدانها ، ولتنتقل صرختها وأناتها إلى الاجيال المتعاقبة بأن حق رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته(عليهم السلام) قد غُصِب ، وأنهم ظُلموا واضطهدوا ؛ لوقوفهم فى وجه الانحراف الذى بدأ يدب فى طريق الاسلام وسيرة رسوله الكريم(صلى الله عليه وآله) ، متخذاً نهجاً خطيراً لو استمر فإنه سيهدد اصول الاسلام وأركانها . وكان اسلوبها هذه المرة ذا طابع سلبى ، تمثل بالمقاطعة المقرونة بالدموع والأنات المفعمة ببيانات التظلم مما لحق بها وبأمر المؤمنين(عليه السلام) ، وتنكر القوم لهما ولوصية رسول الله(صلى الله عليه وآله) بهما ، وبوجوب حبهما واتباعهما ، وأنهما وابناءهما المعصومين الثقل الآخر بعد كتاب الله العزيز ، وهما حبلان ممدودان إلى السماء لن ينقطعاً حتى يردا عليه الحوض ، وعلى ذلك اخذ رسول الله(صلى الله عليه وآله) البيعة والعهود منهم ومن عموم المسلمين .

ومما ورد فى ذلك بطرق مختلفة ، ما عن سويد بن غفلة قال : « لما مرضت فاطمة(عليها السلام) المرضة التى توفيت فيها ، اجتمع إليها نساء المهاجرين والانصار يعدنها ، فقلن لها : كيف اصبحت من علّتك يا ابنه رسول الله ؟ فحمدت الله وصلت على أبيها(صلى الله عليه وآله) ثم قالت : اصبحت والله عائفه لدنياكن ، قالية لرجالكن ، لفظتهم بعد أن عجمتهم ، وسئمتهم بعد أن سبرتهم ، فقبحاً لفلول الحد ، واللعب بعد الجد ، وقرع الصفاة ، وصدع القناة ، وخطل الاراء ، وزلل الاهواء ، وبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ، لا جرم لقد قلدتهم ربقتهم ، وحملتهم أوقتها ، وشنت عليهم غاراتها ، فجدهاً ، وعقرأ ، وبعداً للقوم الظالمين.

ويحهم أنى زعزعوها عن رواسى الرسالة ، وقواعد النبوة والدلالة ، ومهبط الروح الامين ، والطيبين بأمر الدنيا والدين . ألا ذلك هو الخسران المبين .

وما الذى نعموا من أبى الحسن ؟ نعموا منه والله نكير سيفه ، وقلة مبالاته بحتفه ، وشدة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمره فى ذات الله .

وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة ، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة ، لردهم إليها ، وحملهم عليها ، ولسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم حشاشه ، ولا يكل سائر ، ولا يمل راكبه ، ولاوردتهم منها نيراً صافياً رويّاً تطفح ضفتاه ، ولا يترنق جانباه ، ولاصدرهم بطاناً ، ونصح لهم سرّاً وإعلاناً ، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل ، ولا يحظى منها بنائل ، غير رىّ الناهل ، وشبعة الكافل ، ولبان لهم الزاهد من الراغب ، والصادق من الكاذب (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) ، (والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين) ألا هلم فاسمع وما عشت اراك الدهر عجباً ، وإن تعجب فعجب قولهم ليت شعرى إلى أىّ سناد استندوا ؟! وإلى أىّ عماد اعتمدوا ؟! وبأية عروة تمسكوا ؟! وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا ، لبئس المولى ولبئس العشير ، وبئس للظالمين بدلاً ، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) ويحهم (أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) ! .

أما لعمري لقد لقحت ، فنظرة ريشما تنتج ، ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً ، وذعافاً مييداً . هنالك يخسر المبتطلون ، ويعرف الباطلون ، غب ما أسس الاولون ، ثم طيبوا عن دنياكم أنفاً ، واطمنوا للفتنة جأشاً ، وأبشروا بسيف صارم ، وسطوة معتد غاشم ، وبهرج شامل ، واستبداد من الظالمين ، يدع فيثكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ، فيا حسرة لكم ! وأنى بكم وقد عميت عليكم ؟ (أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) .

قال سويد بن غفلة « فأعادت النساء قولها (عليها السلام) على رجالهنّ ، فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والانصار معتذرين ، وقالوا : يا سيده النساء ، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الامر من قبل أن يبرم العهد ، ويحكم العقد ، لما عدلنا عنه إلى غيره ، فقالت (عليها السلام) : إليكم عنّي ، فلا عذر بعد تعذيركم ، ولا أمر بعد تقصيركم » (٢٩) .

هـ - ولعل من أبلغ ما عبّرت به فاطمة الزهراء (عليها السلام) في لحاظها لمصلحة الاسلام العليا ، وحفظ بيضته وسلامته ، واشهار مسأله غصب الولاية ، والتنكر لعهد ووصيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بها ، هو وصيتها لعلي (عليه السلام) قبل موتها بأن يدفنها ليلاً ويخفي قبرها ، ولا يُعلم بذلك احداً إلا خلّص اصحابه ؛ ليبقى ذلك علامه صارخه ، وشاهداً بيناً ، ودليلاً دامغاً لاجيال المسلمين اللاحقه ، على سخطها وغضبها من اولئك الذين نكثوا عهدهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غدیر خم ، وغضبوا الخلافه من وصيه علي (عليه السلام) الذي نص عليه في آخر حجه الوداع ، ومنعوا حقها في إرثها لعدك من أبيها ، واهدروا كرامتها ولم يحفظوها أمانه اوصاهم بها وبحفظ ذمارها ومقامها العظيم ، الذي طالما أكد عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) في كل موضع ومناسبة .

ومما ورد في ذلك أن فاطمة (عليها السلام) مرضت مرضاً شديداً ، ومكثت اربعين ليلة في مرضها إلى أن توفيت صلوات الله عليها ، فلما نعت إليها نفسها دعت أم ايمن واسماء بنت عميس ، ووجهت خلف علي واحضرته ، فقالت : « يابن عمّ ، إنه قد نعت إلى نفسي ، وإنني لا أرى مابى إلا أننى لاحقه بأبى الساعه أو بعد ساعه ، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي » .

قال لها علي (عليه السلام) : « أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله » فجلس عند رأسها ، وأخرج من كان في البيت ، ثم قالت : « يابن عمّ ، ما عهدتني كاذبه ولا خائنه ، ولا خالفتك منذ عاشرتني » فقال (عليه السلام) : « معاذ الله ! أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم ، وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتي . قد عزّ عليّ مفارقتك ... إلا أنه أمر لا بد منه . والله جدّدت عليّ مصيئه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقد عظمت وفاتك وفقدك ، فإننا لله وإنا إليه راجعون من مصيئه ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها ! هذه والله مصيئه لا عزاء لها ، ورزيه لا خلف لها » .

ثم بكيا جميعاً ساعه ، وأخذ عليّ رأسها وضمها إلى صدره ، ثم قال : « أوصيني بما شئت ، فإنك تجديني فيها أمضي كما أمرتني به ، وأختار أمرك عليّ أمرى ... » ثم قالت : « أوصيك يابن عمّ أن تتخذ لي نعشاً ، فقد رأيت الملائكه صوروا صورته » فقال لها : « صفيه لي » فوصفته فاتخذها لها ، فأول نعش عمل على وجه الارض ذاك .

ثم قالت : « أوصيك ألا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني واخذوا حقى ، فإنهم عدوى وعدوى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولا تترك أن يصلّى على أحد منهم ، ولا من اتباعهم ، وادفنى فى الليل إذا هدأت العيون ، ونامت الابصار » ثم توفيت صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعليها وبنيتها . فصاح أهل المدينة صيحة واحدة ، واجتمعت نساء بنى هاشم فى دارها ، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهن وهن يقلن : « يا سيدتناه ! يا بنت رسول الله ! » وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى على (عليه السلام) ، وهو جالس والحسن والحسين (عليهما السلام) بين يديه يبكيان ، فبكى الناس لبكائهما .

وخرجت أم كلثوم وعليها برقعته ، تجر ذيلها متجللة برداء عليها وهى تقول : « يا ابتاه ! يا رسول الله ! الان حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده ابداً » .

واجتمع الناس فجلسوا وهم يضحجون ، ويتنظرون أن تخرج الجنازة فيصلّون عليها ، وخرج أبو ذر وقال : « انصرفوا ؛ فإن ابنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أخر إخراجها فى هذه العشيّة » فقام الناس وانصرفوا .

فلما أن هدأت العيون ، ومضى شطر من الليل ، أخرجها على ، والحسن ، والحسين (عليهم السلام) ، وعمار ، والمقداد ، وعقيل ، والزبير ، وأبو ذر ، وسلمان ، وبريدة ، ونفر من بنى هاشم وخواصه ، فصلوا عليها ، ودفنوها فى جوف الليل ، وسوى على (عليه السلام) حوالها قبوراً مزورة مقدار سبعة ؛ حتى لا يعرف قبرها (٣٠) .

فعندما تقلب اجيال المسلمين المتوالية بعدها صفحات تاريخها ، ستجده مليئاً بالشواهد القطعية ، والادلة الواضحة هى خلافة الراى فى مقابل نص رسول الله (صلى على أن الخلافة التى قامت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله بالامامة من بعده . وعليه فقد كان هناك خطان ، هما خط الخلافة (الله عليه وآله) ، وعهده لعل (عليه السلام الحاكم الذى بدأ بشورى السقيفة ، وتحول إلى الوراثة الملكية على عهد بنى أمية ، وخط الامامة لاهل ، الذى أبعد عن مقامه الالهى ، وواصل مسيرته فى (البيت (عليهم السلام) بنص رسول الله (صلى الله عليه وآله . الامّة يحفظ الاسلام فيها من الانحراف ، ويقى بيضته الخطر ، ويسير بها على اساس من مصلحة الاسلام العليا

(١) فضائل الخمسة ٣: ١٥٥.

(٢) البحار ٢٣: ٤٣، ح ١٧.

(٣) فضائل الخمسة ٣: ٢٠٤.

(٤) فضائل الخمسة ٢: ١٣١، ذخائر العقبى: ٣١.

(٥) كنز العمال ٦: ١٥٢. فضائل الخمسة ٢: ١٣١.

(٦) فضائل الخمسة ٢: ١٣١. ذخائر العقبى: ٨٦.

(٧) مستدرک الصحيحين ٣: ١٥٩.

(٨) كنز العمال ٦: ٢٢٠.

(٩) البحار ٤٣: ٢٤.

(١٠) فضائل الخمسة ٣: ١٧١.

(١١) البحار ٤٣: ١٠، ب ٢، ح ١.

(١٢) ابن عبد البر، الاستيعاب ٤: ٣٧٥.

(١٣) الواقدي، المغازی ١: ٢٩٠، ٢٩٤. تاريخ ابن كثير ٤: ٢٩. ابن الاثير، الكامل في التاريخ ٢: ١٥٩.

(١٤) الطبرسى ، الاحتجاج ، ١ : ٧٥ .

(١٥) الطبرسى ، الاحتجاج ١ : ٨٢ - ٨٣ .

(١٦) الطبرسى ، الاحتجاج ١ : ٨٦ .

(١٧) الاحتجاج ١ : ٩٠ - ٩٢ .

(١٨) هاشم معروف الحسنى ، سيرة الائمة الاثنى عشر ١ : ١١٧ - ١١٨ .

(١٩) الطبرسى ، الاحتجاج ١ : ١٠٧ - ١٠٨ .

(٢٠) هكذا وردت فى المصدر، وصوابها «المعزى إليه» أى : المنتسب إليه.

(٢١) النمل : ١٦ .

(٢٢) مريم : ٦ .

(٢٣) الانفال : ٧٥ .

(٢٤) النساء: ١١ .

(٢٥) البقرة : ١٨٠.

(٢٦) آل عمران : ١٤٤ .

(٢٧) الطبرسي، الاحتجاج ١ : ٩٧ - ١٠٤.

(٢٨) هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر ١: ١٢٣ - ١٢٧، الطبرسي، الاحتجاج ١: ٩٧ - ١٠٤.

(٢٩) الطبرسي، الاحتجاج ١ : ١٠٨ - ١٠٩.

(٣٠) راجع البحار ١٩١: ٤٣، ب٧، ح ٢٠ .

تحقيقات

المصادر الشيعية لحديث « فاطمة بضعة مني »

* الشيخ محمد جعفر الطبسي

ذكرنا في الحلقتين السابقتين المصادر السنية لحديث « فاطمة بضعة مني » وكذا موارد نقله في الروايات ، وفي هذا العرض نشير لذلك حسب الموجود في بعض المصادر الشيعية ، ثم إلى موارد نقله عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، وفي نهاية المطاف إلى أسماء الذين رووا ذلك .

سليم بن قيس الكوفي الهلالي العامري (ت ٩٠ هـ) : ٢٥٤ ، ط . مؤسسة الاعلمي بيروت .

تفسير فرات الكوفي ، فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي ، من علماء القرن الثالث الهجري : ٢٠ .

مناقب محمد بن سليمان الكوفي ، الحافظ محمد بن سليمان الكوفي ، من أعلام القرن الثالث الهجري ٢ / ٢٠٠ ، ٢١١ ، ط . مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم .

قرب الاسناد (أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري ، من أعلام القرن الثالث الهجري) : ١١٢ ، ح ٣٨٩ ، ط . مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث - قم .

شرح الاخبار (أبي حنيفة النعمان بن محمد التيمي المغربي «ت ٣٦٣ هـ») ٣ : ٣٠ ، ح ٩٧٠ ، و ٣١ ، ح ٩٧٢ ، و ٥٩ ، ح ٩٧٧ ، و ٦١ ، ح ٩٨٢ ، و ٦٤ ، ح ٩٨٧ . مؤسسة النشر الاسلامي - قم .

دعائم الاسلام ، له أيضاً ٢ : ٢١٤ ، ح ٧٩٢ ، و ٢١٥ ، ح ٧٩٤ ، ط . دار المعارف - مصر .

تحف العقول لأبي محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني ، من أعلام القرن الرابع الهجري : ٢٣ ، ط . مؤسسة النشر الاسلامي - قم .

الجعفریات والاشعثيات (المطبوع مع قرب الاسناد) ، محمد بن محمد الاشعث الكوفي ، من أعلام القرن الرابع الهجري : ٩٥ ، ط . المطبعة الإسلامية - طهران .

الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت ٣٢٩ هـ) ٦ : ٤٤٣ ، ط . دار الكتب الإسلامية - طهران .

معاني الاخبار لأبي جعفر بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١ هـ) : ٣٠٣ ، ح ٢ ، ط . مؤسسة النشر الاسلامي - قم .

من لا يحضره الفقيه، له أيضاً ٤: ١٢٥، ط. مؤسسة النشر الاسلامي - قم.

علل الشرائع، له أيضاً: ٢٢٠، ب ١٤٩، ط. دار الحجّة للثقافة.

الخصال، له أيضاً: ٥٧٣، أبواب السبعين فما فوق، مؤسسة النشر الاسلامي - قم.

الامالي، له أيضاً: ٣٩٤، ح ١٨، المجلس ٧٣، و ٩٢، المجلس ٢٢، ط. مؤسسة الاعلمي - بيروت، ١٤٠٠ هـ.

الاعتقادات له أيضاً: ٨١، ط. المطبعة العلمية.

دلائل الامامة لابي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، من علماء القرن الرابع الهجري: ٤٥، ط. منشورات الرضى - قم.

المسترشد، له أيضاً ١: ١٣٣، ط. المطبعة الحيدرية - النجف الاشرف.

الامالي للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ): ٢٦٠، المجلس ٣١، ط. مؤسسة النشر الاسلامي - قم.

كفاية الاثر في النص على الائمة الاثني عشر لابي القاسم علي الخزاز القمي الرازي، من علماء القرن الرابع الهجري: ٣٧، و ٦٤، و ٦٥، ط. مكتبة بيدار - قم.

الامالي لابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ): ٢٤، ح ٣٠، مؤسسة البعثة - قم.

تهذيب الاحكام، له أيضاً ٦: ١١، ط. دار الكتب الاسلامية - طهران.

نوادير الراوندي، فضل الله بن علي الحسيني الراوندي، من علماء القرن الخامس الهجري: ١٤، ط. المطبعة الحيدرية - النجف الاشرف.

عمدة عيون صحاح الاخبار، يحيى بن الحسن الاسدي الحلبي المعروف (بابن بطريق) (ت ٥٢٣ هـ): ٤٤٥، ح ٦٨٥، و ٤٤٦، ح ٦٨٦، و ٤٨٩، و ٤٤٧، ح ٦٩٠.

بشارة المصطفى لابي جعفر محمد بن أبي القاسم محمد بن علي الطبري، من علماء القرن السادس الهجري: ٧٠، و ١٧٨، و ١٩٨، المكتبة الحيدرية - النجف الاشرف.

مناقب ابن شهر آشوف لابی جعفر رشید الدین بن شهر آشوب السروی المازندرانی ، (ت ۵۸۸ هـ) ۳ : ۳۳۲ ، ط . مكتبة العلامة - قم . وقال «هذا يدل على عصمتها ؛ لأنها لو كانت ممن تقارف الذنوب لم يكن مؤذيها مؤذياً له على كل حال» .

إعلام الوری بأعلام الهدی لابی علی الفضل بن الحسن الطبرسی (ت ۵۴۸ هـ) : ۱۴۹ ، ط . دار المعرفة - بيروت .

روضه الواعظین ، محمد بن الفتال النيسابوری (ت ۵۰۸ هـ) : ۱۵۰ ، ط . منشورات الشريف الرضي - قم .

الفضائل لابی الفضل سدید الدین شاذان بن جبرائیل بن أبی طالب القمی (ت ۶۶۰ هـ) : ۹ ، ط . منشورات الشريف الرضي - قم .

كشف الغمّة فی معرفة الاثمة لابی الحسن علی بن عیسی بن أبی الفتح الاربلی ، (ت ۶۹۲ هـ) ۱ : ۳۶۳ ، ط . دار الكتاب الاسلامی - بيروت .

نهج الحق وكشف الصدق ، الحسن بن یوسف بن المطهر الحلّی (ت ۷۲۶ هـ) : ۳۶۲ ، ط . دار الهجرة - قم .

العدد القویة ، رضی الدین علی بن یوسف بن المطهر الحلّی ، من علماء القرن الثامن الهجری : ۲۲۵ ، ح ۱۷ ، و ۱۸ ، ط . مكتبة السيد النجفی - قم .

الصراط المستقیم إلى مستحقّی التقديّم لزين الدین أبی محمد علی بن یونس العاملی النباطی البیاضی (ت ۸۷۷ هـ) : ۱۷۰ ، الفصل الخامس ، ط . المكتبة المرتضوية - طهران .

زبدة البیان ، أحمد بن محمد الشهير بالمقدس الاردبیلی (ت ۹۹۳ هـ) : ۱۸۹ ، المكتبة المرتضوية - طهران .

مجمع البحرين ، فخر الدین الطریحی (ت ۱۰۸۵ هـ) ۲ : ۳۰۰ ، ط . المكتبة المرتضوية - طهران .

بحار الانوار ، محمد باقر المجلسی (ت ۱۱۱۰ هـ) ۲۲ : ۲۳۶ ، و ۲۳ : ۲۳۴ ، و ۲۷ : ۶۲ ، و ۲۸ : ۳۸ ، و ۷۶ ، و ۳۰۳ ، و ۳۷ : ۶۶ ، و ۸۵ ، و ۶۹ ، و ۸۵ ، و ۴۳ : ۷۶ ، و ۲۰۲ .

مناقب أهل البيت (عليهم السلام) ، حيدر علی بن محمد الشروانی ، من أعلام القرن الثاني عشر الهجری : ۲۳۰ و ۲۳۱ ، ط . منشورات الدار الاسلامیة .

مستدرک الوسائل ، الميرزا محمد حسين النوری (ت ۱۳۲۰ هـ) ۱۴ : ۱۸۲ ، ح ۱۶۴۵۰ ، و ۱۸۲ ، ح ۱۶۴۵۲ ، و ۲۸۹ ، ح ۱۶۷۴۰ ، و ۱۶۷۴۱ .

الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (عليها السلام) ، عبد الحسين شرف الدين : ٨١ ، ط. دار الزهراء - بيروت .

بعض الذين رووا الحديث :

١ - الامام الباقر (عليه السلام) (المناقب ٣ : ٣٣٢) .

٢ - الامام الصادق (عليه السلام) (عوامل العلوم ١١ : ١١٦) .

٣ - فاطمة الزهراء (عليها السلام) (دلائل الامامة : ٤٦) .

الصحابة وغيرهم :

٤ - سلمان الفارسي (البحار ٤٣ : ٣٩) .

٥ - عمر بن الخطاب (المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٣٣٢) .

٦ - سعد بن أبي وقاص (امالي الطوسي : ٢٤ ، ح ٣٠) .

٧ - عبد الله بن العباس (البحار ٤٣ : ٣٩) .

٨ - جابر بن عبد الله الانصاري (كشف الغمة ١ : ٤٦٧) .

٩ - سفيان الثوري (البحار ٤٣ : ٣٩) .

١٠ - سعيد بن جبير (البحار ٤٣ : ٣٩) .

١١ - الحسن البصري (البحار ٤٣ : ٣٩) .

١٢ - عامر الشعبي (المناقب ٣ : ٣٣٢) .

١٣ - أبو ذر الغفاري (كفاية الاثر : ٣٦) .

١٤ - مجاهد (المناقب ٣ : ٣٣٢) .

١٥ - المسور بن مخرمة (المناقب ٣ : ٣٣٢) .

ألفاظ الحديث :

- ١ - « إنها بضعة مني ، يؤذيني ما آذاها » (إعلام الوري : ١٤٩) .
 - ٢ - « فاطمة بضعة مني ، فمن آذاها فقد آذاني » (سليم بن قيس الهلالي : ٢٥٤) .
 - ٣ - « فهي فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) ، وهي بضعة مني ، وهي قلبي الذي بين جنبي ، فمن آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله » (المحتضر : ١٣٦) .
 - ٤ - « أشهد أنك بضعة مني » (نادر الراوندي : ١٤) .
 - ٥ - « فاطمة بضعة مني ، فمن آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله » (دلائل الإمامة : ٤٦) .
 - ٦ - « ألا إنك بضعة مني ، فمن آذاك فقد آذاني » (البحار ٣٦ : ٣٠٧) .
 - ٧ - « إن فاطمة بضعة مني ، ونور عيني ، وثمره فؤادي ، يسوؤني ما ساءها ويسرني ما سرها » (البحار ٣٧ : ٨٤ ، ح ٥٢) .
 - ٨ - « إن فاطمة بضعة مني ، وأنا منها ، فمن آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي ، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي » (البحار ٤٣ : ٢٠٣) .
 - ٩ - « فاطمة بضعة مني ، من سرها فقد سرنى ، ومن ساءها فقد ساءنى ، فاطمة أعز البرية على » (البحار ٤٣ : ٣٩) .
 - ١٠ - « فاطمة بضعة مني ، يرضيني ما أرضاها ، ويسخطني ما أسخطها » (البحار ٤٣ : ٣٩) .
 - ١١ - « إن فاطمة بضعة مني ، من آذاها فقد آذاني ، ومن غاظها فقد غاظني ، ومن سرها فقد سرنى » (الاعتقادات للصدوق : ٨١) .
 - ١٢ - « إن فاطمة بضعة مني ، وهي روحى التى بين جنبي ، يسوؤني ما ساءها ، ويسرنى ما سرها » (الاعتقادات : ١٠٨) .
 - ١٣ - « إن فاطمة شجنة (١) مني ، يؤذيني ما آذاها ، ويسرنى ما يسرها ، وإن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها » (معانى الاخبار : ٣٠٣) .
- () الشَّجَنَةُ : الشَّعْبَةُ من الشيء (لسان العرب ٧ : ٣٩) .
- ١٤ - « فاطمة بضعة مني يرينى ما رابها » (البحار ٢١ : ٢٧٩) .

١٥ - « فإن فاطمة بضعة مني » (البحار ٢٣ : ١٤٣) .

١٦ - « ألا أن فاطمة بضعة مني ، فمن آذاها فقد آذاني ، ومن سرّها فقد سرنى ، ومن غاظها فقد غاظنى » (أمالى الصدوق : ٩٢) .

١٧ - « إن فاطمة بضعة منى ، وهى نور عيني وثمره فؤادى ، يسوؤنى ما ساءها ، ويسرنى ما سرها » (روضه الواعظين : ١٥٠) .

١٨ - « فإن فاطمة بضعة منى ، يؤلمنى ما يؤلمها ، ويسرنى ما يسرها » (كشف الغمّة ١ : ٣٦٣) .

أما موارد الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) فهي :

١ - ليلة زواجها (عليها السلام) مخاطباً لأمير المؤمنين (عليه السلام) : « هنيئاً لك يا على ؛ فإن الله عزوجل زوجك فاطمة سيده نساء أهل الجنة ، وهى بضعة منى » (الخصال : ٥٧٣) .

٢ - عندما رجع من حجة الوداع :

عن ابن عباس أنه قال : « لما رجعنا من حجة الوداع جلسنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى مسجده فقال : أتدرون ما أقول لكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : اعلّموا أن الله عزوجل منّ على أهل الدين إذ هداهم بى ... أيها الناس ، الله فى عترتى وأهل بيتى ، فان فاطمة بضعة منى وولديها عضداى » (البحار ٢٣ : ٩٧) .

٣ - عندما سئل الرسول (صلى الله عليه وآله) عن أفضلية فاطمة على مريم :

عن ابن عباس : « سأل رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أمريم أفضل أم فاطمة ؟ فسكت ، فقال ثانية : يا رسول الله ، أفاطمة أفضل أم مريم ؟ قال النبي (صلى الله عليه وآله) : فاطمة فضلى فى الدنيا والاخرة ، فاطمة بضعة منى » (تفسير فوات الكوفى : ٢٠) .

٤ - فى حضور أبى بكر وعمر وطلحة :

روى الصدوق بسنده عن عمرو بن أبى المقدام ، وزيد بن عبد الله عن الصادق (عليه السلام) فى حديث : « طلب النبي (صلى الله عليه وآله) من أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يدعو له ابا بكر من داره ، وعمر من مجلسه ، وطلحة ، فخرج على (عليه السلام) فاستخرجهما من منزلهما واجتمعا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا على ، أما علمت أن فاطمة بضعة منى وأنا منها ؟ فمن آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذاها بعد موتى كان كمن آذاها فى حياتى ، ومن آذاها فى حياتى كان كمن آذاها بعد موتى » (علل الشرائع : ٢٢٠ ، ب ١٤٩) .

٥ - حينما اجتمع عنده أصحاب الكساء :

عن ابن عباس : « إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً يوماً وعنده على وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ، فقال : اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ ثم التفت إلى علي (عليه السلام) فقال : يا علي ، إن فاطمة بضعة مني ، ونور عيني ، وثمره فؤادي ، يسوؤني ما ساءها ، ويسرني ما سرّها » (البحار ٣٧ : ٨٤ ، ح ٥٢) .

٦ - عند مرض الموت :

عن جابر بن عبد الله الانصاري : « كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الشكاة التي قبض فيها ، فإذا فاطمة عند رأسه آذاني » (البحار ٣٦ : ٣٠٧) .

٧ - عندما أراد أن يعرفها :

عن مجاهد قال : « خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد أخذ بيد فاطمة (عليها السلام) وقال : من عرف هذه فقد عرفها ، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) ، وهي بضعة مني ، وهي قلبي الذي بين جنبي ، فمن آذاها فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله » (المحتضر : ١٣٦) .

٨ - حينما استأذن أعمى على فاطمة (عليها السلام) :

قال علي (عليه السلام) : « استأذن أعمى على فاطمة صلوات الله عليها ، فحجبته ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لِمَ حجبته وهو لا يراك ؟ فقالت (عليها السلام) : إن لم يكن يراني فأنا أراه ، وهو يشم الريح ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أشهد أنك بضعة مني » (نوادير الراوندي : ١٣ - ١٤) .

وليس هذا العرض على سبيل الحصر ، ولعل الباحث والمتتبع يعثر على موارد أخرى .

دراسات

* الشيخ محمد مهدي الاصفى

خطاب الاستنصار الحسيني

استعراض وتحليل

(١)

(فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ) .

آل عمران : ٥٢

(يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً لله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) .

الصف : ١٤

الاستنصار الحسيني

يقول الشيخ جعفر التستري (قدس سره) في الخصائص الحسينية إنّ الحسين (عليه السلام) (استنصر) الناس سبع مرّات و(استغاث) سبعاً .

ثم يقول (رحمه الله) : « إنّ التلبّيات السبعة الواردة في زيارة الحسين (عليه السلام) (لبيك داعي الله) اجابته وإشارة إلى هذه الاستنصارات والاستغاثات » [\[١\]](#) .

وفيما يلي نستعرض من استنصار الحسين (عليه السلام) واستغاثته بالمسلمين ، منذ خروجه من المدينة إلى اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ في كربلاء .

نماذج من الاستنصار الحسيني

في المدينة

١ - خرج الحسين (عليه السلام) من المدينة متوجّها نحو مكّة ليلة الاحد ليومين بقيا من رجب ، ومعه بنوه واخوته وبنو أخيه الحسن (عليه السلام) وأهل بيته ، وكتب قبل أن يخرج من المدينة وصيّته التي يستنصر فيها المسلمين ، وأودعها عند أخيه محمّد بن الحنفية .

قال فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أوصى به الحسين بن علي (عليه السلام) إلى أخيه محمّد بن الحنفية : أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، جاء بالحق من عنده ، وأنّ الجنّة حق ، والنار حق ، والساعة آتية لا ريب فيها ، وأنّ الله يبعث من في القبور وإنّي لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا مُفسداً ، ولا ظالماً ، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي (صلى الله عليه وآله) . أريد أن آمر بالمعروف ، وأنهي عن المنكر ، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب . فمن قبلني بقبول الحق ، فالله أولى بالحق ، ومن ردّ علي هذا أصبر حتى يقضى الله بيني وبين القوم ، وهو خير الحاكمين .

ثم طوى الكتاب وختمه ، ودفعه إلى أخيه محمّد » ([٢]).

٢ - واستنصر الحسين عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وقال له لمّا طلب منه البقاء في المدينة : « يا عبد الله ، إنّ من هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريا يُهدى إلى بغى من بغايا بني اسرائيل ، وإنّ رأسي يُهدى إلى بغى من بني أميّة » ([٣]).

ولمّا عرف ابن عمر من الحسين العزم على مغادرة المدينة قال له : « يا أبا عبد الله ، اكشف لي عن الموضع الذي لم يزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقبله منك » فكشف له عن سرّته فقبلها ثلاثاً وبكى ([٤]) ، فقال له : « اتق الله يا أبا عبد الرحمن ، ولا تدعنّ نصرتي » ([٥]).

في مكّة

٣ - وكتب الحسين نسخة واحدة (تعميماً) إلى رؤساء الاخماس بالبصرة ، وهم مالك بن مسمع البكري ، والاحنف بن القيس ، والجارود بن المنذر ، ومسعود بن عمرو ، وقيس بن الهيثم ، وعمرو بن عبيد بن معمر ، وأرسلها مع مولى له يُقال له سليمان ([٦]) وفيها : « أمّا بعد ، فإنّ الله اصطفى محمّداً (صلى الله عليه وآله) على خلقه ، وأكرمته بنبوته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده ، وبلغ ما أرسل به (صلى الله عليه وآله) ، وكُنّا أهله وأولياءه وأوصيائه

وورثته ، وأحق الناس بمقامه فى الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممّن تولاه. وقد بعثت رسولى إليكم بهذا الكتاب ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فإنّ السّنة قد أميتت والبدعة قد أحييت ، فإن تسمعوا قولى أهدكم إلى سبيل الرشاد .»

فسلمّ الجارود بن المنذر العبدى رسول الحسين إلى ابن زياد، فصلبه عشية الليلة التى خرج فى صبيحتها إلى الكوفة ليسبق الحسين إليها(٧) ، وكانت ابنة الجارود زوجة ابن زياد فرعم أن يكون الرسول دسيساً من ابن زياد . فأما الاحنف فإنه كتب إلى الحسين (عليه السلام): « أما بعد ، فاصبر إنّ وعد الله حق ولا يستخفّنك الذين لا يؤقنون »(٨)

وأما يزيد بن مسعود(٩) فإنه جمع بنى تميم وبنى حنظلة وبنى سعد ، فلمّا حضروا قال : « يا بنى تميم ، كيف ترون موضعى فيكم وحسبى منكم ؟ قالوا : بخ بخ ! أنت والله فقرة الظهر ، ورأس الفخر ، حللت فى الشرف وسطاً ، وتقدّمت فيه فرطاً ، قال : فإننى قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاورك فيه ، وأستعين بكم عليه ، فقالوا : إنا والله نمنحك النصيحة ، ونجهد لك الرأى ، فقل حتى نسمع . فقال : إنّ معاوية مات ، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً . ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والاثم ، وتضعضت أركان الظلم ، وكان قد أحدث بيعه عقد بها أمراً ظنّ أنّه قد أحكمه ، وهيهات الذى أراد . اجتهد والله ففشل ، وشاور فخذل ، وقد قام يزيد شارب الخمر ورأس الفجور يدعى الخلافة على المسلمين ، ويتأمر عليهم بغير رضا منهم ، مع قصر حلم ، وقلة علم ، لا يعرف من الحق موطأ قدميه ، فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاذه على الدين أفضل من جهاد المشركين . وهذا الحسين بن على وابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ذو الشرف الاصيل ، والرأى الاثيل ، له فضل لا يوصف ، وعلم لا ينزف ، وهو أولى بهذا الامر لسابقته وسنّه وقدمه وقربته ، يعطف على الصغير ، ويحسن إلى الكبير ، فأكرم به راعى رعيه ، وإمام قوم وجبت لله به الحجة ، وبلغت به الموعظة ، فلا تعشوا عن نور الحق ، ولا تكسعوا فى وهد الباطل ، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل ، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونصرته ، والله لا يقصّر أحدكم عن نصرته إلا أورثه الله تعالى الذلّ فى ولده ، والقلة فى عشيرته ، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها ، واذرعت لها بدرعها. من لم يقتل يمّت ، ومن يهرب لم يقُت ، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب . فقالت بنو حنظلة : يا أبا خالد ، نحن نبل كنانتك ، وفرسان عشيرتك ، إن رميت بنا أصبت ، وإن غزوت بنا فتحت . لا تخوض والله غمرة إلا خضناها ، ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها ، ننصرك بأسيافنا ونقيك بأبداننا إذا شئت . وتكلّمت بنوعامر بن تميم فقالوا : يا أبا خالد نحن بنو أبيك وحلفاؤك ، لا نرضى إن غضبت ، ولا نبقي إن ظنعت ، والامر إليك فادعنا إذا شئت . وقالت بنو سعد بن زيد : أبا خالد ، إنّ أبغض الاشياء إلينا خلافتك والخروج عن رأيك ، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال يوم الجمل ، فحمدنا ما أمرنا ، وبقي عزنا

فينا ، فأمهلنا نراجع المشورة ونأتيك برأينا . فقال لهم لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً ، ولا زال سيفكم فيكم».

ثم كتب إلى الحسين (عليه السلام) : «أما بعد فقد وصل إلَيَّ كتابك ، وفهمت ما ندبتني إليه ، ودعوتني له من الاخذ بحظي من طاعتك ، والفوز بنصيبي من نصرتك ، وإن الله لم يخل الارض قط من عامل عليها بخير ، ودليل على سبيل نجاه . وأنتم حجة الله على خلقه ، ووديعته في أرضه ، تفرعتم من زيتونه أحمديه هو أصلها وأنتم فرعها ، فاقدم سعدت بأسعد طائر ، فقد ذلت لك أعناق بني تميم ، وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الابل الظماء لورود الماء يوم خمسها ، وقد ذلت لك رقاب بني سعد ، وغسلت درن قلوبها بماء سحاب مزن حين استهلّ برقها فلمع».

فلما قرأ الحسين (عليه السلام) كتابه قال : « مالک آمنک الله من الخوف ، وأعزّک وأرواک يوم العطش الاکبر » .

ولما تجهّز ابن مسعود إلى المسير بلغه قتل الحسين (عليه السلام) فاشتدّ جزعه وكثر أسفه لفوات الامنيه من السعادة بالشهادة ^(١٠) .

وكانت ماريه ابنة سعد أو مُنقذ أيماً ، وهي من الشيعة المخلصين ، ودارها مألّف لهم يتحدثون فيها بفضل أهل البيت (عليهم السلام) ، فقال يزيد بن نبيط وهو من عبد القيس لاولاده وهم عشرة : «أيكم يخرج معي ؟ » فانتدب منهم اثنان عبدالله وعبيد الله ، وقال له أصحابه في بيت تلك المرأة : «نخاف عليك أصحاب ابن زياد . قال : والله لو قد استوت أخفافها بالجدد لهان على طلب من طلبني ^(١١) ، وصحبه مولاة عامر ، وسيف بن مالک ، والادهم بن أمية ^(١٢) ، فوافوا الحسين بمكة وضمّوا رجالهم إلى رحله حتى وردوا كربلاء وقُتلوا معه .

٤ - وخطب الحسين (عليه السلام) في المسلمين عشية خروجه من مكة ، وقال : « خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة ، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف ، وخير لي مصرع أنا لاقيه ، كآني بأوصالي تقطّعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ، فيملان مني أكراشاً جوفاً ، وأجربة سغباً . لا محيص عن يوم خطّ بالقلم . رضا الله رضانا أهل البيت . نصبر على بلائه ، ويوفينا اجور الصابرين . لن تشذ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحمته ، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس ، تقرّ بهم عينه ، وينجز بهم وعده . ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته ، موطناً على لقاء الله نفسه ، فليرحل معنا ، فإنني راحل مُصبحاً إن شاء الله ^(١٣) .

وفي هذه الخطبة ينعي الامام نفسه ، ويستنصر المسلمين ، ويطلب منهم مهجهم ، ويطلب ممّن يريد أن يخرج معه أن يوطن نفسه للقاء الله ، ويعلن للمسلمين أنّه يخرج غداً إلى العراق ، ومن أراد أن يلتحق به فليعدّ نفسه للخروج منذ الليلة .

وهى دعوة غريبة من نوعها فى تاريخ النافرين والارارين . فلا يُمنّهم الحسن (عله السلام) بملك ولا سلطان ، وإنما يدعوهم إلى القتل .

وهذه الدعوة بهذه الخصوصية مما تتميز بها ثورة الحسن (عله السلام) فى التاريخ عن غيرها من الثورات والحركات .

إنّ الحسن (عله السلام) يطلب من الناس مهجهم ، ويطلب منهم أن ينتزعوا أنفسهم من الدنيا ويوطنوا أنفسهم للقاء الله ، وهو (عله السلام) يقصد ما يقول .

ولو خرج يومئذ مع الحسن (عله السلام) ناس يريدون الدنيا ، وليس وجه الله ، ويطلبون المال والسلطان فى خروجهم مع الحسن (عله السلام) ، لاخلّوا بهذه الحركة ، وأفقدوها قيمتها وتأثيرها العميق الخالد فى التاريخ .

وبهذه الطريقة يعلن الحسن (عله السلام) من بدء خروجه عن رفضه لأولئك الذين يريدون أن يلتحقوا به للمال والسلطان والدنيا.

هذه الخطبة غريبة فى لهجتها ، غريبة فى مضامينها ودعوتها ، وتتضمن الاستنصار ، والاستماتة ، والترغيب ، والترهيد ، والدعوة والرفض .

٥ - فى الحاجر :

ولما بلغ الحاجر (١٤) من بطن الرمة ، كتب إلى أهل الكوفة جواب كتاب مسلم بن عقيل وبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوى (١٥) ، وفيه : « أما بعد ، فقد ورد علىّ كتاب مسلم بن عقيل يخبرنى باجتماعكم على نصرنا والطلب بحقنا ، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع ، ويشيكم على ذلك أعظم الاجر ، وقد شخست إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة ، فإذا قدم عليكم رسولى فانكمشوا فى أمركم ، فإننى قادم فى أيامى هذه » .

ولما وصل قيس إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير التميمى - وكان صاحب شرطة ابن زياد، وقد أمره أن ينظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان (١٦) ، ومنها إلى القطقانة - فأراد أن يفشّه فأخرج قيس الكتاب وخرقه .

ولما مثل بين يدى ابن زياد قال : « لماذا خرقت الكتاب ؟ قال : لئلاّ تطّلع عليه ، فأصرّ ابن زياد على الاخبار بما فيه فأبى قيس ، فقال : إن لم تخبرنى فاصعد المنبر وسبّ الحسين وأباه وأخاه ، وإلاّ قطعتك إرباً إرباً » .

فصعد المنبر ، وحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي وآله ، وأكثر من الترحم على أمير المؤمنين والحسن والحسين ، ولعن عبيد الله بن زياد وأباه وبنى أمية .

ثم قال : «أيها الناس ، أنا رسول الحسين إليكم ، وقد خلفته في موضع كذا فأجيبوه » ، فأمر ابن زياد أن يرمى من أعلا القصر فتكسرت عظامه ومات [\[١٧\]](#) .

ويقال أمر ابن زياد أن يرمى مكتوفاً، فُرمي من أعلا القصر [\[١٨\]](#) وكان به رمق ، فقام إليه عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه ، فعيب فعله فقال : «أردت أن أريحه » [\[١٩\]](#) .

٦ - في زرود :

ونزل الحسين في زرود ، ونزل بالقرب منه زهير بن القين البجلي ، وكان غير مشايح له ويكره النزول معه ، ولكن الماء جمعهم في المكان .

روى السدي عن رجل من بني فزارة كان يرافق زهيراً (رحمه الله) في السفر الذي التحق فيه بالحسين ، قال : « كنا مع زهير بن القين البجلي (رحمه الله) حين أقبلنا مكة نساير الحسين (عليه السلام) ، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزله ، فإذا سار الحسين (عليه السلام) تخلف زهير بن القين ، وإذا نزل الحسين تقدم زهير ، حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بداً من أن ننازله فيه ، فنزل الحسين (عليه السلام) في جانب ونزلنا في جانب ، فبينما نحن جلوس نتغذى من طعام لنا ، إذ أقبل رسول الحسين (عليه السلام) حتى سلم ثم دخل ، فقال : يا زهير بن القين ، إن أبا عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام) بعثنى إليك لتأتيه . قال : فطرح كل إنسان ما في يده حتى كآئنا على رؤوسنا الطير » .

قال أبو مخنف : «فحدثني دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين قالت : فقلت له : أبيعك إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه ؟ سبحان الله ! لو أتيت فسمعت من كلامه ثم انصرفت . قالت : فأتاه زهير بن القين ، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه . قالت : فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم ... وحمل إلى الحسين (عليه السلام) . ثم قال لامرأته : أنت طالق . الحقى بأهلك فإنني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير » [\[٢٠\]](#) .

وفي رواية اللهوف قال : «وقد عزمت على صحبة الحسين (عليه السلام) لأفديه بنفسى وأقيه بروحى . ثم أعطاه مالها وسلمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها ، فقامت إليه وبكت وودعته وقالت : كان الله عوناً ومعيناً ، خار الله لك . أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين (عليه السلام) » [\[٢١\]](#) .

قال الطبري : «ثم قال لأصحابه : مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّبِعَنِي وَإِلَّا فَإِنَّهُ آخِرُ الْعَهْدِ . إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا . غَزَوْنَا بَلَنْجَرَ» [٢٢] ففتح الله علينا وأصبنا غنائم ، فقال لنا سلمان الباهلي - وفي روايات أخر سلمان الفارسي (رضي الله عنه) - : أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتُم من المغانم ؟ فقلنا : نعم . فقال : إذا أدركتم سيد شباب آل محمد (عليهم السلام) فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتُم من الغنائم . فأما أنا فإنني استودعكم الله . قال : ثم والله ما زال في أول القوم حتى قتل (رضوان الله عليه) «[٢٣]» .

٧ - في مقر بني مقاتل :

وفي مقر بني مقاتل رأى فسطاطاً مضروباً ورمحاً مركزاً وفرساً واقفاً ، فسأل عنه ف قيل هو لعبيد الله بن الحر الجعفي ، وبعث إليه الحجاج بن مسروق الجعفي فسأله ابن الحر عما وراءه ، قال : «هدية إليك وكرامة ، إن قبلتها . هذا الحسين يدعوك إلى نصرته ، فإن قاتلت بين يديه أجرت ، وإن قتلت استشهدت . فقال ابن الحر : والله ما خرجت من الكوفة إلا لكثرة ما رأيته خارجاً لمحاربتة وخذلان شيعته ، فعلمت أنه مقتول ولا أقدر على نصره ، ولست أحب أن يراني وأراه» [٢٤] .

فأعاد الحجاج كلامه على الحسين ، فقام صلوات الله عليه ومشى إليه في جماعة من أهل بيته وصحبه ، فدخل عليه الفسطاط فوسّع له في صدر المجلس . يقول ابن الحر : «ما رأيت أحداً قط أحسن من الحسين ولا أملاً للعين منه ، ولا رقت على أحد قط رقتي عليه حين رأيته يمشى والصبيان حوله ، ونظرت إلى لحيته فرأيته كأنها جناح غراب ، فقلت له : أسود أم خضاب ؟ قال : يا بن الحر ، عجل على الشيب ، فعرفت أنه خضاب» [٢٥] .

ولما استقر المجلس بأبي عبد الله حمد الله وأثنى عليه ثم قال : «يا بن الحر ، إن أهل مصركم كتبوا إلي أنهم مجتمعون على نصرتي ، وسألوني القدوم عليهم ، وليس الأمر على ما زعموا» [٢٦] ، وإن عليك ذنباً كثيرة ، فهل لك من توبة تمحى بها ذنوبك ؟ قال : وما هي يا بن رسول الله ؟ فقال : تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه» [٢٧] . فقال ابن الحر : والله إنني لأعلم أن من شايحك كان السعيد في الآخرة ، ولكن ما عسى أن أغنى عنك ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً ؟ فانشدك الله أن تحملني على هذه الخطئة ، فإن نفسي لا تسمح بالموت ، ولكن فرسى هذه الملحقة والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته ، ولا طلبني أحد وأنا عليها إلا سبقته ، فخذها فهي لك . قال الحسين : أما إذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا في فرسك» [٢٨] ولا فيك ، وما كنت متخذ المضللين عضداً» [٢٩] . وإنني أنصحك كما نصحتني . إن استطعت ألا تسمع صراخنا ولا تشهد وقعنا فافعل ، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلا أكبه الله في نار جهنم» [٣٠] .

وندم ابن الحرّ على ما فاته من نصره الحسين (عليه السلام) فأنشأ:

أيا لك حسرة ما دمت حيّاً تردّد بين صدرى والتراقى

غداة يقول لى بالقصر قولاً أتركنا وتعزم بالفراق

حسين حين يطلب بذل نصرى على أهل العداوة والشقاق

فلو فلق التلهّف قلب حرّاً لهمّ اليوم قلبى بانفلاق

ولو آسيته يوماً بنفسى لنت كرامة يوم التلاق

مع ابن محمّد تفديه نفسى فودّع ثمّ أسرع بانطلاق

لقد فاز الالى نصرورا حسيناً وخاب الآخرون ذووا النفاق [\(\[٣١\]\)](#)

وفى هذا الموضع اجتمع به عمرو بن قيس المشرقى وابن عمّه ، فقال لهما الحسين : « جئتما لنصرتى ؟ قالاه : إنّنا كثيرو العيال ، وفى أيدينا بضائع للناس ، ولم ندر ماذا يكون ، ونكره أن نضيّع الأمانة . فقال لهما (عليه السلام) : انطلقا فلا تسمعا لى واعيه ، ولا تريّا لى سواداً ، فإنّه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يجبنا ، كان حقاً على الله عزّ وجلّ أن يكبّه على منخره فى النار » [\(\[٣٢\]\)](#) .

٨ - فى منزل شراف :

وفى شراف طلع عليهم الحرّ الرياحى بألف فارس ، وقد بعثه ابن زياد ليحبس الحسين (عليه السلام) عن الرجوع إلى المدينة أينما يجده ، أو يقدم به إلى الكوفة .

فسقاهم الحسين (عليه السلام) ماءً وكانوا عطاشى ، ثمّ خطب فيهم الحسين (عليه السلام) وقال : « إنّها معذرة إلى الله عزّ وجلّ وإليكم ، وإني لم آتكم حتى أتتنى كتبكم ، وقدمت بها على رُسلكم ، أن اقدم علينا فإنّه ليس لنا إمام ، ولعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى ، فإن كنتم على ذلك فقد جئكم ، فأعطوني ما أطمئن به من عهودكم ومواثيقكم ، وإن كنتم لمقدمى كارهين انصرفتم عنكم » [\(\[٣٣\]\)](#) .

٩ - فى منزل البيضة :

وفى منزل البيضة خطب الحسين (عليه السلام) فى أصحاب الحرّ فقال : « أيّها الناس ، إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : من رأى سلطاناً جائراً ، مستحلاً لحرام الله ، ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل فى عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله . ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالغنى ، وأحلّوا حرام الله ، وحرّموا حلاله ، وأنا أحق من غير ، وقد أتتني كتبكم ، وقدمت على رسلكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني ، فإن تمتمت على بيعتكم تصيبوا رشدكم ، فأنا الحسين بن علي ، وأمى فاطمة بنت رسول الله . نفسى مع أنفسكم ، وأهلى مع أهليكم ، ولكم فى أسوة ، وإن لم تفعلوا ، ونقضتم عهدكم ، وخلعتم بيعتى من أعناقكم ، فلعمري ما هى لكم بنكر . لقد فعلتموها بأبى وأخى وابن عمى مسلم . فالمغرور من اغتر بكم . فحظكم أخطأتم ، ونصيبيكم ضيعتم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وسيغنى الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » ([٣٤]) .

١٠ - فى كربلاء :

وفى كربلاء أقبل حبيب بن مظاهر الاسدى إلى الحسين بن علي (عليهما السلام) ، فقال : « ها هنا حى من بنى أسد بالقرب منى أو تأذن لى أن أسير إليهم أدعوهم إلى نصرتك ؟ فعسى الله أن يدفع بهم عنك بعض ما تكره ، فقال له الحسين (عليه السلام) : قد أذنت لك يا حبيب . قال : فخرج حبيب بن مظاهر فى جوف الليل متكرراً حتى صار إلى أولئك القوم ، فحيّاهم وحيّوه وعرفوا أنه من بنى أسد ، فقالوا : ما حاجتك يا بن عم ؟ فقال : قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم ، أتيتكم أدعوكم إلى نصره ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فإنه فى عصابة من المؤمنين الرجل منهم خير من ألف رجل ، لن يخذلوه ولن يسلموه ، وفيهم عين نظرت ، وهذا عمر بن سعد قد أحاط به فى اثنين وعشرين ألفاً ، وأنتم قومي وعشيرتي ، وقد جئتكم بهذه النصيحة فأطيعوني اليوم فى نصرته تنالون غداً شرفاً فى الآخرة ، فإننى أقسم بالله أنه لا يقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) صابراً محتسباً إلا كان رفيقاً محمداً (صلى الله عليه وآله) فى أعلى عليين . قال : فوثب رجل من بنى أسد يُقال له بشر بن عبيد الله فقال : والله أنا أول من أجاب إلى هذه الدعوة ، ثم أنشأ يقول :

قد علم القوم إذا تواكلوا وأحجم الفرسان أو تناصلوا

أنى شجاع بطل مقاتل كأتنى ليث عرين باسل

قال : ثم تبادر رجال الحى مع حبيب بن مظاهر الاسدى .

قال : وخرج رجل من الحى فى ذلك الوقت حتى صار إلى عمر بن سعد فى جوف الليل فخبّره بذلك ، فدعا رجلاً من أصحابه يقال له الأزرق بن حرب الصيداوى ، فضمّ إليه أربعة آلاف فارس ، ووجه به فى جوف الليل إلى حى بنى أسد مع الرجل الذى جاء بالخبر .

قال : فبينما القوم فى جوف الليل قد أقبلوا يريدون معسكر الحسين ، إذ استقبلهم جند عمر بن سعد على شاطئ الفرات ، قال : فتناوش القوم بعضهم (بعضاً) واقتتلوا قتالاً شديداً ، وصاح به حبيب بن مظاهر : ويلك يا أزرق ! ما لك ولنا ؟ دعنا قال : واقتتلوا قتالاً شديداً.

فلما رأى القوم ذلك انهزموا راجعين إلى منازلهم ، فرجع حبيب بن مظاهر إلى الحسين (عليه السلام) فأعلمه بذلك الخبر فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم «[\[٣٥\]](#)».

وفى كربلاء دعا الحسين (عليه السلام) بدواة وبيضاء ، وكتب إلى أشرف الكوفة ممّن كان يظن أنّه على رأيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من الحسين بن على إلى سليمان بن صرد الخزاعي «[\[٣٦\]](#)» .

يوم عاشوراء :

وللحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء استنصاران واستغاثة :

وفيما يلي تفصيل كل من الاستنصارين والاستغاثة الحسينية فى يوم عاشوراء :

الاستنصار الاول يوم عاشوراء:

دعا الحسين (عليه السلام) براحلته يوم عاشوراء فركبها ونادى بصوت عال يسمعه جلّهم : « أيّها الناس ، اسمعوا قولى ، ولا تعجلوا حتى أعظّمكم بما هو حق لكم علىّ ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمى عليكم ، فإن قبلتم عذرى وصدّقتم قولى وأعطيتمنى النصف من أنفسكم ، كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم علىّ سبيل ، وإن لم تقبلوا منى العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم (فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إلىّ ولا تنظرون) (إنّ وليّ الله الذى نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين) ».

فلما سمعن النساء هذا منه صحن وبكين وارتفعت أصواتهن ، فأرسل إليهنّ أخاه العباس وابنه عليّ الأكبر وقال لهما: « سكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن » .

ولمّا سكتن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وعلى الملائكة والأنبياء ، وقال فى ذلك ما لا يُحصى ذكره ، ولم يسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه فى منطقه (٣٧) ، ثم قال : « الحمد لله الذى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال ، متصرفه بأهلها حالاً بعد حال ، فالمغرور من غرته والشقى من فتنه ، فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها ، وتخيّب طمع من طمع فيها . وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطم الله فيه عليكم ، وأعرض بوجهه الكريم عنكم ، وأحلّ بكم نعمته ، وجنّبكم رحمته ، فنعلم الربّ ربنا وبئس العبيد أنتم . أقررتم بالطاعة وآمنتُم بالرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ، ثم إنكم زحفتُم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم . لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم ، فتبّاً لكم ولما تريدون ! إنا لله وإنا إليه راجعون ، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم قُبْعاً للقوم الظالمين (٣٨) .

أيّها الناس ، انسبونى من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ، وانظروا هل يحل لكم قتلى وانتهاك حرمتى ؟ ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمّه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربّه ؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبى ؟ أوليس جعفر الطيّار عمى ؟ أولم يبلغكم قول رسول الله لى ولاخى : هذان سيّدا شباب أهل الجنّة ؟ فإن صدّقتمونى بما أقول ، وهو الحق فو الله ما تعمّدت الكذب منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله ، ويضر به من اختلقه ، وإن كذبتُمونى فإن فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله الانصارى ، وأبا سعيد الخدرى ، وسهل بن سعد الساعدى ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، يخبرونكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لى ولاخى . أما فى هذا حاجز لكم عن سفك دمى ؟ .

فقال الشمر : هو يعبد الله على حرف إن كان يدرى ماتقول .

فقال له حبيب بن مظاهر : والله إنّى أراك تعبد الله على سبعين حرفاً ، وأنا أشهد أنّك صادق ، ما تدرى ما يقول ، قد طبع الله على قلبك .

ثم قال الحسين (عليه السلام) : فإن كنتم فى شك من هذا القول أفتشكّون أنّى ابن بنت نبيكم ؟ فو الله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيرى فيكم ولا فى غيركم . ويحكم ! أتطلبونى بقتيل منكم قتلته ، أو مال لكم استهلكته ، أو بقصاص جراحه ؟ فأخذوا لا يكلمونه . فنادى : يا شُبّ بن ربعى ، ويا حجار بن أبجر ، ويا قيس بن الاشعث ، ويا زيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إلّى أن اقدم قد أينع الثمار واخضرّ الجناب ، وإنّما تقدم على جندلك مجنّده ؟ .

فقالوا : لم نفعل . قال : سبحان الله ! بلى والله لقد فعلتم . ثم قال : أيّها الناس ، إذا كرهتمونى فدعونى أنصرف عنكم إلى مأمنى من الارض ، فقال له قيس ابن الاشعث : أو لا تنزل على حكم بنى عمك ؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب

ولن يصل إليك منهم مكروه . فقال الحسين (عليه السلام) : أنت أخو أخيك . أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ لا والله ، لا أعطيهم يدي إعطاء الذليل ، ولا أفرّ فرار العبيد ^[٣٩] . عباد الله (إني عدت برّبي وربكم أن ترجمون) أعوذ برّبي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ^[٤٠] .

الاستنصار الثاني في يوم عاشوراء :

ثم إنّ الحسين (عليه السلام) ركب فرسه وأخذ مصحفاً ونشره على رأسه ، ووقف بإزاء القوم وقال : « يا قوم ، إنّ بيني وبينكم كتاب الله وسنّة جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) » ^[٤١] .

ثم استشهدهم عن نفسه المقدسة وما عليه من سيف النبي (صلى الله عليه وآله) ودرعه وعمامته ، فأجابوه بالتصديق ، فسألهم عما أقدمهم على قتله ، فقالوا : « طاعة للامير عبيد الله بن زياد » فقال (عليه السلام) : « تبّاً لكم أيّها الجماعة وترحاً ! أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين ، سلّتم علينا سيفاً لنا في أيما نكس ، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم ؟ فأصبحتم ألباً لا عدائكم على أوليائكم ، بغير عدل أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم ، فهلا لكم الوليات ! تركتمونا والسيف مشيم ، والجأش طامن ، والرأى لما يستحصف ، ولكن أسرعتم إليها كطيرة ^[٤٢] الدبا ، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش ، ثم نفضتموها ، فسحقاً لكم يا عبيد الامّة ، وشذاذ الاحزاب ، ونبذة الكتاب ، ومحرفي الكلم ، وعصبه الاثم ، ونفثه الشيطان ، ومطفئي السنن ! ويحكم ! أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون ؟ أجل والله غدر فيكم قديم ، وشجت عليه أصولكم ، وتأزّرت فرووعكم ، فكنتم أخبث ثمر ، شجاً للنّاظر ، وأكلة للغاصب .

ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين : بين السلة والذلة ، وهيهات منّا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت وطهرت ، وأنوف حمية ، ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللّثام على مصارع الكرام . ألا وإنّي زاحف بهذه الاسرة على قلّة العدد وخذلان الناصر ^[٤٣] .

الاستغاثة الاخيرة للحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء :

ولمّا نظر الحسين (عليه السلام) كثرة من قتل من أصحابه ، قبض على شيبته المقدسة وقال : « اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً ، واشتد غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة ، واشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه ، واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم . أما والله لا أجيبهم إلى شيء ممّا يريدون حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي » ثم صاح « أما من مُغيث يغيثنا ؟ أما من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله ^[٤٤] ؟ » فبكت النساء وكثر صراخهن .

وسمع الانصاريان سعد بن الحارث وأخوه أبو الحثوف استنصار الحسين واستغاثته وبكاء عياله ، وكانا مع ابن سعد ، فمالا بسيفيهما على أعداء الحسين وقتلا حتى قُتلا (٤٥).

قال السيد (رضي الله عنه) : « ولما رأى الحسين (عليه السلام) مصارع فتيانه وأحبته ، عزم على لقاء القوم بمهجته ، ونادى : هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله ؟ هل من موحد يخاف الله فينا ؟ هل من مُغيث يرجو الله باغاثتنا ؟ هل من مُعين يرجو ما عند الله في اعانتنا ؟ فارتفعت أصوات النساء بالعويل ، فتقدم إلى باب الخيمة وقال لزينب : ناوليني ولدى الصغير حتى أودعه ، فأخذه وأوماً إليه ليقبله ، فرماه حرمله بن كاهل الاسدى بسهم فوقع في نحره فذبحه (٤٦) . فقال (عليه السلام) لزينب : خُذيه ، ثم تلقى الدم بكفيه فلما امتلأتا رمى بالدم نحو السماء ثم قال : هوّن علىّ ما نزل بى أنّه بعين الله » (٤٧).

وحكى السبط في التذكرة عن هشام بن محمد الكلبى قال : « لما رآهم الحسين (عليه السلام) مُصرّين على قتله ، أخذ المصحف ونشره وجعله على رأسه ونادى : بينى وبينكم كتاب الله وجدى محمد رسول الله . يا قوم ، بم تستحلّون دمي ؟ فساق الكلام إلى أن قال : فالتفت الحسين (عليه السلام) فإذا بطفل له يبكى عطشاً ، فأخذه على يده وقال : يا قوم ، إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل ، فرماه رجل منهم بسهم فذبحه ، فجعل الحسين (عليه السلام) يبكى ويقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا . فنودى من الهواء : دعه يا حسين ، فإنّ له مرضعاً في الجنة . »

ثمّ قال : « ورماه حسين بن تميم بسهم فوقع في شفتيه ، فجعل الدم يسيل من شفتيه وهو يبكى ويقول : اللهم إنّى أشكو إليك ما يفعل بى وبأخوتى وولدى وأهلى » الخ (٤٨) .

استنصار زهير (رحمه الله) يوم عاشوراء:

وخرج إليهم زهير بن القين على فرس ذنوب وهو شاك في السلاح فقال : « يا أهل الكوفة ، نذار لكم من عذاب الله نذار . إنّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن أخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة منّا أهل ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمّة وأنتم أمّة . إنّ الله ابتلانا وإياكم بذرية نبيّه محمد (صلى الله عليه وآله) لينظر ما نحن وأنتم عاملون . إنّنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد ، فإنكم لا تدركون منهما إلّا سوء عمر سلطانهما ، ليسملان أعينكم ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم ، ويمثلان بكم ، ويرفعانكم على جذوع النخل ، ويقتلان أمثالكم وقرآء كم أمثال حجر بن عدى وأصحابه وهانئ بن عروة وأشباهه » فسبّوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا : « لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه ، أو نبعث به وبأصحابه إلى عبيد الله بن زياد سلماً » فقال زهير : « عباد الله ، إنّ ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية ، فإن لم

تنصروهم فأعيزكم بالله أن تقتلوهم ، فخلّوا بين هذا الرجل وبين يزيد ، فلعمري إنه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين (عليه السلام) « فرماه الشمر بسهم وقال : « اسكت أسكت الله نأمتك . أبرمتنا بكثرة كلامك » فقال زهير : « يابن البوّال على عقبه ، ما إياك أخاطب . إنّما أنت بهيمه . والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين ، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الاليم » ، فقال الشمر : « إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعه » ، فقال زهير : « أفبالموت تخوفني ؟ فوالله لأموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم » ، ثم أقبل على القوم رافعاً صوته وقال : « عباد الله ، لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه ، فوالله لا تنال شفاعه محمد (صلى الله عليه وآله) قوماً هرقوا دماء ذريته وأهل بيته ، وقتلوا من نصرهم وذبح عن حريمهم » ، فناداه رجل من أصحابه أن أبا عبد الله يقول لك : « أقبل ، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قومه وأبلغ في الدعاء ، فلقد نصحت هؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والابلاغ » (٤٩).

الدلالات الثلاثة لخطاب الاستنصار الحسيني

١ - المضمون السياسي لخطاب الاستنصار الحسيني

الاستنصار والتعبئة ، وحشد الرأي العام ، والاعلام ضد الطاغية ، من مقومات كل مواجهة سياسية ضد نظام حاكم ، يحكم بالظلم ، فإن الصراع على الحكم بين الحاكم والمعارضة صراع غير متكافئ من الناحية الميدانية ، فإن الحاكم يملك من القوة والمال والاعلام والسلطان ما لا تملكه المعارضة ، ولا غنى للمعارضة - أية معارضة - في معركة من هذا القبيل أن تعمل كل جهدها لكسب الرأي العام الى جانبها ، والاعلام جزء من هذه المعركة .

ونحن على يقين أن الحسين (عليه السلام) لم يكن يفكر ، يوم أقدم على الخروج ، أن يهزم طاغية عصره في مواجهة عسكرية ميدانية ، ولا نحتاج إلى حسابات عسكرية وسياسية لنعرف أن الحسين (عليه السلام) لم يكن بصدد هزيمة يزيد ، وانتزاع السلطان والملك والحكم من يده ، وهو أولى به من غيره ، وإنما كان الحسين (عليه السلام) يفكر في أمرين أحدهما سياسي ، والاخر حركي .

أما الهدف السياسي من حركة الحسين (عليه السلام) ، فهو إلغاء شرعية الخلافة الاموية ، وفضح يزيد ، وكسر هيئته ، وعزله سياسياً واجتماعياً ، وأما الهدف الحركي فهو توعية الناس ، وكسر حاجز الخوف لديهم وتحريكهم لاسقاط نظام الطاغية ، واستنهاض الأمة ، واعادة ارادتها المسلوبة إليها .

والهدف الاول هدف سياسي بالتأكيد ، والحسين (عليه السلام) يدخل في مواجهة سياسية مع أعتى نظام سياسي وأشرسه ، والاستنصار جزء من هذه المعركة .

والاستنصار دعوة إلى تطويق النظام الاموى ومحاصرته وعزله ، وتحجيم دوره وإلغاء شرعيته ، وهو جزء من رسالة الامام الحسين (عليه السلام) فى هذه المعركة الشاملة .

٢ - المضمون الحركى لخطاب الاستنصار الحسينى

والدلالة الأخرى لخطاب الاستنصار الحسينى هى الدلالة الحركية ، ولتوضيح هذا الخطاب لا بد أن نرسم الاطار العام لخروج الحسين (عليه السلام). وعناصر هذا الاطار ثلاثة :

١ - رفض البيعة ليزيد : أعلن الحسن (عليه السلام) رفضه لبيعة يزيد عندما أرسل إليه الوليد والى بنى أمية فى المدينة ، يطالبه بالبيعة ليزيد بعد هلاك معاوية ، وكان ذلك بحضور مروان بن الحكم ، فامتنع الحسين (عليه السلام) من البيعة ، وقال : « فإذا دعوت الناس دعوتنا معهم » . فاقنع الوليد ، لكن مروان ابتدره قائلاً : « إن فارقك الساعة ولم يبايع ، لم تقدر منه على مثلها حتى تكثر القتلى بينكم ، ولكن احبس الرجل حتى يبايع أو تضرب عنقه » ، فقال الحسين (عليه السلام) : « يا بن الزرقاء [\[٥٠\]](#) » ، أنت تقتلنى أم هو ؟ كذبت وأثمت » . ثم أقبل على الوليد وقال : « أيها الامير ، إنا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، بنا فتح الله ، وبنا يختم ، ويزيد رجل شارب الخمر ، وقاتل النفس المحترمة ، معلن بالفسق ، ومثلى لا يبايع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون ... » [\[٥١\]](#) .

وفى كربلاء خطب الحسين (عليه السلام) وقال : « انّ الدعى ابن الدعى قد ركز بين السلة والذلة ، وهيهات منّا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله ، وحجور طابت وطهرت ... » .

٢ - اعلان الرفض : لم يتكتم الحسين (عليه السلام) برفضه للبيعة وانما اعلن للناس عن رفضه لها وعزمه على الخروج الى مكة ، وترك وصيته إلى بنى هاشم وكافة المسلمين عند أخيه محمد بن الحنفية وغادر المدينة إلى مكة ، سالكا الطريق العام الذى يسلكه ويراه الناس فيه ، فقليل له : « لو تنكبت الطريق الاعظم كما فعل ابن الزبير . قال : لا والله لا أفارقه حتى يقضى الله ما هو قاض » . ودخل مكة وهو يقرأ : (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِ سَوَاءَ السَّبِيلِ) [\[٥٢\]](#) .

ونزل دار العباس بن عبد المطلب بمكة [\[٥٣\]](#) ، واختلف إليه أهل مكة ومن بها من المعتمرين وأهل الافاق ، وكان وابن الزبير فيمن أتاه .

وقد كان بإمكان الحسين (عليه السلام) أن يأخذ بنصيحة من نصحه ، بإخفاء نفسه ، عن الانظار ، ويذهب إلى بعض الثغور ، ويتعد عن الاضواء ، وبذلك يسلم من أذى بنى أمية وكيدهم ، وكان لا يخفى هذا الوجه على الحسين (عليه

السلام) ، كما صرّح بذلك لجملة من الذين نصحوه ، ولكنّه أصرّ أن يرفض البيعة ، وأن يعلن رفضه ، ويبقى تحت الاضواء ، ويصارع الناس برأيه في يزيد وبيعته ، وبأنّه أحقّ بذلك من كل انسان آخر على وجه الارض .

٣ - الخروج والثورة : وأصرّ الحسين (عليه السلام) بعد ذلك أن يخرج من الحجاز إلى العراق ليواجه فيه بنى أميّة .

وإذا أنعمنا النظر في كلمات أولئك الذين نصحو الحسين (عليه السلام) بالامتناع عن الخروج إلى العراق ، نجد أن كلامهم يتضمن ثلاث نقاط :

١ - أن خروج الحسين (عليه السلام) إلى العراق هو بمعنى الثورة [\[٥٤\]](#) والمواجهة بعينها لنظام بنى أميّة .

٢ - أن شيعة الحسين (عليه السلام) في العراق إذا وفوا للحسين (عليه السلام) بعهودهم ومواثيقهم ، فلن يستطيعوا أن يدفعوا عن الحسين (عليه السلام) كيد بنى أميّة ومكرهم وشرهم ، ولن يغلبوا سلطانهم على العراق .

٣ - أن الحسين (عليه السلام) إذا خرج إلى العراق - بناء على ذلك - فهو مقتول لا محالة ، ولم تكن هذه الحقائق تخفى على الامام (عليه السلام) ، ولم يكن يجهل الامام (عليه السلام) أن خروجه إلى العراق بمعنى الخروج على سلطان بنى أميّة علانية ، ولم تكن تخفى على الحسين (عليه السلام) عاقبة هذا الخروج .

ولا يصح ما يرويه بعض الناس أن الحسين (عليه السلام) طلب منهم أن يفسحوا له الطريق إلى بعض الثغور ، بعيداً عن الاضواء ، وبعيداً عن التصدي والمواجهة .

روى الطبرى وابن الاثير عن عقبه بن سمعان أنّه قال : « صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة ، ومن مكة إلى العراق ، ولم أفارقه حتى قُتل (عليه السلام) ، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ، ولا بمكة ، ولا في الطريق ، ولا بالعراق ، ولا في عسكر إلى يوم قتله إلا وقد سمعتها . لا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية ، ولا أن يسيره إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنّه قال : دعوني فلاذهب في هذه الارض العريضة ، حتى ننظر ما يصير أمر الناس » [\[٥٥\]](#).

وكان من رأى محمد بن الحنفية أن يخفى الحسين (عليه السلام) نفسه عن الانظار ، ويتعد عن أجواء المواجهة والتصدي ، ويلتحق بشعب الجبال ، ويخرج من بلد إلى آخر حتى ينظر ما يصير إليه أمر الناس [\[٥٦\]](#) ، فأبى الحسين (عليه السلام) وأصرّ على الخروج ، ونصحه ابن عباس أن يسير إلى اليمن ، فإنّ بها حصوناً وشعاباً ، وهى أرض

عريضة طويلة ، ولايه (عليه السلام) بها شيعه ، وهو عن الناس فى عزله ، فقال له الحسين (عليه السلام) : « يا ابن العم ، إني والله أعلم أنك ناصح مشفق ، وقد أزمعت على المسير » [٥٧] .

إذن فإن الحسين (عليه السلام) كان يقصد الخروج ويريده ، وهو على علم بكل لوازمه وتبعاته وعواقبه .

هذا هو الاطار العام لموقف الامام الحسين (عليه السلام) وحركته من المدينة إلى كربلاء ، وفى هذا الاطار نستطيع أن نفهم خطاب الاستنصار الحسينى .

إنّ الحسين يعلم أنّه إن خرج إلى العراق يُقتل لا محالة ، وكل القرائن والدلائل تشير إلى هذه الحقيقة .

إذن فإنّ الحسين (عليه السلام) يطلب النصر بالقتل والدم . ولم يكن يفطن يومئذ ابن عباس وعبدالله بن جعفر الطيّار ومحمد بن الحنفية لهذه الوسيلة التى اتخذها الحسين (عليه السلام) يومئذ طريقاً إلى النصر . فقد شهد الحسين (عليه السلام) المؤامرة الاموية التى قادها آل أبى سفيان للنيل من الاسلام والرجوع إلى الجاهلية الاولى ، وقد فقدت الامّة فى عرضها العريض حصانتها تجاه هذه المؤامرة ، وعاد الضمير الاسلامى لا يملك الدرجة الكافية من المناعة والمقاومة . ولا يختلف فى ذلك أهل العراق عن أهل الشام ، وأهل مصر عن أهل الحجاز ، فأراد الحسين (عليه السلام) أن يحدث بشهادته وشهادة الثلة الطيبة من أهل بيته وأصحابه هزة عنيفة فى الضمير الاسلامى ، ويعيد إلى المسلمين ما سلبه منهم آل أبى سفيان من ضمائرهم وعزائمهم ورشدهم ، ويثير صحوة ضمير كانت مبدأ كثير من البركات والثورات والوعى واليقظة السياسية فى تاريخ الاسلام .

المؤامرة الاموية على دم الحسين (عليه السلام) :

لقد خطط آل أبى سفيان لاهدار دم الحسين (عليه السلام) فى مكة فى موسم الحج ، وبلغ الحسين (عليه السلام) أن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص فى عسكر ، وأمره على الحج ، وولاه أمر الموسم ، وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجد [٥٨] ، فعجلّ الحسين بالخروج من مكة قبل الوقوف بعرفات يوم التروية ، ولم يمكّن بنى أمية من اغتياله فيذهب دمه هدراً ، وبذلك أحبط المؤامرة التى خطط لها بنو أمية .

يروى أبو مخنف عن أسديين قالا : « خرجنا من الكوفة حتى قدمنا مكة ، فدخلنا يوم التروية فإذا نحن بالحسين (عليه السلام) وعبدالله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب . . . فسمعنا ابن الزبير يقول للحسين (عليه السلام) : إن شئت أن تقيم أقمت فوليت هذا الامر ، فأزرنّاك وساعدناك ونصحنّاك وباعناك . فقال الحسين (عليه السلام) : إن أبى حدّثنى أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها ، فما أحبّ أن أكون ذلك الكبش » [٥٩] .

اذن كان بنو امية يخططون لاغتيال الامام (عليه السلام) في موسم الحج لئلا تتاح له فرصة الخروج والثورة على يزيد وقد جاء عمرو بن سعيد بن العاص من عند يزيد بخطة كاملة لاغتيال الحسين (عليه السلام) في الموسم ، فلما علم الامام بذلك غادر مكة إلى العراق يوم التروية ، ليفوت على آل أبي سفيان فرصة هذه المؤامرة ، ويحبط عليهم خطتهم .

وقد أزعج عمرو بن سعيد نبأ مغادرة الحسين (عليه السلام) للموسم يوم التروية بهذه الصورة ، وأرسل إليه يحيى بن سعيد بن العاص ليطلب من الحسين أن يعود إلى الموسم وقال : « اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه » فعجب الناس من قوله هذا [٦٠] .

فاعترضه (عليه السلام) يحيى بن سعيد بن العاص ومعه جماعة أرسلهم عمرو بن سعيد إليه فقالوا له (عليه السلام) : « انصرف . أين تذهب ؟ » فأبى عليهم ومضى ، وتدافع الفريقان وتضاربوا بالسياف ، وامتنع الحسين (عليه السلام) وأصحابه امتناعاً قوياً [٦١] . فرجع من دون أن يحقق شيئاً مما كان يريده عمرو بن سعيد ، كما لم يصنع مروان بن الحكم قبله شيئاً عندما أنكر على الوليد أن يترك الحسين (عليه السلام) ليخرج من عنده من غير بيعه في تلك الليلة ، وقال له بصراحة : « إن فارقك الساعة ولم يبايع لم تقدر منه على مثلها حتى تكثر القتل بينكم ، ولكن احبس الرجل حتى يبايع أو تضرب عنقه ».

عود إلى الدلالة الحركية للخطاب الحسيني :

إذن ، كان الحسين (عليه السلام) يعدّ نفسه للخروج والثورة على يزيد ، وهو لا يريد بهذه الثورة إلحاق هزيمة عسكرية بيزيد ، وإنما يريد أن يستنهض المسلمين ويحفّزهم ويحرّكهم لمقاومة الظالم ، ويعيد إليهم وعيهم وضمائرهم وعزائمهم كما قلنا .

وخطاب الاستنصار الحسيني يحمل الدعوة إلى الثورة والمقاومة في وجه الظالم ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

يقول (عليه السلام) في منزل البيضة في أصحاب الحر : « أيها الناس ، إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ، ناكثاً عهده ، مخالفاً لسنة رسول الله ، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان ، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله » . وهذه هي الصفة البارزة الاولى في خطاب الاستنصار الحسيني .

[١] الخصائص الحسينية: ١٧٧ - ١٧٨.

[٢] مقتل العوالم: ٥٤.

[٣] مقتل الحسين للسيد عبدالرزاق المقرم: ١٣٩.

[٤] أمالي الصدوق: ٩٣ (المجلس ٣٠).

[٥] اللهوف: ١٧.

[٦] هذا في تاريخ الطبري ٦: ٢٠٠، وفي اللهوف: ٢١ «يُكنى أبا رزين»، وفي مثير الاحزان: ١٢ «أرسله مع ذراع السدوسي».

[٧] تاريخ الطبري ٦: ٢٠٠.

[٨] مقتل الحسين للمقرم: ١٤٣.

[٩] هذا في مثير الاحزان ، وعند الطبري وابن الاثير «مسعود بن عمرو» وقال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٢١٨: «كان عباد بن مسعود بن خالد بن مالك النهشلي سيّداً ، واخته ليلي بنت مسعود تحت علي بن أبي طالب ، ولدت له أبا بكر قتل مع الحسين ، وعبدالله كان مع مصعب بن الزبير على المختار ، وقُتل يوم هزيمة أصحاب المختار» . وذكر السيد عبدالرزاق المقرم في «زيد الشهيد» ص ١٠١ (ط. الثانية) نصوص المؤرخين في قتله بالمدار من سواد البصرة ، ولم يعلم قاتله . وفي الخرايج للراوندي في معجزات علي (عليه السلام) وجد مذبحاً في فسطاطه ولم يُعلم ذابحه، مقتل الحسين للمقرم: ١٤٣ و ١٤٤.

[١٠] مثير الاحزان: ٣٥، واللهوف: ٢١.

[١١] تاريخ الطبري ٦: ١٩٨.

[١٢] ذخيرة الدارين: ٢٢٤.

[١٣] (اللهوف: ٣٣ ومثير الاحزان: ٢٠ ومقتل الحسين للمقرم: ١٧٣).

[١٤] (في معجم البلدان: «الحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادي» وفيه ٢٩٠: ٤: «بطن الرمة منزل لاهل البصرة إذا أرادوا المدينة ، وفيه تجتمع أهل الكوفة والبصرة.» وفي تاج العروس ١٣٦: ٣ «الحاجر مكان بطريق مكة».

[١٥] (في روضة الواعظين لعلی بن محمد القتال النيسابوري: ١٥٢ : «يُقال بعثه مع عبدالله بن يقطر ، ويجوز أنه أرسل إليهم كتابين ، أحدهما مع عبدالله بن يقطر ، والاخر مع قيس بن مسهر » ، وفي الاصابة ٣ : ٤٩٢ بعد أن ذكر نسب قيس قال : «وكان مع الحسين لما قتل بالطف»، وهو اشتباه ، فإن ابن زياد قتله بالكوفة .

[١٦] (في معجم البلدان ٣: ٤٥١ : «خفان موضع قرب الكوفة ، وهو عين عليها قرية لولد عيسى بن موسى الهاشمي» وفيه ٧ : ١٣٥ : «القططانة (بالضم ثم السكون) قرب الكوفة ، تبعد عن الرهيمه نيفاً وعشرين ميلاً».

[١٧] (تاريخ الطبري ٦: ٣٢٤ والبداية ٨ : ١٦٨ . والارشاد للمفيد . وروضة الواعظين : ١٥٢ . وإعلام الوري: ١٣٦).

[١٨] (الارشاد للمفيد .

[١٩] (روضة الواعظين والارشاد، وفي ميزان الاعتدال ٢: ١٥١).

[٢٠] (تاريخ الطبري ٧: ٢٩٠).

[٢١] (اللهوف : ٦٤ .

[٢٢] (بَلَنْجَر: من بلاد الترك.

[٢٣] (نفس المهموم للشيخ عباس القمّي: ١٨٠ - ١٨٢).

[٢٤] (الاخبار الطوال: ٢٤٩).

[٢٥] (خزانة الادب للبغدادي ١: ٢٩٨ ط بولاق. وأنساب الاشراف ٥ : ٢٩١).

[٢٦] (نفس المهموم ١٠٤ .

[٢٧] (أسرار الشهادة: ٢٣٣).

[٢٨] (الاخبار الطوال: ٢٤٩).

[٢٩] (أمالی الصدوق: ٩٤ (المجلس ٣٠).

[٣٠] خزائن الادب ٢٩٨:١.

[٣١] مقتل الخوارزمي ١:٢٢٨. وذكر الدينوري في الاخبار الطوال : ٢٥٨ أربعة منها ، وفي روايته للثالث :

فما أنسى غداة يقول حزناً أتركنا وتزعم لانطلاق

[٣٢] مقتل الحسين للسيد عبدالرزاق المقرم : ٢٠٢ - ٢٠٥ .

[٣٣] مقتل الحسين للسيد عبدالرزاق المقرم : ١٩٥ .

[٣٤] الطبري ٦ : ٢٢٩ . ومقتل الحسين للمقرم : ١٩٨ .

[٣٥] كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ٥:١٥٩ - ١٦٢ ، ط ١ .

[٣٦] نفس المهموم : ٢٠٧ . البحار ٤٤ : ٣٨٢ .

[٣٧] تاريخ الطبري ٢٤٢:٦.

[٣٨] مقتل محمد بن أبي طالب.

[٣٩] بالفاء الموحدة فيهما. رواه ابن نما في مثير الاحزان ص ٢٦ ، وهو أصح مما يدور على اللسن ، ويوجد في بعض المقاتل بالقاف من الاقرار ، لانه على هذا تكون الجملة الثانية غير مفيدة إلا ما أفادته التي قبلها ، بخلافه على قراءة «الفرار» ، فإن الجملة الثانية تفيد أنه لا يفر من الشدة والقتل كما يصنعه العبيد ، وهو معنى غير ما تؤدي إليه الجملة التي قبلها ، على أنه يوجد في كلام أمير المؤمنين ما يشهد له ، ففي تاريخ ابن الاثير ٣: ١٤٨ ، ونهج البلاغة ١ : ١٠٤ المطبعة الاميرية أن أمير المؤمنين قال في مصقله بن هبيرة لما فر إلى معاوية : «ما له فعل فعل السيد ، وفر فرار العبد ، وخان خيانة الفاجر؟».

[٤٠] مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم : ٢٥٤ - ٢٥٧ .

[٤١] تذكرة الخواص : ١٤٣ .

[٤٢] بالكسر فالفتح «تاج العروس».

[٤٣] نقلها السيد عبد الرزاق المقرم في المقتل ص ٢٦٣ عن اللهوف : ٥٤ ، وابن عساكر في تاريخ الشام ٤ : ٣٣٣ ، والخوارزمي في المقتل ٢ : ٦ ، وفي نقلهما خلاف لما هنا .

[٤٤] اللهوف : ٥٧ .

[٤٥] الحقائق الوردية (مخطوط) .

[٤٦] اللهوف : ١٠٢ .

[٤٧] اللهوف : ١٠٣ .

[٤٨] تذكرة الخواص : ١٤٣ .

[٤٩] تاريخ الطبري ٢٤٣:٤ .

[٥٠] الزرقاء جدّة مروان ، وكانت من البغايا المعروفات ، الفخرى : ٨٨ .

[٥١] مقتل الحسين للسيد عبدالرزاق المقرّم ، عن الطبري وابن الاثير والارشاد وإعلام الوري ومثير الاحزان .

[٥٢] ارشاد المفيد. القصص : ٢٢ .

[٥٣] تاريخ ابن عساكر ٣٢٨ : ٤ .

[٥٤] انظر نصيحة محمد بن الحنفية للحسين (عليه السلام) في المدينة في الكامل لابن الاثير ٧ : ٤ ، ونصيحته له في مكة في البحار ج ٤٤ ، ونصيحة عبدالله بن جعفر الطيار له بالامتناع عن الخروج إلى العراق في تاريخ الطبري ٦ : ٢١٩ ، ونصيحة عبدالله بن العباس له في تاريخ ابن الاثير ٤ : ١٦ ، ونحن لا نشك في صدق كل هؤلاء في نصيحتهم للحسين (عليه السلام)، ولا نشك أن الحسين (عليه السلام) لم يكن يخفى عليه هذا الوجه من الرأي.

[٥٥] تاريخ الطبري ٧:٣١٤ . والكامل لابن الاثير ٤:٥٤ .

[٥٦] تاريخ الطبري ١٩١:٤ . وأنساب الاشراف ٤:١٥ .

[٥٧] الكامل لابن الاثير ١٦:٤ .

[٥٨] مقتل الحسين للسيد عبدالرزاق المقرّم : ١٧٢ ، والمنتخب : ١٧٢ .

[٥٩] تاريخ الطبري ٧ : ٢٧٥ - ٢٧٦ .

[٦٠] العقد الفريد ٣٧٧:٤ .

[٦١] الارشاد : ٢٠١ .

شبهة ورد

* السيد كاظم الحائري

تثار بعض الشبهات حول حقوق المرأة في الاسلام، يراد منها الانتقاص من قيمة الاسلام بوصفه ديناً سماوياً حقاً، واتهامه بالتخلف عن الحضارة العصرية لكونه قد ظلم المرأة في القضايا الاجتماعية ولم يعطها حقها، وحرمها من كثير من الامور واختص بها الرجل دونها، وهو بذلك لم يعد في مفاهيمه عن المرأة مستوى فهم العصور المتخلفة التي طواها ركب التقدم المعاصر.

وقد اجاب سماحة آية الله السيد كاظم الحائري على هذه الشبهات، بعد أن حصرها في خمس رئيسية كالآتي: (التحرير)

حول حقوق المرأة في الاسلام

حول حقوق المرأة في الاسلام :

قد يقال من قبل أعداء الاسلام ، إنّ الاسلام قد ظلم المرأة في حقوقها الاجتماعية في عدة حقول:

١ - أنه حرّمها من بعض المناصب ، وجعل تلك المناصب من امتيازات الرجال من قبيل منصب القضاء ، والامرة ، ومدى قيمة شهادتها.

٢ - أنه ظلمها في الحقل الاقتصادي ؛ كما يظهر في باب الارث.

٣ - أنه لم ينصفها في حقل الوداد والوفاء حيث سمح للزوج بتعدد الزوجات ، ولم يسمح لها بتعدد الزوج ، فلو فرض كون ذلك خلاف مراسيم الوداد والحبّ والوفاء فلماذا تحرم المرأة من هذه المراسيم ، ويسمح للزوج بتعدد الزوجات ، وإلا فلماذا تمنع المرأة من تعدد الزوج؟!

٤ - وظلمها أيضاً في مجال الحرية الشخصية حيث قيدها بالحجاب من ناحية ، وجعل الرجال قوامين على النساء من ناحية أخرى.

٥ - وقد يكون أشد من كل هذا أن الاسلام لم يعتبرها في حق الحياة والسلامة بمستوى الرجل ؛ بدليل أنه جعل ديتهما حينما تصل إلى مستوى معين نصف دية الرجل.

وقبل أن ندخل في تفصيل الجواب عن كل واحد من هذه الاشكالات تباعاً نذكر مقدمة تجعل موقفنا نحن المسلمين موقف هجوم أيضاً على مدرسه الغرب ، وليس موقف دفاع محضاً.

فنقول : إن النظرة الاساسية إلى المرأة التي يجب أن تتفرع عليها كل هذه الفروع وأمثالها هي إحدى نظرات ثلاث:

الاولى: نظرة الجاهلية الاولى إليها التي كانت متعارفة في البيئة التي كان منها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهي أن تعد بمستوى الحيوانات أو أتعس ، ولا تعد في صفوف الانسان ، وقد نطق بحكاية ذلك القرآن الكريم كما في قوله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) [١] ، وقوله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) [٢].

الثانية: نظرة الجاهلية اليوم التي تدعى أنها ترى المرأة إنساناً كالرجل ، فهي من ناحية تفترض أنها ترى المرأة في عرض الرجل ومثله في الانسانية ، ومن ناحية أخرى تغفل أو تتغافل عن الفوارق الفلسجية والسيكولوجية الثابتة فيما بينهما.

الثالثة: نظرة الاسلام ، فالاسلام يرى من ناحية أن المرأة في عرض الرجل ومثله في الانسانية ، ومن ناحية أخرى لا يُغفل الفوارق الفلسجية والسيكولوجية الثابتة - بحسب طبيعة الخلقة - فيما بينهما ، كغلبة الجانب العقلي على الجانب العاطفي في الرجل ، وغلبة الجانب العاطفي على الجانب العقلي في المرأة ، وقوة الرجل بنيةً وقدره على الصمود في خضم مشاكل الحياة ، وضعف المرأة في ذلك ، وكون المرأة مثاراً للشهوة أكثر من الرجل وغير ذلك.

ولئن فرضنا صدق صاحب النظرة الثانية في دعواه للايمان بالمساواة بينهما في الانسانية وحقوقها - وهذا تماماً هو ما يؤمن به الاسلام - فغفلته عن أمر واقع ، وهو الفوارق الفلسفية والسيكولوجية الثابتة بينهما بحسب الخلقة ، أو تغافله عن ذلك أوجبا أن يصل في النتائج الخارجية إلى عكس ما كان يفترض تقصده من إسعاد المرأة ، وإعطائها الحقوق الطبيعية لها في عرض الرجل ، فقد أدت هذه النظرة إلى دمار وضع المرأة ، وتردى الحالة النفسية والاخلاقية بصفة عامة.

وتوضيح ذلك أن الاسلام يرى أن المجتمع السعيد - بلحاظ الحياة الدنيا، وبغض النظر عن مسألة الآخرة - هو المجتمع المبني من وحدات صغيرة عائلية متماسكة ، وذلك بنكتتين:

الاولى: أن النظام العائلي هو النظام الانجح في تأمين ما يحتاج إليه الانسان من استقرار الحياة ونظمها بأحسن وجه.

والثانية: أن النفس البشرية بحاجة إلى مسألة الحب والوداد والعطف والرحمة ، كما هي بحاجة إلى الخبز والماء ، فإن من أهم حاجات الانسان الروحية الفطرية أن يتبادل الحب ، وأن يقيم علاقة الود والتعاطف مع آخرين ، والطفل بطبيعته الروحية يحتاج إلى من ينظر إليه بعين الرأفة ، ويلطفه بعين المحبة ، ويداعبه بيد العطف والرحمة ، والمرأة تحسّ بالحاجة الروحية الماسة إلى جذب عواطف الرجل ، وامتلاك قلبه ، والرجل بحاجة روحياً إلى ريحانه يحبها وينشئ معها علاقة الود والرعاية إلى جنب العلاقة الجنسية ، ومجرد العلاقة الجنسية لا تشبع إلا حاجته الجسمية ، ويبقى جانبه الروحي غير مرتو ، ولذا تراهم يريدون أن يشبعوا هذه الحاجة - بعد فقدهم للنظام العائلي بشكله الصحيح الاسلامي - عن طريق تبادل العشق ، قال الله تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)([٣]).

وبما أن نظام الغرب أغفل الفوارق الطبيعية الموجودة في خلقه الجنسي أدّى ذلك إلى تذيب النظام العائلي ، وتفسخ أواصر المحبة في أفراد العائلة ، كما هو مشاهد في المجتمع الغربي ، وذلك بنكتتين:

١ - حاجة الوحدة العائلية إلى قيم يشرف عليها ، وينظم أمرها بنوع من الولاية ، وقد فرض لذلك الرجل والمرأة على حد سواء ، وهذا يفقد الوضع العائلي حالة التماسك التي تحدث ضمن تنظيم الامر عن طريق الولي المشرف.

٢ - رفع الحجاب عن المرأة التي هي مثار للشهوة بحجة الحرية الشخصية ، مما أوجب تفسخ الوضع العائلي تفسخاً كاملاً.

وبكل هذا قد فقد المجتمع الغربي نعمة الحب والوداد الحقيقي فيما بين الافراد ، وحل محل ذلك التفسخ الاخلاقي والنظرة الحيوانية البحتة في الحياة.

في حين أن الاسلام لاحظ من ناحية أن المرأة كالرجل سواء بسواء في الانسانية ، فجعل يخاطبهما بنسق واحد ، قال الله تعالى: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) [٤] ، وقال تعالى: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا) [٥]. وقال تعالى: (وإذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت) [٦].

ولاحظ من ناحية أخرى أنها تختلف عن الرجل في الخلقة في مدى القوة والضعف ، ومدى غلبة الجانب العقلي أو العاطفي على الجانب الآخر ، وغير ذلك. قال الله تعالى: (أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) [٧] ، وقال تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا) [٨]. وفي وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده محمد بن الحنفية بسند غير تام: «لا تملك المرأة من الامر ما يجاوز نفسها، فإن ذلك أنعم لحالها وأرخص لبالها وأدوم لجمالها، فإن المرأة ربحانة وليست بقهرمانه، فدارها على كل حال، وأحسن الصحبة لها ليصفو عيشك» [٩].

وقد أسّس الاسلام كلّ تشريعاته بالنسبة للمرأة على أساس التفاته إلى هاتين النكتتين ، أعنى كون المرأة مساوية للرجل فى الانسانية ، وحقوق الانسانية من ناحية ، وكونها مختلفه عنه فى الخلقة سيكولوجياً وفلسجياً من ناحية أخرى.

والان نبدأ بالجواب على الاعتراضات الماضيه تبعاً:

أما الاعتراض الاول :

وهو حرمانها من بعض المناصب كالقضاء ، فإن الاسلام ينطلق من منطلق الايمان بالفرق الموجود بين الجنسين فى الخلقة وضعفها عن مقاومه الضغوط والمشاكل من ناحية ، وغلبه الجانب العاطفى على الجانب العقلى فيها من ناحية أخرى. ومن هذا المنطلق حرّمها من بعض المناصب كالقضاء ، وأعفاها أيضاً بالمقابل - منطلقاً من نفس النكتة - عن بعض المسؤوليات والاعباء ، كالجهاد . بل فى رؤيه الاسلام يرجع كل هذا إلى الاعفاء عن المسؤوليات والاعباء لأنّ من يتربى بتربية الاسلام لا ينظر إلى منصب القضاء ونحوه مغنماً ، وليست أمثال هذه الأمور فى منطق الاسلام مغنم ، بل ينظر إليها مسؤوليه وأمانه.

وأما الاعتراض الثانى:

وهو ظلمها من الناحية الاقتصادية فى مسألة الارث ، فإن ازدياد حصّة الذكر فى الغالب على الأنثى فى منطق الاسلام يوازى كون الرجل هو الذى يتحمّل عبء العائلة الاقتصادية دون المرأة.

وأما الاعتراض الثالث:

وهو السماح بتعدّد الزوجات للرجل وعدم السماح بتعدّد الأزواج للمرأة ، فالواقع أنّ ملاك رفض التعدّد المشترك بين الجانبين يمكن أن يكون أحد أمور ثلاثة:

١ - الغيرة.

٢ - الحسد.

٣ - أن الله لم يجعل لرجل فى جوفه من قلبين ، فاتخاذ زوجته أخرى يوزع قلب الرجل ومودته بين الزوجتين ، وهذا خلاف الوفاء بشأن الزوجة الاولى.

أما الغيرة فالواقع أنها ليست شيئاً أصيلاً فى طبيعة الانسان وثابتاً قبل القوانين والعادات ؛ كى يترقب تأثيرها على كيفية تشريع القوانين ، بل هى وليدة للنظم والقوانين والعادات ، وقد شاء نظام الاسلام أن يحرم الغيرة على النساء ، ويوجبها على الرجال للنكتة الآتية.

وأما الحسد فهو محارب من أساسه من قبل الاسلام باعتبار قبحه العقلى من ناحية ، ومفاسده الاجتماعية من ناحية أخرى ، فلا معنى لترتيب أثر على ذلك فى المقام.

وأما الامر الثالث ، وهو أن القلب لا يمتلكه اثنان ، وأنه إذا وزع الود على شخصين قلت حصته كل منهما عما لو اختص القلب بأحدهما ، فما أروع النقض الذى أورده المرحوم الشهيد الشيخ المطهرى (رحمه الله) ، وهو النقض بما هو محسوس ومجرب من أن الانسان المحب لولده والغارق فى حبه حينما يحصل على ولد آخر يشعر بحبه كالاول من دون أن ينقص من الاول شىء.

والواقع أن النكتة التى أوجبت حرمة تعدد الأزواج للمرأة ، وجواز تعدد الزوجات للرجل ، وأوجبت الغيرة على الرجل وحرمتها على النساء هى أنه بعد أن رأى الاسلام أن حياة المجتمع ترتبط بمدى استحكام وتماسك بنية الوحدة العائلية ، ورأى أن هذا التماسك فى بنيتها يتوقف على قوامية الرجل كما سيأتى إن شاء الله ، رأى أن تعدد القيم بتعدد الزوج يفسد وحدة وتماسك البنية العائلية ، بينما لو اتحد القيم فتعدد العائلة لا يوجب مفسدة من هذا القبيل ، بل هذا القيم الواحد يبنى وحدتين عائليتين من هذا القبيل ، وكل منهما بحد ذاته وحدة متماسكة ، على أن اختلاط النسل فى موارد ثبوت النسل أيضاً يضر بتماسك بنية الوحدة العائلية ضرراً كبيراً كما هو واضح.

وأما الاعتراض الرابع:

وهو سلب حرية المرأة فى مسألة الحجاب ، وفى قوامية الرجال على النساء ، فالجواب عن مسألة الحجاب واضح مما تقدم ، فإن الحجاب مبني على الفرق الفلسفى الموجود بين الجنسين من كون المرأة مثاراً للشهوة ؛

إذ على أساس ذلك يكون رفع الحجاب موجباً لارتباط الزوج برفيقات ، وارتباط الزوجه برفاق مما يُنهى تماسك الحياة العائليه الذى قلنا إنه هو أساس سعادة المجتمع فى نظر الاسلام.

كما أن الجواب عن القواميه أيضاً واضح مما تقدم ، وبيانه هو أن القواميه ليست ثابتة فى الاسلام لجنس الذكر على جنس الأنثى ولذا لا قواميه للاخ على الأخت مثلاً ، وإنما هى ثابتة فى خصوص الحياة العائليه للزوج على الزوجه ، ومنشأ ذلك مجموع أمرين:

الاول: أن تماسك الوحدة العائليه الذى هو أساس سعادة المجتمع فى نظر الاسلام يتوقف على وجود قيم واحد عليها.

والثانى: أن الرجل هو الأولى بالقيمومه لما له من امتياز فسلجى وسيكولوجى فى القوة والصمود فى خضم المشاكل ، وفى غلبه جانب العقل والحنكه فيه على جانب العاطفه بخلاف المرأة.

وأما الاعتراض الخامس:

وهو أن الاسلام افترضها أقل شأناً من الرجل فى حقّ الحياه والسلامه بدليل نقصان ديته عن ديه الرجل ، فالجواب على ذلك هو أن الحكم بنقصان ديته عن ديه الرجل لا ينشأ من كون حقّ الحياه والسلامه لها أخفّ من حقّ الرجل ودون حقّ الرجل ، بل ينشأ من نظره اقتصاديه للاسلام إلى الرجل والمرأه ؛ حيث إن الرجل باعتباره منتجاً اقتصادياً أقوى من المرأة بلحاظ الفوارق الفسلجيه والسيكولوجيه بينهما . والذى يدلنا على ذلك أن الاسلام أعطى للمرأة حقّ القصاص كاملاً من الرجل مع دفعها لنصف الديه ، ولم يحرمها من القصاص بأن يفرض عليها التنزل منه إلى نصف الديه ، وهذا يعنى أن النكته فى باب الديه لم تكن تكمن فى حقّ الحياه والسلامه ، بل كانت تكمن فى الجانب الاقتصادى ، فالرجل اقتصادياً يقوم بأكثر مما تقوم المرأة به للفوارق المذكوره بينهما ، أما بما هما إنسانان يستحقان الحياه والسلامه فهما سيان ؛ ولذا ترى أن الذمى الذى ديه أقل من ديه المسلم بنكته اعتباره أقل مستوى فى حقّ الحياه والسلامه من المسلم حينما يقتله المسلم أو يجنى عليه لا يسمح له بالقصاص ودفع الفارق من الديه ، بل يتنقل رأساً إلى تغريم المسلم بديه الذمى التى هى أقل من ديه المسلم.

هذا ، ولا يخفى أنّ كلّ ما ذكرناه وأمثاله مما هو مصالح وحكم للتشريعات الاسلامية إنّما هو مبلغ فهمنا وحدسنا ، وإقناع لبعض قطاعات الناس ، والواقع هو أنّ الشريعة الاسلامية وأحكامها تقبل تعبدًا من قبل المشرّع بعد إثبات الله ، والنبوة ، والكتاب ، والسنة ببراہين عقلية ؛ علماً بأنّ البشر لا يعرف ما يصلحه مما يفسده كما يعرف ذلك خالقه وبارئه وخالق العالم والكون أجمع .

النحل: ٥٨ - ٥٩ ([١])

التكوير: ٨ - ٩ ([٢])

الروم: ٢١ ([٣])

آل عمران: ١٩٥ ([٤])

الاحزاب: ٣٥ ([٥])

التكوير: ٨ - ٩ ([٦])

الزخرف: ١٨ ([٧])

النساء: ٣٤ ([٨])

وسائل الشيعة ١٢٠: ١٤، ب ٨٧ من أبواب مقدمات النكاح، ح ٣ ([٩])

جُزْ بالطفوف

من قصيدة للسيد الشريف المرتضى (قدس سره) .

يا يوم عاشور كم طأطأت من بصر بعد السموّ وكم أذلت من جيد
يا يوم عاشور كم أطردت لى أملاً قد كان قبلك عندى غير مطرود
أنت المرتقى عيشى بعد صفوته ومولج البيض من شيبى على السود
جُزْ بالطفوف فكم فيهنّ من جبل خرّ القضاء به بين الجلاميد
وكم جريح بلا أس تمزّقه إمّا النسور وإمّا أضيع البيد
وكم سليب رماح غير مستتر وكم صريع حمام غير ملحد
كأنّ أوجههم بيضاً ملالاً كواكب فى عراض القفرة السود
لم يطعموا الموت إلا بعد أن حطموا بالضرب والطعن أعناق الصناديد
ولم يدع فيهم خوف الجزاء غداً دماً لترب ولا لحماً إلى سيد
من كلّ أبلج كالدينار تشهده وسط الندى بفضل غير مجحد
يغشى الهياج بكف غير منقبض عن الضراب وقلب غير مزوّد
لم يعرفوا غير بثّ العرف بينهم عفواً ولا طبعوا إلا على الجود
يا آل أحمد كم تلوى حقوقكم لى الغرائب عن نبت القرايد
وكم أراكم بأجواز الفلا جُزراً مبدّدين ولكن أىّ تبديد
لو كان ينصفكم من ليس ينصفكم ألقى إليكم مطيعاً بالمقاليد
حُسدتم الفضل لم يحرزه غيركم والناس ما بين محروم ومحسود
جاءوا إليكم وقد أعطوا عهودهم فى فيلق كزهاء الليل ممدود
مُستمرحين بأيديهم وأرجلهم كما يشاؤون ركض الضمّر القود
تهوى بهم كلّ جرداء مطهّمة هوى سجّل من الاودام مجدود

مستشعرين لاطراف الرّماح ومن	حدّ الظُّلّا أدراعاً من نسج داودِ
كأنّ أصوات ضرب الهام بينهم	أصوات دوح بأيدي الريح مبدودِ
حمائم الايك تكيهم على فنن	مرنّح بنسيم الريح أملودِ
نوحى فداك هدير منك محتسبُ	على حسين فتعديذ كتغريدِ
أحبكم والذى طاف الحجيج به	بمبتنى بإزاء العرش مقصودِ
وزمزم كلما قسنا مواردها	أوفى وأربى على كلّ المواريدِ
والموقفين وما ضحّوا على عجل	عند الجمار من الكوم المقاحيدِ
وكلّ نسك تلقاه القبول فما	أمسى وأصبح إلّا غير مردودِ
وأرتضى أثنى قد متّ قبلكم	فى موقف بالردّينيات مشهودِ
جمّ القليل فهامات الرجال به	فى القاع ما بين متروك ومحصودِ
فقل لال زياد أى معضلة	ركبتموها بتخييب وتخويدِ
كيف استلبتم من الشجعان أمرهم	والحرب تغلى بأوغاد عرايدِ
فرّقتم الشمل ممّن لفّ شملكم	وأنتم بين تطريد وتشريدِ
ومّن اعزّكم بعد الخمول ومّن	أدناكم من أمان بعد تبعيدِ
لولاهم كنتم لحمًا لمزدرد	أو خلّسه لقصير الباع معصودِ
أو كالسقاء يبيساً غير ذى بلل	أو كالخباء سقيطاً غير معمودِ
أعطاكم الدهر ما لا بدّ يرفعه	فسالب العود فيها مورق العودِ
فلا شربتم بصفو لا ولا علقت	لكم بنان بأزمان أراغيدِ
ولا ظفرتم وقد جنّت بكم نوبُ	مقلّقات بتمهيد وتوطيدِ
وحول الدهر رياناً إلى ظمأ	منكم وبذل محدوداً بمجدودِ
قد قلت للقوم حظوا من عمانهم	تحققاً بمصاب السادة الصيدِ
نوحوا عليه فهذا يوم مصرعه	وعدّوا إنّها أيام تعديدِ
فلى دموع تبارى القطر واكفه	جادت وإن لم أقل يا أدمعى جودى

دراسات

ثورة أم... و ثورة شعاع (٣)

الشيخ عيسى احمد قاسم (البحرين)

المحور الرابع : الظرف و الاداء

خاطرة

« إِذْنِ لَا نَبَالِي أَنْ نَمُوتَ مُحَقِّقِينَ »

* مصطفى حسن (العراق)

الانفاس نشوى بروح تكبر فيها رؤى الحياة ، وتشدُّ أحلامها البيضاء إلى أفق مهيب يزهر بخمائل الفجر ، وتعبقُ
أبعاده بنسائم الفتح . أنفاسٌ يملأها وعى الآباء لركام الزبد والغناء ، ولا تزيد حشرجه الرئات الصدئة إلا عروجا
فى رحاب القدس ، وانصهاراً بين خلجات الشعور بوهج البصيرة .

لم تكن « لا أرى الموت إلا سعادة » إلا نبضة أمل ندى فى زحمة ذلك البعد المختنق برماد القلوب ، وومضة
عشق وردى للقاء (نور السموات والارض).

المسارات حُبلى بألوان الطيف ، وهى تنثر خطاها نحو شاطئ الرضوان ، مُفعَّةً بهمسات الفناء فى عوالم التسبيح
والتحميد والتهليل ، ورحاب الافئدة الولهى إلى (الموت) تحتضن بين جفونها شمم الحق ، وإيثار الشمس ،
ومنة اليقين .

سرى لهب « وأنا أحق من غير » فى أوصال ذلك المدى الموبوء رعدة خضراء ، لملت نثار عينيه ، وغرست بين
شفتيه تراتيل الشَّقَق ، وصلصلة الجراح .

ها هو هجيرُ (عاشوراء) يَصْطَبِغُ بحرٌ تلك (الانفاس) ، وتختالُ نَسَمَاتُهُ زَهُواً بمناجاةٍ ظِلَالِهَا . إنها لَوْحَةٌ ثَرَّةٌ يَمْتَزِجُ فيها عَبَقُ الْهُدَى بِخُضْرَةِ الدَّمِ ، وسموُّ الطِّينِ بِدِفءِ الرِّضَا والتسليم .

« هِيَهَاتَ مَنَا الذَّلَّةُ » كانتْ هِيَ الْمُنْعَطَفَ النَّائِرَ فِي خُمُودِ الضَّمِيرِ ، وَهَجَعُهُ إِخْلَادِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَرِسَالَةَ الرَّفْضِ السَّاخِنِ لَوْضَرِ اللَّيْلِ ، وَاسْتِعْلَاءِ الزَّيْفِ وَالْخَوَاءِ .

(الطَّيْفُ) مُخَضَّباً بِزُرْقَةِ السَّمَاءِ يَرْتَقَى مَعَارِجَ الْوُصُولِ بِ « أَنْوْفِ حَمِيَّةٍ ، وَنُفُوسِ أَبِيَّةٍ » ، مُعَانِقاً بَيْنَ مَطَاوِي جَبَلَتِهِ وَجَهَ الْحَقِيقَةِ الْإِبْدِيَّةِ ، وَبَهْجَةِ وَعِيهَا ، وَشُفُوفِ جَمَالِهَا ، لَمْ يُعْطِ الرُّغَاءَ بِيَدِهِ « إِعْطَاءَ الدَّلِيلِ » ، وَلَمْ يَفِرْ فِي مَغَانِي غُلَاةٍ « فِرَارَ الْعَبِيدِ » .

ذَلِكَ هُوَ النَّهَارُ الشَّهِيدُ ، وَقَدْ لَفَعَ بَدْمِهِ الْحَانِي عُرَى الْخَرِيفِ :

لِيُورِقَ فِي مُقْلَتَيْهِ الرَّجَاءُ وَتَخْضَلَ بِالنُّورِ مِنْهُ رُؤَاةٌ

مقارنات

مكانة الصحابة عند المسلمين

* عز الدين سليم (العراق)

تمهيد

«الصحابي» و «الصحابة» و «الاصحاب» من مصطلحات الثقافة الاسلامية القديمة التي لم تكن في الثقافات الاخرى ، ويطلق هذا اللفظ على من تشرف بصحبة محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من المسلمين في عصره.

وتباين وجهات النظر عند المسلمين حول تعريف الصحابي ومكانته الدينية والحضارية ، ودوره في التشريع والرسالة.

فمن هو الصحابي؟

وردت هذه الالفاظ في اللغة العربية على الشكل التالي:

الصاحب وجمعه : صَحْب ، وأصحاب ، وصِحاب ، وصَحابة^(١).

والصاحب هو المعاصر^(٢) ، كما ورد في اللغة بمعنى الملازم^(٣) «ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته»^(٤).

وقد وردت لفظه الاصحاب دون الصحابة في عدد من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قبيل: «ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٥).

وحيث أن الصحبة تكون بين طرفين أو أكثر ، ففي الاعم الاغلب لابد أن يضاف لفظ الصحابة أو الاصحاب إلى غيره من الاسماء ، وفي أدبيات المسلمين الاصيله امثله كثيرة على ذلك من قبيل: «أصحاب الصفة» و«أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)» و «يا صاحبي السجن» وأمثال ذلك كثير.

وإذا لاحظنا التحديد الاصطلاحي للمراد من «الصحابي» نجد أن عموم «أهل السنة» من المسلمين يضعون التصور التالي عن الصحابي «الصحابي من لقي النبي (صلى الله عليه وآله) مؤمناً به ومات على الاسلام ، فيدخل في من لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ، ومن روى عنه او لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمي»^(٦).

ويذكرون مصاديق لذلك فيروى بعض علمائهم مثلاً أن مكة المكرمة والطائف لم يبقَ فيهما أحد من الناس إلا وأسلم في حدود عام عشرة من الهجرة، وشهد مع النبي (صلى الله عليه وآله) حجة الوداع، كما لم يبقَ من الأوس والخزرج أحد إلا ودخل الإسلام في آخر المطاف على عهد النبي (صلى الله عليه وآله)، وأمثال ذلك (٧).

على أن الشيعة الامامية يرون أن مفهوم الصحابي هو نفس المدلول الذي ذكرته مفردات اللغة العربية (٨)، فإنه لا بد في نظرهم من طول المعاشرة والصحبة ممن عاصر النبي (صلى الله عليه وآله) وكثرة الملازمة له، وطول اللبث معه (صلى الله عليه وآله) لكي يأخذ من عاصر الرسول (صلى الله عليه وآله) معنى الصحابي، أما دون ذلك من المشاهدة العابرة أو الرؤية الخاطفة أو اللقاء السريع أو ما أشبه، فلا يعكس مفهوم الصحبة على الإطلاق.

هل جميع الصحابة عدول؟

يرى أهل السنة من المسلمين أن كل من صحب النبي (صلى الله عليه وآله) - بالصيغة التي ذكرها علماءهم في تعريف الصحابي - عادل ينبغي أن يرجع إليه المسلمون في أخذ معالم دينهم، فقد بلور ابن حجر العسقلاني الشافعي رأى المسلمين من أهل السنة في الصحابة بما يلي «اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة» (٩).

ويقول ابن الاثير الجزري في عدالة الصحابة: «إن السنن التي عليها مدار تفصيل الاحكام ومعرفة الحلال والحرام الى غير ذلك من امور الدين، إنما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدھا ورواتها، وأولهم والمقدم عليهم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإذا جهلهم الانسان كان بغيرهم أشد جهلاً وأعظم انكاراً، فينبغي أن يعرفوا بأنسابهم وأحوالهم ... والصحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلا في الجرح والتعديل، فإنهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح» (١٠).

وقد تناول عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي هذه القضية بتفصيل جاء فيه «فأما أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه (صلى الله عليه وآله) ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه، فريضهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلاماً وقدوة، فحفظوا عنه (صلى الله عليه وآله) ما بلغهم عن الله عز وجل، وما سنّ وشرع، وحكم وقضى، وندب وأمر ونهى وحظر وأذنب، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمر الله ونهيه ومراده، بمعانية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقفهم منه واستنباطهم عنه؛ فشرّفهم الله عز وجل بما منّ عليهم، وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة، فنفي عنهم الشك والكذب، والغلط والريبه والفخر واللمز، وسمّاهم عدول الامة، فقال عزّ ذكره في محكم كتابه: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس) ففسر النبي (صلى الله عليه وآله) عن الله عزّ ذكره قوله: (وسطاً) قال: عدلاً، فكانوا عدول الامة، وأئمة الهدى، وحجج الدين، ونقله الكتاب والسنة» (١١).

ولقد بالغ الحافظ أبو زرعة حتى قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى ذلك إلينا كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبتلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة» (١٢).

هذا باختصار رأى طائفة أهل السنة من المسلمين في الصحابة.

أما طائفة الشيعة الامامية من المسلمين فلهم وجهة نظر متميزة في التعامل مع صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهم لم يروا عدالتهم جميعاً، وإنما يرون فيهم التقى المستقيم على الحق، والمسلم العادي، والمنافق، والمرتب بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، ويتعاملون مع الاتقياء والاختيار أوعية للعلم والحق والهدى، لما أخذوه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسمعه منه ووعوه، واندمجوا بخطه (١٣).

ونظرة الشيعة الامامية إلى الصحابة تعتمد على نصوص من القرآن الكريم ومن السنة الصحيحة، ووقائع التاريخ.

١ - فمن النصوص القرآنية التي تشهد بانحراف بعض الصحابة أو نفاقهم أو إضمارهم العداوة للرسول (صلى الله عليه وآله) ما يلي:

أ - الايات التي نزلت تفضح أصحاب الافك الذين رموا فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالافك (إن الذين جاءوا بالافك عصبه منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى توكلى كبره منهم له عذاب عظيم * لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا افك مبين * لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون * ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم * إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم * ولولا إذ سمعتموه قلتهم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم * يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين) (١٤).

ب - الايات التي نزلت تلوم المتناقلين عن الجهاد من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثألتم إلى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة إلا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير) (١٥).

ج - الايات التي تكشف خبايا نفوس بعض من الصحابة (لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون * عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين * لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون * ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدین * لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولا وضعوا خلالكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين *

لقد ابتغوا الفتنة من قبلُ وقلّبو لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون * ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين * إن تصبّك حسنة تسؤهم وإن تصبّك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولّوا وهم فرحون(١٦).

وغير ذلك كثير جداً مما يكشف بوضوح عن وجود فئات ممن صحب النبي (صلى الله عليه وآله) مصابة بالنفاق والخبث والحسد.

أما الايات الكريمة التى يوحى ظاهرها بالرضا الالهى المطلق عن الصحابة، فإنها تقصد المؤمنين الصادقين منهم فحسب، من قبيل قوله تعالى: (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً)(١٧).

فمن المقطوع به أن هذا الرضوان الالهى لم يشمل المنافقين الذين حضروا بيعه الشجرة فى السنة السادسة من الهجرة، حيث صحب النبي (صلى الله عليه وآله) منهم عبد الله بن أبى السلولى، وأوس بن خولى(١٨).

٢- اما الاحاديث النبوية الكريمة التى تؤكد على انحراف بعض من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) ونفاقهم، خصوصاً بعد وفاته، فهى كثيرة جداً، روتها كتب الصحاح كالبخارى ومسلم وسواهما. نذكر منها مايلى:

عن أبى هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلّون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا علم لك بما أحدثوا، ارتدوا على أدبارهم القهقري»(١٩).

عن ابن عباس قال: «خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله عراء حفاء عزلاً، ثم تلا (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين)، ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإنه يجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: (وكنّ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد)، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

قال مسلم: وفى حديث وكيع ومعاذ: فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك(٢٠).

وأخرج البخارى من حديث الزهرى عن سعيد بن المسيب أنه كان يحدث عن بعض اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «يرد على الحوض يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلّون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري».

قال البخارى: «وقال شعيب عن الزهرى: كان أبو هريرة يحدث عن النبي (صلى الله عليه وآله) (فيحلّون) وقال عقيل: (فيحلّون)»(٢١).

روى ابن الاثير فى كتاب جامع الاصول ممّا اخرجه من صحيح البخارى وصحيح مسلم عن ابن مسعود قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنا فرطكم على الحوض، وثيّر فغنّ إلى رجال منكم حتى إذا أهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دونى فأقول: أى رب اصحابى، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (٢٢).

ومن صحيح الترمذى عن النبى (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «والذى نفسى بيده لتركبن سنن من كان قبلكم (وزاد رزين: حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة) حتى إن كان فيهم من أتى امه يكون فيكم، فلا أدرى أتعبدون العجل ام لا؟» (٢٣).

ومن الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لتبعتموهم. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» (٢٤).

ومن صحيح البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ امتى مآخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، قيل له: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: من الناس إلا أولئك» (٢٥).

عن شقيق عن ام سلمة زوج النبى (صلى الله عليه وآله) قال: «دخل عليها عبد الرحمن بن عوف فقال: يا أمّه، قد خفت أن يهلكنى كثرة مالى، أنا أكثر قریش مالا، قالت: يا بنى فأنفق؛ فإنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: من أصحابى من لا يرانى بعد أن أفارقه. قال: فخرج عبد الرحمن فلقى عمر بن الخطاب فأخبره بالذى قالت ام سلمة، فجاء يشد حتى دخل عليها، فقال: بالله يا أمّه أنا منهم؟ فقالت: لا أعلم، ولن أبرئ بعدك أحداً» (٢٦).

وأما الاحاديث التى رويت وفسرت بشمول التنزيه للصحابة جميعهم، فإنها اما تشير إلى الصحابة المؤمنين الاخيار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه دون غيرهم، أو إنها وضعت لاغراض سياسية من قبيل الحديث التالى: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» (٢٧).

فإن هذا الحديث كما قرر ابن حزم «موضوع، مكذوب، باطل»، وهو «حديث لا يصح» كما قال احمد بن حنبل، أو كما قال البزاز: «لا يصح هذا الكلام عن النبى (صلى الله عليه وآله)» (٢٨).

٣- أما الوثائق التاريخية فهى تكشف الكثير من تجاوزات البعض من الصحابة كما يلى:

أ- فى معركة احد امر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الرماة من جيشه أن يلتزموا قمّة الجبل ولا يفارقوها ابداً، فلما اشتبك المسلمون والمشركون كانت الغلبة فى اول الامر للمسلمين، فغنموا بعض متاعهم، فلما رأى الرماة الغنائم تخلوا عن مواقعهم طلباً للمتاع، وهكذا عصوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتغير مسار الحرب لصالح مشركى قریش، وانكسر جيش المسلمين، ومسهم القرع وخسروا العشرات من المجاهدين، وأصيب النبى (صلى الله عليه وآله)، وهزم المسلمون (٢٩).

ب - فى معركة حنين حين فوجئ جيش المسلمين بنبال هوازن وحلفائها ، وكوا الادبار وكانوا اثنى عشر ألفاً ، فأثروا السلامة والعافية على الحياة الباقية ، وفروا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يبق معه غير سبعة: على بن أبى طالب والعباس والفضل بن العباس ، وربيعه وابى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب واسامة بن زيد وعبيدة بن ام أيمن أو أيمن بن ام أيمن ، رغم دعوة رسول الله لهم: «هلموا الىّ. أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله» (٣٠).

ج - لما فتح الله تعالى مكة المكرمة للمسلمين ، أعلن النبي (صلى الله عليه وآله) فيما أعلن «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن» ، فقالت الانصار بعضهم لبعض: «اما الرجل فأدركته رغبة فى قومه ، ورأفة بعشيرته» وفى رواية اخرى «أما الرجل فقد اخذته رأفة بعشيرته ، ورغبة فى قريته» (٣١).

انظر كيف تصور الانصار مستوى النبي (صلى الله عليه وآله) فى مقاييسه ، حتى أنزلوه إلى مستوى الانسان العادى فى التأثير بالعصبية الاقليمية والعشائرية.

د - لما اشتد المرض على النبي (صلى الله عليه وآله) قال للحاضرين من اصحابه: «هلم اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» فقال عمر: «إن النبي قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله».

فاختلف أهل البيت -الحاضرون فى البيت - فاخصموا ، منهم من يقول: «قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لا تضلوا بعده» ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): «قوموا...» (٣٢).

هـ - عقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى آخر أيامه لواء لاسامة بن زيد وأمره بالرحيل إلى قتال الروم ، ودعا كافة الصحابة من المهاجرين والانصار للالتحاق بجيش اسامة ، وقد ضم الجيش كبار الصحابة ومنهم ابو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد بن ابى وقاص وغيرهم ، وكان ذلك لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة للهجرة ، فلما كان من الغد دعا اسامة فقال له: «سر إلى موضع قتل اييك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فاغز على اهل أبنى» (٣٣) وحرّق عليهم، واسرع السير لتسبق الاخبار، فإن اظفرك الله عليهم فاقلّ اللبث فيهم، وخذ معك الادلاء، وقدم العيون والطلائع معك» فلما كان اليوم الثامن والعشرون من صفر ، بدأ به (صلى الله عليه وآله) مرض الموت فحم وصدع ، فلما اصبح يوم التاسع والعشرين ووجدهم متثاقلين خرج اليهم فحضهم على السير ، وعقد (صلى الله عليه وآله) اللواء لاسامة بيده الشريفة تحريكاً لحمتهم ، وارهاقاً لعزيمتهم ، ثم قال : «اغز باسم الله وفى سبيل الله، وقاتل من كفر بالله» فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة ، وعسكر بالجرف ، ثم تناقلوا هناك فلم يبرحوا ، مع ما وعوه ورأوه من النصوص الصريحة فى وجوب اسراعهم كقوله (صلى الله عليه وآله): «اغز على اهل أبنى» وقوله: «واسرع السير لتسبق الاخبار» إلى كثير من أمثال هذه الاوامر التى لم يعملوا بها فى تلك السرية ، وطعن قوم منهم فى تأمير اسامة كما طعنوا من قبل فى تأمير ابيه ، وقالوا فى ذلك فأكثرنا مع ما شاهدوه من عهد النبي له بالامارة ، وقوله (صلى الله عليه وآله) له يومئذ: «فقد وليتك هذا الجيش» ورأوه يعقد له لواء الامارة - وهو محموم - بيده الشريفة ، فلم يمنعهم ذلك من الطعن فى تأميره حتى غضب (صلى الله عليه وآله) من طعنهم غضباً شديداً ، فخرج معصب الرأس (٣٤) ، مدثراً بقطيفته ،

محموماً أليماً ، وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول قبل وفاته بيومين ، فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال - فيما أجمع أهل الاخبار على نقله ، واتفق اولو العلم على صدوره - : «أيها الناس، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة، ولئن طعنتم في تأميري اسامة لقد طعنتم في تأميري اياه من قبله. وايم الله إنه كان لخليقاً بالامارة، وان ابنه من بعده لخليق بها» وحضهم على المبادرة الى السير ، فجعلوا يودعونه ويخرجون إلى العسكر بالجرف وهو يحضهم على التعجيل ، ثم ثقل في مرضه فجعل يقول: «جهزوا جيش اسامة، وأنفذوا جيش اسامة. أرسلوا بعث اسامة» يكرر ذلك وهم متناقلون ، فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول دخل اسامة من معسكره على النبي(صلى الله عليه وآله) ، فأمره بالسير قائلاً له: «اغد على بركة الله تعالى» فودعه وخرج إلى المعسكر ، ثم رجع ومعه عمر وأبو عبيدة فانتهوا إليه وهو يجود بنفسه، فتوفي في ذلك اليوم ، فرجع الجيش باللواء إلى المدينة الطيبة(٣٥).

و - ومن مفارقات الصحابة أن النبي(صلى الله عليه وآله) كان يصلي الجمعة ، فأقبلت غير تحمل بضاعة إلى المدينة ، فضربت طبلاً - كعادتهم - للاعلام ، ففزع الصحابة ولم يبق مع النبي(صلى الله عليه وآله) وهو قائم في صلاته - أو خطبة الجمعة - غير اثني عشر رجلاً ، فنزل قوله تعالى: (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازيين)(٣٦).

النبي(صلى الله عليه وآله) يحدد ضوابط للتمييز بين الصحابة:

بسبب امكانية الاختلاط بين الطيب والخبيث من الصحابة ، والمؤمن والمنافق ، والمستقيم على الطريقة والمرتد عن الحق ، وضع النبي(صلى الله عليه وآله)للاممة مقياساً يقاس به صحابته في حياته وبعد موته؛ لكي لا تختلط الامور ، ويغيب الحق تحت ركام الادعاء ، والتضليل.

فقد روى كل من الامام علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، وأبي ذر الغفاري ، وعبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وام سلمة المخزومية زوج النبي(صلى الله عليه وآله) ، وأنس ابن مالك الانصاري ، وعمران بن حصين ، وغيرهم عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنه قال لعلي بن أبي طالب(عليه السلام): «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»(٣٧) ، أو ما يشبه هذا اللفظ.

ولاهمية هذا الموضوع وادراكه من قبل الصحابة في عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، فإنهم كانوا يطبقون هذا المقياس على من حولهم من الناس.

فقد ذكر أبو سعيد الخدري «إنا كنا نعرف المنافقين - نحن معاصر الانصار - ببغضهم على بن أبي طالب(عليه السلام)»(٣٨).

وقال عبد الله بن العباس: «إنا كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ببغضهم على بن أبي طالب(عليه السلام)»(٣٩).

وقال جابر بن عبد الله الانصاري: «ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغض على ابن أبي طالب(عليه السلام)»(٤٠).

وهكذا كان الصحابة يحترزون ممن يبغض على بن أبي طالب (عليه السلام)، بعد تشخيصهم من خلال هذه الضابطة التي وضعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لهم.

وخلاصة ما يصل إليه الباحث المنصف أن الصحابة الاخيار رضوان الله عليهم وسلامه ، الذين استقاموا على الطريقة ، واندمجوا بخط الهدى يحتلون موقع الريادة فى دنيا المسلمين بامتدادهم التاريخي؛ لانهم أحد المنابع الاساسية لنشر الخير وحفظ معالم الدين الالهى الخاتم ، وصون الحق وارشاد التائهين ، رضى الله عنهم وأرضاهم.

-
- (١) مادة صحب من لسان العرب لابن منظور .
 - (٢) المصدر السابق .
 - (٣) مادة صحب من مفردات الراغب الاصفهاني .
 - (٤) المصدر السابق .
 - (٥) صحيح البخارى، باب فى الحوض ٤: ٩٥، ويراجع باب الفتن منه .
 - (٦) الاصابة، ابن حجر العسقلاني ١: ١٠ (الفصل الاول فى تعريف الصحابي .)
 - (٧) الاصابة ١: ١٣ و ١٦، وغيرها .
 - (٨) معالم المدرستين، السيد مرتضى العسكرى ١: ١١٨، ط. ٤، ١٩٩٢ م .
 - (٩) الاصابة ١: ١٧، وما بعدها .
 - (١٠) أسد الغابة فى معرفة الصحابة، لابن الاثير الجزرى ت ٦٣٠هـ، ٣: ١ .
 - (١١) مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل: ٧، وما بعدها .
 - (١٢) الاصابة ١: ١٨، وأبو زرعة ممن روى عنه رجال الصحاح مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .
 - (١٣) لاحظ موقف الشيعة الامامية من الصحابة فيما كتبه الامام عبد الحسين شرف الدين فى الفصول المهمة فى تأليف الامه: ١٧٩ - ١٩٤، ط . النعمان - النجف الاشرف .
 - (١٤) النور: ١١ - ١٧ .
 - (١٥) التوبة: ٣٨ - ٣٩ .
 - (١٦) التوبة: ٤٢ - ٥٠ .
 - (١٧) الفتح: ١٨ .
 - (١٨) اقناع الاسماع للمقريزى: ٢٩١، وغيره .
 - (١٩) عمدة ابن البطريق: ٢٤٢، ومثله فى صحيحى مسلم والبخارى عن سهل بن سعد .

- (٢٠) عمدة ابن البطريق: ٢٤٢، والحديث هو الذى مرّ تحت الرقم ٣٢ من كتاب الكشف باخراجه عن الحافظ الكنجي ترى الحديث وما هو بمضمونه فى صحيح البخارى الباب ٨ و ٤٨ من كتاب الانبياء، صحيح مسلم كتاب الجنة تحت الرقم ٥٨، صحيح الترمذى الباب ٣ من كتاب القيامة، صحيح النسائى الباب ١١٩ من كتاب الجنائز، سنن ابن ماجه الباب ٧٦ من كتاب المناسك، مسند ابن حنبل ١: ٣٥ و ٢٥٣ و ٢٥٨ .
- (٢١) عمدة ابن البطريق: ٢٤٢، وترى مثل الحديث وبمضمونه فى صحيح البخارى، كتاب المساقاة، الباب ١٠، وصحيح مسلم، كتاب الطهارة، الحديث ٣٧ و ٣٨، وكتاب الفضائل، الحديث ٣٩، وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، الباب ٣٦، ومسند الامام ابن حنبل ٢: ٢٩٨ و ٣٠٠، و ٥: ٧٢ و ٨٠ و ٢٨٣ .
- (٢٢) جامع الاصول ١١: ٣١٣، و ١٠: ٤٦٨ و ٤٦٩، وقال: «اُخْتَلِجُوا: أى اسْتَلْبُوا وأُخْذُوا بسرعة .»
- (٢٣) جامع الاصول ٣٤: ١٠ و ٣٥، وصدر الحديث عن أبى واقد الليثى أن رسول الله لما خرج إلى غزوة حنين مرّ بشجرة للمشرّكين كانوا يعلقون عليها اسلحتهم يقال لها ذات انواط، فقالوا: «يا رسول الله، اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط، فقال رسول الله: سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة (الحديث .
- (٢٤) جامع الاصول ٣٥: ١٠، وتراه فى مشكاة المصابيح ٤٥٨ :
- (٢٥) المصدر السابق، وفيه «باخذ القرون» بكسر الهمزة .
- (٢٦) امالى المفيد: ٣١. ورواه أحمد وأبو يعلى كما فى الزوائد ١: ١١٢ .
- (٢٧) الموافقات للشاطبي ٤: ٧٦ .
- (٢٨) راجع الاصول العامة للفقهاء المقارن، محمد تقى الحكيم: ١٣٨، نقلاً عن عبد الله دراز .
- (٢٩) الكامل لابن الاثير ٢: ١٥٣، ط. بيروت ١٩٦٥، وغيره من كتب التاريخ والسنن .
- (٣٠) المصدر السابق: ٢٦٣، والطرائف للسيد ابن طاووس: ٣٨٤ .
- (٣١) صحيح مسلم ٣: ١٠٦ - ١٠٨، كتاب الجهاد .
- (٣٢) صحيح البخارى ٤: ٥، من باب قول المريض قوموا عني من كتاب المرضى .
- (٣٣) أُبْنِي - بضم الهمزة وسكون الباء ثم نون مفتوحة بعدها ألف مقصورة: ناحية بالبقاء من أرض سوريا بين عسقلان والرملة، وهى قرب مؤتة التى استشهد عندها زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين فى الجنة .
- (٣٤) كل من ذكر هذه السرية من المحدثين وأهل السير والاخبار، نقل طعنهم فى تأمير أسامة وأنه (صلى الله عليه وآله) غضب غضباً شديداً، فخرج على الكيفية التى ذكرناها، فخطب الخطبة التى أوردناها، فراجع سرية أسامة من طبقات ابن سعد، وغيرها من المؤلفات فى هذا الموضوع. (هذا الهامش ذكره شرف الدين فى المراجعات: ٢٨٥).
- (٣٥) تاريخ الطبرى ٢: ٤٤٢ احداث سنة إحدى عشرة، والمراجعات للسيد شرف الدين: ٢٨٤ - ٢٨٥، نقلاً عن مصادره: طبقات ابن سعد والسيره الدحلانية وابن الاثير والسيره الحلبية وغيرها، مع اختلافات يسيرة فى الالفاظ .
- (٣٦) الجمعة: ١١ .

(٣٧) رواه الاثبات عن على بن أبى طالب (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى صحيح مسلم ١: ٦١، باب الدليل على أن حب الانصار وعلى من الايمان وبغضهم من علامات النفاق، وصحيح الترمذى ١٧٧١٣: ، باب مناقب على، وسنن ابن ماجه، الباب الحادى عشر من مقدمته، وسنن النسائى ٢: ٢٧١، باب علامة المؤمن وباب علامة المنافق، كتاب الايمان وشرائعه، وخصائص النسائى: ٣٨، ومسند احمد ١: ٨٤ و ٩٥ و ١٢٨، وتاريخ بغداد ٢: ٢٥٥، و ٨: ٤١٧، و ٤٢٦١٦: ، وحلية الاولياء لابی نعيم ٤: ١٨٥، وقال: «حديث صحيح متفق عليه» وتاريخ الاسلام للذهبي ٢: ١٩٨، وتاريخ ابن كثير

٧: ٣٥٤، والاستيعاب ٢: ٤٦١، وأسد الغابة ٤: ٢٩٢، وكنز العمال ١٥: ١٠٥، والرياض النضرة ٢: ٢٨٤، والمناقب لابن المغازلي: ١٩٠ ح ٢٢٥، وروى عن أم سلمة في سنن الترمذى ١٣: ١٦٨، ومسند أحمد ٦: ٢٩٢، والاستيعاب ٢: ٤٦٠، بطرق متعددة، وتاريخ ابن كثير ٧: ٣٥٤، وكنز العمال، ط . الاولى ٦: ١٥٨، ورواه اصحاب السنن عن انس بن مالك في كنز العمال، ط . الاولى ٧: ١٤٠، وروى عن جابر بن عبد الله الانصارى في الاستيعاب ٤٦٤٢:، والرياض النضرة ٢: ٢٨٤، وتاريخ الذهبى ٢: ١٩٨، ولفظه: «ما كنا نعرف منافقى هذه الامة»، وفي مجمع الزوائد ٩: ١٣٣، ولفظه: «ما كنا نعرف منافقينا معشر الانصار». راجع للاستزادة من المصادر معالم المدرستين للعلامة السيد مرتضى العسكري ١: ١٣٣ وما بعدها، ومناقب على بن أبى طالب(عليه السلام) (لابن المغازلي الواسطى الشافعى: ١٩٠ - ١٩٦ .

(٣٨) صحيح الترمذى ١٣: ١٦٧، وحلية الاولياء لابی نعيم ٦: ٢٨٤ .

(٣٩) تاريخ بغداد ٣: ١٥٣ .

(٤٠) الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٤٦٤، والرياض النضرة للمحب الطبرى ٢: ٢٨٤، ومجمع الزوائد وغيرها .

تعريف

كتاب فى مقال اجوبه مسائل جار الله

* عبد الكريم رؤوف

هوية الكتاب :

اسم الكتاب : أجوبه مسائل جار الله .

المؤلف : العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين .

الناشر : المجمع العالمى لاهل البيت (عليهم السلام) .

القطع : وزيرى .

عدد الصفحات : ١٢٨ صفحة .

الطبعة : الاولى (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) .

ترجمة المؤلف :

اسمه ونسبه : يطالعنا السيد العلامة بنسبه فى آخر كتابه (كلمة حول الرؤية) ص ١١٥ ، فيقول : « عبد الحسين بن يوسف بن السيد جواد بن إسماعيل بن محمد(١) بن محمد بن ابراهيم «الملقب بشرف الدين» بن زين العابدين بن على نور الدين ... إلى إبراهيم المرتضى ابن الامام الكاظم(عليه السلام) » .

مولده ونشأته :

ولد(قدس سره) فى الكاظمية سنة (١٢٩٠ هـ) ، إبان هجرة والده السيد يوسف شرف الدين فى طلب العلم إلى العراق . ذهب به والده بعد ولادته إلى النجف الاشرف ، وبعد نشأته قرأ القرآن فى الكتاب هناك ، ثم ذهب إلى جبل عامل بصحبة والده ليبلغ رسالة الاسلام ، ويعكف على التوجيه الدينى ، بعد أن وجّه إليه أهل بلدته الطلبات ليستقر بين ظهرانيهم ، استمر فى الدرس لدى والده فحصل على الدراسة العلمية الاولى .

حياته العلمية :

لمس منه والده النضوج والاستعداد الفكري لمتابعة الدراسة العلمية ، فعزم على إرساله إلى العراق لتلقى العلوم العالية في الديار المقدسة .

وفي اليوم التاسع من ربيع الاول سنة (١٣١٠هـ) أقلع السيد من بلده شحور يصحبه عياله ووالدته . وعندما وصل الكاظمية نزل عند جده لامه السيد محمد هادي ، فرجّح له الذهاب إلى سامراء حيث إن خاله السيد محمد حسين ، وابن عمه السيد إسماعيل الصدر ، يقطنان - حينئذ - في سامراء لطلب العلم . نزل السيد عند ارادة جده ، فذهب بمن معه إلى سامراء ، وهناك اكب على الدرس والتحصيل مندفعاً بلهيب حب العلم والتعلم ، وما إن استقرت له الامور بالدرس والتحصيل حتى حصلت الفتنة التي اثارها بعض النواصب في سامراء ، فتركها السيد وذهب إلى النجف وعكف على التحصيل هناك ، واشتغل بالدراسة والتدريس مجدداً في تحصيل المعارف ، جاداً في الاستفادة والافادة ، حتى ظهر نضجه ولمع فضله ، فتم له هدفه وبلغ الدرجة الرفيعة من الاجتهاد ، وأصبح ذا ملكة قدسية راسخة في استنباط الاحكام الشرعية ، فمنحه اساتذته شهادات وإجازات الاجتهاد اللائقة بشأنه الرفيع ، وأصبح معروفاً بالفضل والكمال بعد أن خبرته دورات البحث ومجالس المناقشة وندوات المذاكرة وحلقات التحصيل ، فذاع صيته واشتهرت منزلته المرموقة بين العلماء الاعلام ، ووصلت بشار ذلك إلى والده ، فبعث إليه يطلبه ليكون إلى جانبه في بلده شحور ، فرحل رغم تعلقه بدار علمه ، بعد أن بلغ من عمره الثانية والثلاثين ، من النجف الاشراف قاصداً وطنه .

أساتذته ومشايخه :

منهم : ١ - والده السيد يوسف شرف الدين (رحمه الله) .

٢ - آية الله الاخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني (رحمه الله) .

٣ - آية الله الشيخ محمد طه نجف (رحمه الله) .

٤ - صاحب مصباح الفقيه آية الله الشيخ آقا رضا الاصفهاني (رحمه الله) .

٥ - صاحب مستدرک وسائل الشيعة آية الله الشيخ حسين النوري (رحمه الله) .

منزلته العلمية والثناء عليه :

خاض الامام شرف الدين عباب العلم ، وغار في حقائقه ، فاعترف الفضلاء بفضلته ومنحه المراجع العظام والعلماء الاعلام اجازاتهم المباركة التي لا ينال امثالها إلا ذو حظ عظيم . منها :

١ - إجازة الامام الشيخ آقا رضا الهمداني (رحمه الله) .

٢ - إجازة الامام الشيخ محمد كاظم الخراساني (رحمه الله) .

٣ - إجازة آية الله الشيخ الشريعة الاصفهاني (رحمه الله) .

٤ - إجازة شيخ الطائفة في عصره الشيخ محمد طه نجف (رحمه الله) .

٥ - إجازة آية الله الشيخ عبد الله المازندراني (رحمه الله) .

ومن جملة ما اثنى به عليه مشايخه من علماء الامة ومراجعها ما قاله آية الله الامام الشيخ محمد كاظم الخراساني فيه : « ... وإن سيادة السيد السند ، والثقة الفقيه المجتهد ، المنزه عن كل شين ، السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، شدّ الله اركانه واعطاه يوم القيامة امانه ، مجتهد مطلق وعدل موثق ، قد اصبح من أهل الذكر الذين ترجع إليهم العباد ... » .

وقال فيه المحقق الطهراني مؤلف الذريعة في نقباء البشر من طبقاته : « لقد كان مآثرة من مآثر الوقت ، وآية كبرى ازدهر بها العصر الحاضر ، وحسب هذا القرن مفخرة أن ينبغ فيه مثل هذا العبقري الفذ ، وحسب عاملة أن تُقلّ باحثها علماً خفياً للدين ، وسيفاً مشهوراً للهدى مثله من بقايا العترة الطاهرة (عليهم السلام) ، فلقد فاق أقرانه بشروء علمية طائفة ، وقوة في العارضة ، وفلج في الحجة ، ورصانة في الاسلوب ، وجودة في السرد ، واهتداء إلى المغازي الشريفة ، والدقائق البعيدة المرمى ، والغايات الكريمة ، فماذا يقول الواصف فيه ، أهو مجتهد فاضل ، أم متكلم بارع ، أم فيلسوف محقق ، أم اصولي ضليع ، أم مفسر كبير ، أم محدث صدوق ، أم مؤرخ ثبت ، أم خطيب مصقع ، أم باحث ناقد ، أم أديب كبير ؟ ولا أكون مبالغاً إذا قلت بأن المذهب الجعفري على ما هو عليه من حق وظهور ووضوح مدين له ، فقد نشره من جديد بأسلوب العصر ، وخدمه بكل ما أوتي من براعة وعبقريّة ، فظهر الحق وأزهد الباطل ... » .

تأليفاته :

بالرغم من مرجعيته واشتغاله بالخدمات المختلفة ، وابتلائه بقضاء حوائج الناس ، لم يفته الاخذ بحظه فى عالم التأليف ، بل تفوق فيه على من تفرغ له وانصرف إليه ، فقد أفرغ فى بوتقه التأليف عشرات الكتب القيمة الرصينه ، وكان له فى الكتابة أسلوب خاص تميز به عمن سواه ، واختص بالدراسات الشيعيه ، فوقف نفسه وكلمه لها ، وغربل تاريخ الاسلام غربله دقيقه ميز فيها غثه من سمينه ، ونخل حوادثه ووقائعه صغيرها وكبيرها ، فعرف الصحيح من المزيف ، والحقيقه الثابته من الوهم والخيال . ولقد ابان اموراً وكشف حقائقاً لم يكن ليعرفها الكثير من العلماء ، لو لم يبعثها قلمه الحر النزيه ، فأتحفنا بانتاجه الغزير المتحلى بالاصالة والعمق والاستيعاب ، وعذوبه اللفظ ، وسلاسه التعبير ، بحيث يجعلك وأنت تقرأ بحثه العلمى وكأنك تقرأ فصلاً أدبياً رائعاً . وإليك هذا العرض العابر لبعض آثاره (قدس سره) :

١ - المراجعات .

٢ - الفصول المهمه فى تأليف الامه .

٣ - الكلمه الغراء فى تفضيل الزهراء .

٤ - أبو هريره .

٥ - النص والاجتهاد .

٦ - مقدمه المجالس الفاخره .

٧ - المسائل الفقهيّه .

٨ - كلمه حول الرؤيه .

٩ - فلسفه الميثاق والولايه .

١٠ - اجوبه مسائل جار الله ، وهو الكتاب الذى نحن بصدد تعريفه فى هذا المقال .

وهناك آثار عديدة أخرى مطبوعة ومخطوطة لا يسعنا الاسترسال في ذكرها ، ومن أرادها يمكنه الرجوع إلى مظانها .

كفاحه ضد الاستعمار :

لم يقصر جهده على العمل لنشر الاحكام وهداية الامة ، بل كان قائداً موجّهاً ، ومصلحاً اجتماعياً ، وزعيماً وطنياً ، وكان يوالى بذل الجهد من أجل خدمة مجتمعه واصلاح شؤونه ، وقد ضحّى في هذا المجال بكل غال ونفيس ، كما خاض ميدان النضال ضد الحكام الاجانب في عهدي الاتراك والاحتلال الفرنسي ، فقد طورد من قبل الفرنسيين بشدة ، فلم يتركوا وسيلة إلا استعملوها من أجل القبض عليه ، إلا أن يد العناية الالهية مهّدت له الخروج من بلده إلى دمشق بأعجوبة متكرراً بكوفية وعقال ، ولما علم الفرنسيون بفراره أسرعوا إلى داره في بلدة شحور فأحرقوها . وقال المحقق الطهراني صاحب الذريعة : « وعرض نفسه وأهله للمخاطر حتى صدر الحكم باغتياله ، وهوجمت داره واحرقت مع مكتبته ، وتلف فيها نيف وعشرون من مؤلفاته المخطوطة ، وهكذا عمل في مختلف الميادين الاصلاحية والحركات السياسية والوطنية ، وكان في جميع ذلك من قادة الفكر وزعماء الرأي ، كما يشهد به تاريخ جبل عامل الحديث ... » .

مواقفه الجليّة من الوحدة الاسلامية :

كان من اكبر دعاة الوحدة الاسلامية والتقريب بين المذاهب ، وقد دعا إلى توحيد الصف وجمع الكلمة ، فقد قال في كتابه الفصول المهمة بأسلوب أدبي رائع : « أما إذا كانت الامة أوزاعاً متباينة ، وشيعاً متباغضة ، لاهيةً بعبثها ، غافلةً عن رقيها ، لتكونن حيث منابت الشيع ، ومهافي الرياح ، أذلّ الامم داراً ، وأجذبها قرارا ، مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان ، في باحة ذل ، وحلقه ضيق ، وعرصه موت ، وحرمة بلاء ، لا تأوى إلى جناح دعوة ، ولا تعصم بظل منعة ... » (٢) .

وجاء في رسالته إلى المجمع العلمي العربي بدمشق : « ... والشيعه إخوانكم في الدين ، وأشد المسلمين دفاعاً عنه ، ودعايةً إليه ، واحتياطاً عليه ... » (٣) .

وكان رضوان الله عليه قد جند للوحدة كل قابلياته وامكانياته ، وكان أول تأليفه في هذا الموضوع كتابه الجليل الفصول المهمة في تأليف الامة ، وقد فرغ من تأليفه سنة (١٣٢٧ هـ) ، وهو منذ ذلك التاريخ حتى آخر أيامه كان يولي هذا الموضوع اكثر اهتمامه ، ويسعى له سعياً حثيثاً . وفي سنة (١٣٢٩ هـ) هبط مصر ، فاجتمع بعلمائها وعلى

رأسهم العلامة المنصف الشيخ سليم البشرى شيخ الازهر الشريف يومئذ ، وعقدت بينهما اجتماعات متوالية بحثا فيها أمهات المسائل الخلافية فى الكلام والاصول ، واتفقا على أن يضعا اللبنة الاولى لبناء الوحدة الاسلامية ؛ ليكون لهما شرف فتح هذا الباب ، فتبودلت بينهما الرسائل العلمية على شكل سؤال وجواب ، وكان من نتائج ذلك العمل الطيب كتابه المراجعات .

وفاته وتأيينه وبعض أقوال العلماء فيه :

توفى (رحمه الله) فى اليوم العاشر من جمادى الثانية سنة (١٣٧٧ هـ) ، فنقل جثمانه الشريف من لبنان إلى العراق ، وسُيّر إلى النجف الاشرف ، وفى الصحن الشريف صلى عليه سماحة المرجع الاكبر الامام السيد محسن الحكيم (قدس سره) ، ثم اودع فى مقره الاخير وسط غرفة من غرف الصحن الشريف مجاورة لمقبرة السيد محمد كاظم اليزدى ، فاستقر به المقام فى النجف مهد دراسته ومقر لحده طيب الله ثراه .

وقد أثّنه العظماء والعلماء ورجال الفكر ، كما أقيمت له حفلات التأيين فى النجف وكربلاء والكاظمية وبغداد وغيرها من مدن العراق ، وفى طهران واصفهان وغيرهما من بلاد ايران ، وفى الباكستان والهند وسوريا ولبنان وغيرها .

وقال فيه آية الله السيد أبو القاسم الخوئى (رحمه الله) : « لمست فى خلقه عظمة لا تجارى ، وفى آرائه عتيداً لا يُدانى ، وإن جهاده فى سبيل الاسلام لا يكاد يجهله أحد ، وقد وُقِّ فى ذبّه عن شريعته الاسلام ، وفى انتصاره للمذهب الجعفرى بالسبيل الاقوم ، والدعوة إلى الاصلاح » .

وقال فيه آية الله الشيخ حسين الحلى (رحمه الله) : « كان الفقيد (قدس سره) من أعظم العلماء العاملين فى سبيل اعلاء كلمة الحق ونشر لواء الاسلام ، وإن مؤلفاته الخالدة ، ومواقفه المعروفة ، لخير دليل على ذلك ، فقد خسر المسلمون بوفاته خسارة عظيمة ... » .

وقال فيه آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين (رحمه الله) : « لقد كان أحد أولئك الافذاذ من علماء هذه الامة ، الذين نهضوا بتأدية رسالتهم كما ينهض الانبياء من الرسل بتأدية رسالتهم ... فقد أخذ على نفسه ما أخذه أولئك العظماء على أنفسهم من النهوض بأعباء الدعوة لهذا الدين الحنيف ... فكان لقلمه ميدان ، ولفمه وليده ميدان ، وكان فى كل هذه الميادين فارسها المجلى ، وبطلها المغوار... » .

وهكذا لو جُمع ما قيل فيه من كلمات واقوال وشعر في البلاد الاسلامية لألف أكثر من مجلد . وأختم هذه النبذة بما ذكره به المحقق الطهراني في طبقات اعلام الشيعة : « وارى أن الواجب يحتم علىّ ، والمترجم له راقد في طيات الثرى بجوار جده علىّ (عليه السلام) ، وأنا على أهبة السفر وجنح المسير ، اكتب هذه السطور ويدي ترتعش ، وأقدمها للمطبعة فيتولى تصحيحها غيرى ، أن اعترف له بالفضل العميم وحسن الاخاء وصدقه ، فهو من الافراد الذين استمرت صلات الود بيني وبينهم أكثر من نصف قرن ، ولم تختلف سيرتهم عن سريرتهم ولم تشب أخوتنا شائبة ، ورأيت منهم كل لطف واکرام ... » (٤) .

قراءة في الكتاب :

وردت لسماحته تلك المسائل من قبل جمعية الرابطة الادبية في النجف الاشرف ، حيث كان قد وجهها موسى جار الله إلى علماء الشيعة في العراق وايران ولبنان وللسيد نفسه ، ولما جاءته رسالته الرابطة ، ورأى اصراره على ارادة الجواب ، نهض عليه الرحمة فردها رداً شافياً وافياً ، جاء - والحمد لله - على خير ما يتمناه من الحجّة والبرهان المستنديين إلى العقل والنقل والاستنتاج والتحليل . وكانت مسائل جار الله عبارة عن عدد من الشبهات والاشكالات ، التي اراد بها زرع الاحقاد ونزعات التفرقة بين المسلمين ، جاء بهما تحت عنوان مسائل .

واستهل الكتاب بخطبة موجزة وافية أبدى فيها تألمه وعدم ارتياحه فقال : « فما وقفت عليها حتى أوجست من مغازيها خيفة على الوحدة الاسلامية أن تنفصم عروتها ، وتتفرق جماعتها ، إذ وجدت فيها من نبش الدفائن وإثارة الضغائن ما يشق عصا المسلمين ، ويمزقهم تمزيقاً ، والدور عصيب ، والظروف حرجة ، لا تسع النقض والابرار ولا المشادة والمنافئة ، فضلاً عن هذه المحاربة التي ليس بعدها مصاحبة » ، ويبين أن النزاع بين الفريقين في جميع المسائل الخلافية صغرى في الحقيقة ، ولا نزاع بينهما في الكبرى عند أهل النظر أبداً ، واسترسل في ذكر اقوال الاعلام من أهل السنة ، امثال الشيخ جمال الدين القاسمي في رسالته الجرح والتعديل ، والشيخ رشيد رضا في مناره ، وابن حزم في الفصل في الملل والنحل في ذم التعصب والفرقة وتكفير المسلمين . و توجّها بقوله عزوجل : (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) (٥) ، وقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم ، وهم يد على من سواهم ، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين » (٦) .

وكفى بهذه الخطبة التي أوردتها جواباً عن مسائل موسى جار الله ، ورداً على كل مشاغب ، ولكنه أبى إلا أن يرد الشبهات واحدة تلو أخرى . وما أبلغ كلامه حيث قال : « كنت أرى أن الاختصار على هذا المقدار في جواب مسائل موسى جار الله أولى من الاستقصاء في ردّها ، والامعان في مناقشته عليها ، فإن هذا اقرب إلى السلام ، وأبقى للوئام ، ولكنني رأيته يلحّ في تفصيل الجواب ، حتى طرق في ذلك كل باب ، فلم يبق بُدٌّ من اجابته ، ولا سيما بعد أن كلّفني بها من لا تسعني مخالفتهم من الاجلاء وأفاضل العلماء » ، ثم انبرى لها حتى أجاب عنها مسألة بعد مسألة ، مستعيناً بالايجاز تارة وبالتفصيل أخرى ، حتى أتمّها مشفوعةً بفصول ومباحث ، واختتم عشرينها بالدعاء لنفسه ولموسى جار الله ولجميع المؤمنين والمؤمنات بما هو أحمد في العقبي .

المسألة الاولى والثانية والثالثة :

تتعلق بالصحابه ، فقال في الاولى : كُتِبَ الشيعة تكفر عامة الصحابة كافة . فأجابه قائلاً - وقد شطر الجواب إلى قسمين ، تعلق الاول منهما بأصل ادعائه ، والثاني في نظرة الشيعة إلى الصحابة - : « ولعل الرجل رأى في كتب الشيعة سنناً لم يفقهها ، وحديثاً متشابهاً لم يعرف مرماه ؛ فاضطرّ الجهل إلى هذا الارجاف ، وما اظن الذي رآه في جميع كتب الشيعة من تلك السنن إلا دون ماهو في صحيح البخارى وحده منها ، فلم يصم أهل السنة كتب الشيعة بهذا دون الصحاح الستة وغيرها ؟ ولم لم يعتذروا عن كتبنا بما اعتذروا به عن كتبهم ؟ فإن الاشكال واحد والجواب واحد ؟ » . واستدلّ بعد ذلك على مراده بعدد لا يستهان به من الروايات مما اخرج البخارى في صحيحه ، منها ما اخرجه في باب الحوض عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : « يرد على يوم القيامة رهط من اصحابي فيحلّون عن الحوض ، فأقول : يارب ، أصحابي ، فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك . إنهم ارتدوا على ادبارهم القهقري » (٧) .

وأفرد للثاني فصلاً تحت عنوان (رأى الشيعة في الصحابة أوسط الاراء) ، أشار فيه إلى أن الصحبة بمجردّها - وإن كانت عند الشيعة فضيلة جليّة - غير عاصمة ، فالصحابه كغيرهم من الرجال فيهم العدول وفيهم البغاة ، وفيهم أهل الجرائم من المنافقين ، وفيهم مجهول الحال ، والكتاب والسنة صريحان في هذا الامر ، كما هو مفصل في مظانه من اصول الفقه . ولو أن السائل رجع إلى قواعد العلم وتدبر القرآن الكريم ، لعلم أن أصالة العدالة في الصحابة مما لا دليل عليه .

وقال السائل في المسألة الثانية والثالثة : « وللشيعة في تكفير الاول والثاني صراحه شديده ومجازفات طاغية ... رغم أن لهم في لعنهما عبارات ثقيله شنيعة ... » وما أراد من هذه الاثارة إلا تأجيج الحقد والعداوة بين المسلمين ، وقد بادره (قدس سره) قائلاً : « ليس هذا الرجل أول من رمى الشيعة بهاتين المسألتين ، ولا نحن أول من ناقش في ذلك ، وقد أكل الدهر على هذه الامور وشرب ، فالتخريش بمثل هذه المسائل ليس إلا إيقاظاً للفتنة الراقدة ، وإيقاداً للحرب الخامدة (وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون) (٨) . وأي فائدة للامة في هذا البوق يجأر فيه المرجف بأنكر الاصوات ؟ وأي عائدة من هذا الطنبور ونغمه المزعج وقد تقطعت اوتاره بتقادم عهده ؟ » ثم دحض هاتين المسألتين - التكفير واللعن - بأدلة شافية وافية مستنداً إلى اصول مذهبهم ، واقوال علمائهم ، وسيرة من نعتوا الشيعة بتكفيرهم ولعنهم . وفي ختام هذه المسائل الثلاث أفرد فصلاً بين فيه ما قاله من أن الصحبة بمجرد ما ليست بعاصمه ، ذاكراً نوادر من سيرة الصحابة تؤيد ما ذهب إليه منها : « قال عمر لابي هريرة مرة : يا عدو الله وعدو كتابه ، سرقت مال الله ! قال أبو هريرة : فقلت : ما أنا بعدو الله ، ولا عدو كتابه ، ولكني عدو من عاداهما ، ولا سرقت مال الله ، قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف ؟ قال : قلت : خيلي تناسلت وعطائي تلاحق ، قال : فأمر بها أمير المؤمنين فقبضت » (٩) . وغيرها كثير مما كان من الحوادث الدالة على أن الصحابة لم يثبتوا لانفسهم من المنزلة ما أثبتته لهم المجازفون .

المسألة الرابعة :

ما نسبته إلى الشيعة من القول بتحريف القرآن باسقاط كلمات وآيات منه ، فأجابه بأن الشيعة تبرأ إلى الله تعالى من هذا الجهل ، وكل من نسب هذا الرأي إليهم جاهل بمذهبهم أو مفتر عليهم ، فإن القرآن العظيم متواتر من طرقهم بجميع آياته وكلماته وسائر حروفه وحركاته وسكناته ، تواتراً قطعياً عن ائمة الهدى من أهل البيت (عليهم السلام) ، ولا يرتاب في ذلك إلا معتوه ؛ وائمه أهل البيت كلهم أجمعون رفعوه إلى جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الله تعالى . ثم اشار إلى رأى المحققين من علماء الشيعة من أن القرآن العظيم إنما هو ما بين الدفتين الموجود في ايدي الناس ، والباحثون من أهل السنة يعلمون منا ذلك ، والمنصفون يصرحون به . ثم يستشهد بتصريح أحد علمائهم المعروفين بالبحث والتتبع ، وهو الشيخ رحمه الله الهندي . ولا يفوته أن يذكر ما قاله صاحب كتاب كشف الغطاء في المبحث السابع من مباحثه في (كتاب القرآن) : « لا زيادة في القرآن من سورة ولا آية ، من بسمله وغيرها ، لا كلمة ولا حرف ، وجميع ما بين الدفتين مما يتلى كلام الله تعالى بالضرورة من المذهب ، بل الدين وإجماع المسلمين

وأخبار النبي (صلى الله عليه وآله) والائمة الطاهرين » ، وكذلك ما قاله فى المبحث الثامن منه (١٠) ثم يحتج على السائل بما جاء فى سننهم وصحاحهم وتفاسيرهم من احاديث تصرح بالنقصان والزيادة فى القرآن ويستشهد ببعضها ، ثم يستشهد بما نقله عنهم فى هذا الباب غير واحد من سلفهم الاعلام ، كالامام أبى محمد بن حزم ، إذ نسب إلى الامام أبى الحسن الاشعري أنه كان يقول : « إن القرآن المعجز إنما هو الذى لم يفارق الله عزوجل قط ... وأما الذى يقرأ فى المصاحف ونسمعه فليس معجزاً بل مقدور على مثله » .

المسألة الخامسة :

زعم أن الشيعة ترى حكومات الدول الاسلامية وقضاتها وكل علمائها طواغيت ، فرد عليه بعد أن بين صفات الحكومات الجائرة ومأجوريها من المتزلفين والدجالين : « أما غيرهم من حكومات الاسلام فإن من مذهب الشيعة وجوب موازرتهم فى أمر يتوقف عليه عز الاسلام ومنعته ، وحماية ثغوره ، وحفظ بيضته ، ولا يجوز عندهم شق عصا المسلمين وتفريق جماعتهم بمخالفته ، بل يجب على الامة أن تعامل سلطانها القائم بأمرها والهامي لثغورها معاملته الخلفاء بالحق ، وإن كان عبداً مجدع الاطراف » .

المسألة السادسة :

قال : « صرح كتب الشيعة أن كل الفرق الاسلامية كلها كافرة ملعونة خالدة فى النار إلا الشيعة » ، فرد عليه دعواه الكاذبة بذكر ما جاء فى صحيحة حمran بن أعين عن الامام أبى جعفر محمد الباقر (عليه السلام) أنه قال : « الاسلام ما ظهر من قول أو فعل ، وهو الذى عليه جماعة الناس من الفرق كلها ، وبه حققت الدماء ، وعليه جرت المواريث وجاز النكاح ، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فخرجوا بذلك عن الكفر وأضيفوا إلى الايمان » (١١) وذكر كذلك نصوصاً اخرى عن الامام الصادق (عليه السلام) ، وهذا ما عليه إجماع الشيعة . فأين كان السائل من كتب أهل السنة المشحونة بتكفير الشيعة وتحقيرهم ؟ وكأنهم ليسوا بإخوانهم فى الدين .

ثم قال موسى جار الله فى خاتمة هذه المسألة : « يقول الامام - يعنى الباقر أو الصادق - فى ائمة المذاهب الاربعة : لا تأتهم ولا تسمع منهم لعنهم الله » إلى آخر قوله ، فأجابه قائلاً : لا طريق لموسى جار الله وغيره فى إثبات هذا القول عن أئمتنا أبدأ ، بل إن أئمة المذاهب الاربعة ومعاصريهم كان ينتقد بعضهم بعضاً ، ويزرى بعضهم على بعض ، ويقدم

بعضهم فى بعض ، وأتى بعشرات الاحاديث عنهم فى هذا المورد ، منها ما أخرجہ الخطيب فى تاريخ بغداد عن الامام مالك بن أنس قال : « ما ولد فى الاسلام مولود أضرب على الاسلام من أبى حنيفه » (١٢) ، ثم ختم جوابه قائلاً : وعلى كل فاننا نكبر الائمة الاربعة ، ونحترم مذاهبهم ، ونعرف قدرهم ، ونستعظم امرهم ، ونقدر جهودهم وبلادهم رضى الله عنهم .

المسألة السابعة :

تتعلق بالجهاد ، قال : « إن الجهاد عند الشيعة غير مشروع إلا مع الامام المفترض الطاعة ، وعليه فإن جهاد المسلمين حرام مثل حرمة الميتة وحرمة الخنزير ... » .

والجواب أن الجهاد ينقسم إلى خمسة أقسام ، أربعة منها هى الجهاد لحفظ بيضة الدين ، ولدفاع العدو عن التسلط على دماء المسلمين ، ولدفاع عن طائفة من المسلمين ، ولدفع العدو عن ثغور المسلمين . وفى هذه الاقسام يجب الجهاد بإجماع الشيعة ، ومن قتل فهو من الشهداء السعداء ، ولا فرق فى الوجوب بين حضور الامام (عليه السلام) وغيبته . والخامس من اقسام الجهاد هو ابتداء الكفار بجهادهم فى سبيل دعوتهم إلى الايمان بالله ، فهذا من خواص النبى (صلى الله عليه وآله) أو الامام النائب عن رسول الله نيابة صحيحة ، أو المنصوب الخاص من أحدهما .

المسألة الثامنة :

تتعلق بحديث أئمة العامة وحاله عند أئمتنا (عليهم السلام) ، ومما جاء فى معرض سؤاله أن موسى بن جعفر قد انكر كل حديث رواه مالك إمام المذهب ، وأن الصادق كان يأمر بما فيه خلاف اهل السنة والجماعة ، الخ ، فأجابه مشيراً إلى رأى الشيعة فى نقل الاحاديث عن ائمتهم (عليهم السلام) ، وأن أئمة المذاهب واصحاب السنن كانوا لا يروون عن الائمة شيئاً ، رغم معاصرتهم لهم ، واستشهد بامثلة على ذلك حتى قال : وإنى والله لاعجب من الشيخ البخارى يروى عن ألف ومئتين من الخوارج ، ويحتج بأكثر من مئة مجهول ، ويعتمد على كثيرين ممن سبق الطعن بهم ... ثم يعرض عن سبط رسول الله الاكبر ، وريحانته من الدنيا الحسن بن على إمام الامة وسيد شباب اهل الجنة ، وعن الصادقين من أهل البيت ، وهم أعدال الكتاب وسفينه النجاة .

وأما قول الرجل : « وكان الصادق يأمر بما فيه خلاف اهل السنة والجماعة » فجوابه أنه (عليه السلام) إذا استفته من يعرفه بالعمل بهديه يفتيه بما عنده من ذلك ، وإذا استفته من يعرفه باتباع غيره أجابه بما جاء عنهم ، وإذا سأله من لا يعرفه قال في الجواب : جاء عن فلان كذا وعن فلان كذا ، فيذكر في الاثناء مذهب اهل البيت في المسألة . ولا ضير في هذا ، ثم اردف قائلاً : « ولعل جار الله رأى عمر بن قيس - وهو من أعلام اهل السنة - يقول : من اراد الحق فليأت الكوفة فلينظر ما قاله أبو حنيفة وأصحابه فليخالفهم (١٣) » ، فظن أن الصادق (عليه السلام) إنما يرمى إلى هذا الغرض .

المسألة التاسعة :

وتتعلق بتنزيل بعض الايات وتأويلها ، وأن في كتب الشيعة أبواباً في آيات نزلت في الائمة والشيعة الخ ، فأحاله إلى كتاب مجمع البيان للطبرسي فيما يتعلق بتنزيل الايات وتأويلها ، فكل ما ينقله عن الشيعة حق في هذا المجال . أما ما نزل في فضل الائمة (عليهم السلام) وشيعتهم فمسلم بحكم الضرورة من علم التفسير بالمأثور من السنن ، ومن أثر التفصيل فعليه بكتاب غاية المرام ، والمراجعة ١٢ من كتاب المراجعات لمؤلف الكتاب (رحمه الله) .

المسألة العاشرة :

في التقية ، حيث ندّد بها وعدّها وصمة في الشيعة ، مع أن العمل بها عند الخوف على النفس أو العرض أو المال ، مما حكم بوجوبه الشرع والعقل . والحقيقة أن التقية غير خاصة بالشيعة ، والاحاديث الحاكمة بالتقية عند الاضطرار إليها متواترة من طريق العترة الطاهرة وغيرهم . وكان في معرض جوابه التذكير بجملة من الايات الكريمة والاحاديث الشريفة ، تؤيد ما ذهب إليه الشيعة من جواز العمل بالتقية ، ولم يتوقف الامر عليهم ، بل إن اهل السنة عملوا بالتقية في كثير من الموارد ، والتاريخ شاهد على ذلك . ومن الطريف أنه ضمن سؤاله قال ما هذا لفظه : « نعم ، التقية في سبيل حفظ حياته وشرفه ، وفي حفظ ماله وفي حماية حق من حقوقه واجبة على كل أحد إماماً كان أو غيره » وكأن الشيعة وأئمتهم يأخذون بالتقية حيث لا خوف على حياتهم ، ولا على شرفهم ، ولا على اموالهم ولا على شيء من حقوقهم ، وقد منى الشيعة بملوك الجور ، وولاة الظلم ، فكانوا يسومونهم سوء العذاب . والاغرب مما سلف من كلامه أنه نسب إلى مقام الائمة (عليهم السلام) ، أنهم يعملون بالتقية في العبادة عملاً لم يقصد به وجه الله ، ويسندون إلى الشارع حكماً لم يكن منه ، تقية . وقد أجيب على هذا الكلام بأن هذا خطأ واضح ، فإنهم كانوا يقصدون وجه الله في كل ما يعملون ، وأخذهم بالتقية كان من أفضل اعمالهم التي قصدوا بها وجه الله . وإنهم أعدل الكتاب وبهم يعرف الصواب

، وكانوا ذوى مذهب تلقوه عن جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكان من مذهبهم أن التقية تبيح لهم فى المسائل الخلافية أن يفتوا اهل الخلاف لهم بما جاء عن أئمتهم ، ويفتوا شيعتهم بما يرونه الحق من مذهبهم ، فتعارض النقل عنهم بسبب ذلك ، حتى جاء العلماء من اوليائهم فمحصوا تلك الاحكام المأثورة عنهم فى الاخبار المتعارضة ، فعرفوا ما كان منها لمخالفهم فصرحوا بحمله على التقية .

المسألة الحادية عشرة :

قال فيها إن كتب الشيعة تقول إن علياً طلق عائشة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأجابه بأن هذه الاخبار وأمثالها لا أثر لها عند الشيعة علماً ولا عملاً .

المسألة الثانية عشرة :

وتتعلق باب من ابواب التركة أسموه (عول الفرائض) ، وهو نقصان التركة عن ذوى السهام ، كأختين وزوج ، فإن للاختين الثلثين وللزوج النصف (١٤)

، وهى من المسائل الخلافية بين الفريقين . حيث إن كتب الشيعة ردت القول بالعول ، ولا تقول بإعالة الفرائض . وفى هذه المسألة يحاول السائل الانتقاص من علماء اهل البيت (عليهم السلام) لانهم « انكروا على الامة إعالة الفرائض » حسب تعبيره فى شيعته . وعن ابن عباس لما سئل عن أول من أعال الفرائض قال : «عمر بن الخطاب لما التفت الفرائض عنده ودفع بعضها بعضاً ، قال : والله ما أدرى أيكم قدم الله ، وأيكم آخر ، وما أجد شيئاً هو أوسع من أن أقسم عليكم هذا المال بالحصص . فأدخل على كل ذى حق ما دخل عليه من عول الفريضة» . وأخرج الحاكم فى كتاب الفرائض عن ابن عباس . أنه قال : «أول من أعال الفرائض عمر . وأيم الله لو قدم من قدم الله وأخر من أخر الله ، ما عالت فريضة» (١٥) .

ولعلماء أهل البيت (عليهم السلام) رأيهم فى هذا الموضوع ، فإن الله هو الذى فرض هذه الفرائض حيث لا تتعارض ، ومحال عليه أن يفرضها مع التعارض ؛ لذلك فهم عرفوا المقدم عند الله فقدّموه ، وعرفوا المؤخر فأخّروه عن أئمتهم (عليهم السلام) ، وأهل البيت ادرى بالذى فيه .

المسألة الثالثة عشرة :

وتتعلق بالبداء والمتعة والبراءة والمسح على الخفين ، وقد قسمت إلى أربعة مباحث :

المبحث الاول : فى البداء .

وقد زعم النواصب أن الشيعة تقول إن الله عزوجل قد يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الامر بخلاف ما اعتقد ، وهذا افك منهم وبهتان ، وظلم لال محمد و عدوان . وحاصل ما تقوله الشيعة هنا أن الله عزوجل قد ينقص من الرزق وقد يزيد فيه وكذا الاجل والصحة والمرض والسعادة وسائر الاشياء ، كما يقتضيه قوله تعالى : (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (١٦) ، وما روى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما سُئل عن الآية : (يسأله مَنْ فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن) (١٧) ، قيل ما ذلك الشأن ؟ فقال : « من شأنه سبحانه وتعالى أن يغفر ذنباً ، ويفرج كرباً ، ويرفع قوماً ، ويضع آخرين » (١٨) .

هذا هو الذى تقول به الشيعة وتسميه بداءً ، وغير الشيعة يقولون به ايضاً ولكنهم لا يسمونه بداءً .

المبحث الثانى : فى متعة النساء .

ويقسم الكلام فيها إلى خمسة أمور :

الامر الاول : فى تحرير محل النزاع فيها ، وبين هنا محل النزاع بين الشيعة والسنة ، ثم ذكر شرائط زواج المتعة المتعلقة بالزوج والزوجة ، مستنداً إلى الايات الكريمة ، ثم بين الفرق بين الزواج الدائم والمتعة ، وختم هذا الامر بقوله : « هذه هى متعة النساء التى فهم الامامية من الكتاب والسنة دوام إباحتها ، واهل المذاهب الاربعة يعترفون بان الله تعالى شرعها فى دين الاسلام ، لكنهم يعتقدون نسخها وتحريمها » .

الامر الثانى : فى أصل مشروعية المتعة ، ويثبت هنا أن اصل المشروعية ثابت بإجماع المسلمين ، وبالكتاب الحكيم ، وبالسنة المقدسة ، ثم يذكر نصوصاً من الايات الكريمة والسنة الشريفة تثبت ذلك ، منها : (فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن) (١٩) ، وما أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الاكوع قالا : « خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : إن رسول الله أذن لكم أن تستمتعوا . يعنى متعة النساء » (٢٠) .

الامر الثالث : فى دوام حكمها ، حيث لم يثبت نسخها عن الله تعالى ولا عن رسوله (صلى الله عليه وآله) حتى انقطع الوحي ، بل ثبت عدم نسخها بحكم الاخبار المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة ، وكذلك ما فى صحاح أهل السنة من الاخبار .

الامر الرابع : فيما زعموا من نسخها ، تشبثوا باحاديث ضعيفة استقصاها المؤلف (رحمه الله) فى رسالته الموسومة بالنجعة فى احكام المتعة ، وهى احاديث ملفقة وضعها المتأخرون عن زمن الصحابة .

الامر الخامس : فى يسير من السنن الدالة على أن التحريم إنما كان تأولاً من الخليفة الثانى ، إن الاخبار فى هذا الامر كثيرة مما يضيق عنه وسع هذه الرسالة ، وقد ذكر عدة منها ، أحدها ما نقله متكلم الاشاعرة ، وحكيم أهل السنة الامام القوشجى فى أواخر مبحث الامامة من شرح التجريد من أن الخليفة الثانى قال وهو على المنبر : « أيها الناس ، ثلاث كن على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهن وأحرمهن واعاقب عليهن : متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحى على خير العمل » ، ثم اعتذر بأن هذا إنما كان منه عن تأول واجتهاد (٢١) .

المبحث الثالث : فى البراءة .

وقد أجمع المسلمون كافة على البراءة من أعداء الله ، وتصافقوا جميعاً على وجوبها ، وحض الكتاب والسنة عليها ، وأجمعت الامة على وجوب بغض فى الله ، كما أجمعت على وجوب الحب فى الله ولعل موسى جار الله ينكر على الشيعة البراءة من يزيد بن معاوية صاحب القروء والخمور والفجور ، وقاتل العترة الطاهرة ومبيح المدينة المنورة ، وينقم منهم بغض لكل من كان على شاكلة يزيد وآل أمية . ولا يسع الشيعة إلا البراءة من أعداء الله وأعداء رسوله واهل بيته صلوات الله عليهم ، إلا أن يخالفوا الله عز وجل فيما افترضه تعالى فى محكم فرقانه ، وصدع النبى فى قدسى سنته .

المبحث الرابع :

فى المسح على الخفين فى الوضوء عوضاً عن غسل الرجلين أو مسحهما فيه . وقد اختلف الأئمة فى ذلك ، فجازاه قوم ، ومنعه آخرون ، وتواتر القول بالمنع عن كل من أئمتنا الاثنى عشر (عليهم السلام) ، وتبعهم على ذلك شيعتهم الامامية بالاجماع قولاً واحداً لعدم وجود ما يدل على الجواز من الادلة المعتبرة شرعاً عندهم ، والاخبار الظاهرة بكفاية

المسح على الخفين غير ثابتة من طريقهم مطلقاً ، والاخبار المتواترة في المسح على القدمين عن سائر الائمة من العترة الطاهرة أكثر من أن تحصى . وقد ذكر المؤلف بعضها ، منها مارواه الحسين بن سعيد الهازى ، عن فضالة ، عن حماد بن عثمان ، عن غالب بن هذيل قال : « سألت أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن المسح على الرجلين ، فقال : هو الذى نزل به جبرئيل » (٢٢) .

أما المسح على النعلين ونحوهما ، فلا دليل عليه من طريقهم ، والاخبار التى يعتمد عليها غيرهم ليست بثابتة عندهم ، ولذا تراهم لا يمسحون على الخفين عوضاً عن الرجلين ، ولا على العمامة عوضاً عن الرأس ؛ لاصالة عدم الجواز .

المسألة الرابعة عشرة :

تتعلق يارث على (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله) . والاحاديث مستفيضة في كتب اهل السنة وكتب الشيعة بهذا الامر ، منها حديث بريدة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « لكل نبي وصي ووارث ، وإن وصي ووارثي على بن أبى طالب » (٢٣) .

وسئل قثم بن العباس : « كيف ورث على رسول الله دونكم ؟ فقال : لانه كان أولنا به لحوقاً ، وأشدنا به لزوقاً » (٢٤) .

وقال الحاكم فى مستدركه عن هذا الحديث : « حدثنى قاضى القضاة أبو الحسن الهاشمى ، قال : سمعت أبا عمر القاضى ، يقول : سمعت اسماعيل بن اسحاق القاضى وقد ذكر له قول قثم هذا ، فقال : إنما يرث الوارث بالنسب أو بالولاء ولا خلاف بين اهل العلم فى أن ابن العم لا يرث مع العم ، فقد ظهر بهذا الاجماع أن علياً ورث العلم من النبى دونهم » (٢٥) .

فليراجع السائل ليعرف خطأه ، إذ قال : « لم أر فى كتب الاحاديث حديث ارث على من رسول الله (صلى الله عليه وآله) غير كتب الشيعة » وحسبه حديث الدار يوم الانذار .

المسألة الخامسة عشرة :

حول الوحدة الاسلامية والطريق السليم إليها ، والابتعاد عن ايقاد نار الفتنة بين المسلمين بالافك والبهتان ، وذكر الطريق الوحيد لتوحيد كلمة الاسلام اليوم .

المسألة السادسة عشرة :

فيمن يدين بولاية الجور ، وفيمن يدين بولاية العدل .

المأثور عن ائمة اهل البيت (عليهم السلام) أن من دان بولاية إمام جائر ، فعقد قلبه على ولايته ، كان ممنّ عناهم الله تعالى بقوله سبحانه : (ومن يتولّهم منكم فأولئك هم الظالمون) (٢٦). أما من دان بولاية امام عادل فعقد قلبه على ذلك فهو ممن عناهم الله تعالى بقوله : (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (٢٧) .

المسألة السابعة عشرة :

وتتعلق بالنسب الذي جاء في الآية : (إنما النسب زيادة في الكفر) (٢٨) ، والمراد منه هنا تأخير الاشهر الحرم وغيرها من الاشهر القمرية عما رتبها الله سبحانه عليه ، واستعرض في جوابه عدة آراء توضيحاً للامر ، منها ما قاله الرازي : « إن العرب كانت تحرم الشهور الاربعة ، وكان ذلك شريعة ثابتة من زمن ابراهيم واسماعيل (عليهما السلام) ، وكانت العرب اصحاب حروب وغارات ، فشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متواليه لا يغزون فيها ، وقالوا : إن توالى ثلاثة أشهر حرم لا نصيب فيها شيئاً لنهلكن ، وكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر ، فيحرمونه ويستحلون المحرم ...» (٢٩) ، وهذا هو الوجه في اتخاذ الائمة (عليهم السلام) الشهور الرومية في حساب تلك السنين ، الذي تعجب منه صاحب المسألة جار الله .

المسألة الثامنة عشرة :

وتتعلق بحج النبي (صلى الله عليه وآله) ، وأنه قد حج بمكة مع قومه عشرين حجة كما روى عن الامامين الباقر والصادق (عليهما السلام) .

المسألة التاسعة عشرة :

تتعلق بموسم الحج في السنة التاسعة للهجرة ، وكان قد وقع في ذى القعدة في دور النسب . وليس هذا القول مختصاً بكتب الشيعة ، ومن يراجع كتب التفسير يعرف ذلك ، فكيف يوقع على امير المؤمنين وأبو بكر الحج في غير ذى الحجة ؟ والجواب أن هذا نظير استقبالهم بيت المقدس أولاً ، ثم نسخ باستقبال القبلة .

المسألة العشرون :

وتتعلق بحفظ القرآن العظيم وقراءته ، قال : «لم أر بين علماء الشيعة ولا بين أولاد الشيعة لا في العراق ولا في إيران من يحفظ القرآن ، ولا من يقيمه بعض الاقامة بلسانه ، ولا من يعرف وجوه القرآن اللغوية والادائية » ، وأجاب المؤلف - بعد أن استشهد باسماء لامعة من حفاظ القرآن ومقرئيه من العراق - «بأن حال شيعة العراق في حفظ القرآن وقراءته حال السنين فيها لا يقلون عنهم . أما شيعة إيران فحالهم كحال السنين من أهل البلاد الاعجمية » . وليت هذا السائل قام من ملحودته ليرى بأمر عينيه ما للقرآن الكريم من منزلة ومن هيبة لدى أبناء الشيعة وعلمائهم في إيران الاسلام اليوم ، فقد فاق اهتمامهم بحفظ القرآن وتلاوته التصورات ، ناهيك عن العمل به وتطبيق احكامه وترويج معانيه . حتى بلغ هذا عنهم الخافقين ، وشهد لهم به العدو قبل الصديق والقاصي قبل الداني . ولو أراد السائل أن يستقصى حفاظ القرآن في زمانه لما تسنى له ، بل لما خطر في باله أنه سيعثر على طفل لم يتجاوز الخامسة ولا يجيد القراءة والكتابة وقد حفظ كل القرآن عن ظهر قلب ، وفهم معانيه فهماً واعياً ، وهو بين ظهرانينا قد تربى في احضان مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) التي هي بحق مدرسة القرآن (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون * وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سُبُلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) (٣٠) .

(١) بمحمد الاول يلتقى نسبه من طرف ابويه ، فإن أمه زهراء بنت الهادي بن محمد على بن صالح بن محمد هذا ...

الخ .

(٢) الفصول المهمة في تأليف الامة : ٤ ، الطبعة الثانية .

(٣) إلى المجمع العلمي العربي بدمشق : ١٩ - ٢٠ .

(٤) نقباء البشر في القرن الرابع عشر ، القسم الثالث من الجزء الاول : ١٠٨٥ . الطبعة الثانية .

(٥) الحجرات : ١٠ .

(٦) مسند الامام احمد: ٣٩٨، ح: ٨٩٢٢ ومجمع الزوائد ٥ : ٣٣٠ .

(٧) صحيح البخارى: ٧: ٢٠٩، آخر باب الحوض.

(٨) التوبة : ١٠٧.

(٩) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ : ٣٣٥.

(١٠) كشف الغطاء للامام الشيخ جعفر كاشف الغطاء : ٢٩٨ - ٢٩٩، ط . ايران.

(١١) الاصول من الكافي ٢: ٢٦، ح ٥، ط . ايران .

(١٢) تاريخ بغداد ١٣: ٤١٥، ط . دار الكتب العلمية بيروت .

(١٣) تاريخ بغداد ١٣: ٤٣٣.

(١٤) سمي هذا القسم عولاً إما من الميل ، ومنه قوله تعالى : (ذلك أدنى ألا تعولوا) ، وسميت الفريضة عائلة على

أهلها بميلها بالجور عليهم بنقصان سهامهم ، أو من عال الرجل إذا كثر عياله لكثرة السهام فيها .

(۱۵) المستدرک للحاکم ۴:۳۴۰.

(۱۶) الرعد : ۳۹ .

(۱۷) الرحمن : ۲۹ .

(۱۸) التفسیر الکبیر للفخر الرازی ۲۹ : ۱۰۸.

(۱۹) النساء : ۲۴ .

(۲۰) صحیح مسلم بشرح النووی ۹ : ۱۸۲، ط. دار الکتاب - بیروت .

(۲۱) شرح تجرید العقائد لعلاء الدین علی بن محمد القوشجی : ۳۷۴ ط . ایران .

(۲۲) مجمع البیان ۲ : ۲۰۷.

(۲۳) میزان الاعتدال ۲:۲۷۳.

(۲۴) المستدرک للحاکم ۳ : ۱۲۵. قال: «هذا حديث صحيح الاسناد» واورده الذهبی فی تلخیصہ جازماً بصحته.

(۲۵) المستدرک للحاکم ۳:۱۲۹، وکذا کتاب المراجعات للمؤلف (قدس سره).

(٢٦) التوبة : ٢٣ .

(٢٧) المائدة : ٥٦ ، وراجع الكافي ١ : ٣٧٥ ، ح ٣ .

(٢٨) التوبة : ٣٧ .

(٢٩) التفسير الكبير ٥٥: ١٦ - ٥٧ ، ط . دار احياء التراث العربى .

(٣٠) ابراهيم : ١١ - ١٢ .

دراسات

منعطفات مهمة في التاريخ الاسلامي

* الشيخ محمد واعظ زادة الخراساني

ترجمة : عباس الاسدي

حدثت في تاريخ الاسلام منعطفات وتحولات كثيرة ، تركت بصماتها على مصير الاسلام والمسلمين سلباً أو ايجاباً ، حيث تراجع وضع الامة ، وساءت سمعة الدين حينما ادى الحدث إلى الابتعاد عن مفاهيم الاسلام وحقائقه ، فيما تطور وضعها وتحسنت صورة الدين لما كان التحول سبباً للاقتراب من الدين ، وتبين مفاهيمه الصحيحة . ولا ننشد هنا اعطاء تقييم متكامل لكل حادث وتحول طرأ في التاريخ الاسلامي ، وما تركه من تأثيرات سلبية أو ايجابية ، فذلك الجهد يتطلب تأليف كتاب أو عدة كتب لكي نوفى كل تلك التطورات حقها ، ونوضح مدى تأثيرها ؛ ونكتفى هنا بسرد فهرست لها مع الاشارة إلى بعض آثارها :

المنعطف الاول : هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) من مكة إلى المدينة ، وقد أدت إلى خروج الاسلام من العزلة التي كان يعاني منها ، ودخوله المعترك السياسي العالمي ، ولهذا أصبح هذا التاريخ بإشارة من الامام على (عليه السلام) بداية للتاريخ الاسلامي ؛ وتعتبر المرحلة التي تلت الهجرة ، مرحلة حاكمية الاسلام ، وتشريع القوانين الاجتماعية والسياسية والجزء الاكبر من الاحكام العبادية ، وتُلاحظ آثار هذا التحول بوضوح في الايات القرآنية في سورها المكية والمدنية ، وفي القوانين الاسلامية ، وتُلاحظ أيضاً لدى دراسة مسألة الناسخ والمنسوخ احياناً ، وكذلك تاريخ الفقه في مرحلته الاولى (مرحلة التشريع) .

المنعطف الثاني : وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في السنة الحادية عشرة للهجرة ، واستقرار نظام الخلافة وما افرزه من نتائج ، من قبيل ارتداد الكثير من القبائل العربية ، وحروب المسلمين مع أهل الردة في جزيرة العرب ، وانطلاق المسلمين نحو الفتوحات خارج الجزيرة ، وخاصة في الشام وفارس .

وينظر الشيعة سلباً إلى نظام الخلافة ؛ لانه عدول عن نظام الامامة وخروج على النص الرباني والنبوي ، إلا أن أهل السنة يقدسون تلك المرحلة ؛ لان نظام الخلافة واجه بصورة قاطعة حركة الارتداد ، واستطاع أن يحقق الفتوحات شرقاً وغرباً ، متصورين أن الخلافة ناشئة عن شورى أهل الحل والعقد . ويعتقد الشيعة بأن نظام الامامة لو قُدِّر له الاستقرار بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ، لانتضحت الحقائق والمعارف والاحكام الاسلامية والمفاهيم القرآنية ، ولما ترسبت تراكمات الخلافات الفقهية والسياسية ، ولتغيرت صورة العالم بأسره ، وهذا الموضوع يتطلب بحثاً وافياً لسنا بصدد الان .

المنعطف الثالث : الثورة على الخليفة الثالث واستقرار الخلافة لعل (عليه السلام) ؛ ورغم أن الامام من المنظار التاريخي وافق على الخلافة بعد الحاح الناس وبيعتهم ، وليس وفق معيار النص واساس نظام الامامة ، يعتقد الشيعة بأن هذا المنعطف أذى إلى رجوع الاممة من الباطل إلى الحق ، ووجد الاسلام مساره الحقيقي مرة أخرى بعد سنوات من رحيل النبي (صلى الله عليه وآله) ؛ وهذا الموضوع يتطلب ايضاً معالجة واسعة غير معنيين بها ضمن هذا الموضوع .

ومهما يكن فإن علياً (عليه السلام) إذا كان الخليفة الرابع بنظر جمهور المسلمين ، وكانت خلافته امتداداً لنظام الخلافة تاريخياً ، وقد تسلمها بهذا المعيار لا وفق معيار النص ونظام الامامة ، فإن خاصته من الشيعة كانوا - قبل خلافته وفيها - يعتبرونه اماماً . ولا بد أن نقول هنا : إن خلافة علي (عليه السلام) أرضت كلتا الفئتين الاكثريه والاقليه ، رغم اختلاف النظرتين اللتين انطلق منهما تجاه هذه الخلافة . وكان من المفترض أن يعيش المسلمون حياة وديعة طيبة في فترة

خلافة الامام على (عليه السلام) ، ولكن حصل العكس ، ووقعت حروب الجمل وصفين والنهروان ، بلحاظ كيفية استلامه للخلافة بعد مقتل الخليفة الثالث والتمرد المرير الذي قاده الناكثون والقاسطون والمارقون ، ولم يتسنّ لعلي (عليه السلام) أن يحقق الاهداف التي كان يتوخاها ، حتى لقي ربه شهيداً بعد أن ضرب بالسيف على رأسه في محراب العبادة ، ودخلت الامة بعد شهادته مرحلة مظلمة مريرة امتدت نحو قرن من الزمان ، حكم فيها الامويون من السفليانيين والمروانيين .

المنعطف الرابع : وفيه بدأت خلافة بنى أمية التي عانى منها ما عانى معظم المسلمين ، وليس شيعه على وخواصه فحسب .

ورغم أن رقعة الفتوحات اتسعت في هذه الفترة ، التي اتخذت طابع الاستبداد السياسى والطائفى ، وانتشر نطاقها إلى الغرب حتى الاندلس ، مما دفع البعض من المؤرخين إلى تقييم هذه المرحلة ايجابياً ، وهو تقييم يتطلب التأمل والتحليل ، كان الذى حكم خلالها ظاهر الاسلام وليس جوهره وروحه . على أية حال ، فقد مضت هذه الفترة ايضاً بكل سلباتها الكثيرة وايجابياتها القليلة واحداثها المريرة بعد انقراض الخلافة الاموية ، ومجيء الخلافة العباسية .

المنعطف الخامس : استقرت خلافة بنى العباس على أساس التظاهر بمحبة أهل البيت (عليهم السلام) ، بل رفعت شعار الرضا من آل محمد . واصبحت هذه المرحلة بكل تبعاتها السلبية والايجابية مبدأً لتحول ثقافى كبير فى العالم الاسلامى ، ومهدت لتأسيس وتطور العلوم الاسلاميه ، والتعرف على الثقافات والعلوم اليونانية والفارسيه والهنديه والمصريه وغيرها من الشعوب والامم . وادت من بعد إلى ظهور عمليه التأليف والتصنيف فى العالم الاسلامى . واستمرت هذه الحركة الثقافيه فى نموها المطرد نحو ثلاثة قرون ، ثم تضاءلت تدريجياً واخذت تراوح فى مكانها ، حتى قضى عليها بالغزو المغولى فى القرن السابع .

الخلافة العباسية التي ادت إلى التطور العلمى ، واصبحت بموضع رضا وقبول لدى جمهور المسلمين وأهل السنة ، كانت أيضاً - خلافاً لرغبات الجهاز الحاكم - مصدر خير لاتباع آل البيت ؛ ومن المعلوم أن روايات وافكار اهل البيت(عليهم السلام) نضجت ، واتخذت فى المحيط العلمى طابعاً رسمياً فى فترة الامامين الباقر والصادق(عليهما السلام) (النصف الاول من القرن الثانى) ، بحيث أصبحت تنافس المذاهب الاخرى فى القرنين الثالث والرابع .

من النقاط المظلمة التى تُعد وصمات عار فى التاريخ العباسى ، قيام الخلفاء بقتل الائمة المعصومين من ذرية رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، وانصرافهم إلى الخلاعة والمجون واللهون والفساد .

المنعطف السادس : حدث فى اوائل الخلافة العباسية تطوران فى اتجاهين متضادين غرب العالم الاسلامى ، الاول : قيام الامارة الاموية فى الاندلس بعد أن انهزم إليها عبد الرحمن الداخل ، وهو أحد رجال بنى أمية ، من قبضة المنصور الدوانيقى ، وأسس هناك حكومة مستقلة عن الخلافة العباسية ، ساهمت فى ازدهار العلم والثقافة والحضارة الاسلامية ، واستمرت آثار ذلك حتى القرن الخامس ، وانقراض فترة الامارة أو الخلافة الاموية فى الاندلس ، بل حتى القرن الهجرى التاسع وانقراض الحكم الاسلامى وغروب الاسلام فى الاندلس ، وللاستزادة يمكن مراجعة الكتب التى عالجت تلك الفترة الزمنية والبقعة الجغرافية ، ومنها الكتاب القيم «الدولة الاسلامية فى الاندلس» لمحمد عبد الله عنان . ولقد أصبح هذا الحدث الغريب جسراً بين الاسلام وأوروبا ، وواسطة لتعرف اوربا على الثقافة الاسلامية .

على أية حال ، فقد كان ينطلق هذا التحول السياسى والثقافى العظيم من اتجاه اموى سنى ، وفى المقابل - وهو الاتجاه الثانى - حصل تحول آخر فى المغرب انطلاقاً من موالاة آل البيت(عليهم السلام) ومودتهم ، حينما اسس ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب(عليهم السلام) النهضة العلوية ، واقام دولة الادارسة فى المغرب . ورغم أنهم اعتمدوا الفكر الفقهى السنى وفق المذهب المالكى ، أحبوا أهل البيت حباً كبيراً استمر إلى يومنا الحاضر ،

حيث تلاحظ هذه الاحاسيس فى المغرب تجاه أهل البيت (عليهم السلام) بوضوح . وادت هذه العواطف إلى صعود معظم السلالات التى حكمت المغرب بعد الادارسة من العلويين ، ومن بنى الحسن ، منذ نحو اربعمئة عام ، ثم ظهرت بعد تلك الفترة بقليل فى شرق واواسط إفريقيا سلالات الخوارج ، بمختلف اتجاهاتها المتطرفة والمعتدلة (فى ليبيا والجزائر) ، ومنهم آل رستم الذين حكموا فى إفريقيا مدة من الزمن ، واوجدوا فيها تحولاً مشهوداً .

استمرت المنافسات والمناوشات بين الاتجاهين الحاكمين فى الاندلس والمغرب عدة قرون ، وأيضاً بين حكام المغرب وبين الخوارج الذين حكموا فى اجزاء اخرى من إفريقيا ، ولا زالت بقاياهم تعيش فى الجزائر وتونس وليبيا ، كما تحكم بقايا الخوارج فى عُمان باسم الاباضية ، ولكن دور الخوارج بشكل عام تلاشى فى القرون التى تلت القرن الاول ، ولم يبق منهم إلا الاباضية وهى الطائفة الاكثر اعتدالاً من بقية طوائف الخوارج .

وتلمس هذه التناقضات السياسية والفكرية والثقافية بين المسلمين فى إفريقيا إلى يومنا هذا ، وخاصة فى المغرب حيث توجد حركة الموحدين ، وهى حركة شيعية الطابع سلفية الاتجاه ، وبصماتها واضحة على الحركة الدينية فى هذا البلد .

المنعطف السابع : وفيه اخذت ثقافة أهل البيت (عليهم السلام) بالانتشار والتوسع ، حينما استقرت فى شرق العالم الاسلامى وغربه قوتان سياسيتان تنطلقان من ثقافة شيعية ، فى اوائل القرن الرابع وصل «آل بويه» إلى السلطة فى ايران ، وفى بغداد مركز الخلافة الاسلامية ، واستمرت سلطتهم إلى منتصف القرن الخامس ، فيما بدأت خلافة الفاطميين وسط الشمال الافريقى (تونس حالياً) ، واستقرت فى مصر ودامت حتى القرن السادس .

وقد استفاد الشيعة الاثنا عشرية من سلطة آل بويه ، وازدهرت الحوزات العلمية الشيعية فى كل مكان ، وخاصة فى مركز الخلافة بغداد ، وانتشرت فيها علوم المذهب الشيعى .

أما سلطة الفاطميين في غرب العالم الاسلامي ، فقد قامت على أساس الفكر الباطني الاسماعيلي ، رغم أنه لم يتسع ويتطور حتى ضمن نطاق السلطة الفاطمية ، فيما تعمقت المودة تجاه أهل البيت في غرب العالم الاسلامي ، وامتدت هذه الحالة نحو الشرق حيث لا تزال تشهد آثار ذلك في مصر حتى يومنا هذا .

استمرت التطورات التي جاءت من الحركة الاسماعيلية في شرق العالم الاسلامي ، إلى هجمات المغول وسقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، حتى تلاشت تدريجياً ، واصبحت الحركة تتمثل حالياً في اقلية مشتتة في الهند وإفريقيا وإيران واليمن ضمن فرق عديدة ، وبخاصة فرقتي البهرة والاعاخانية ، دون أن يكون لها أي دور سياسي وثقافي بارز ، بخلاف الشيعة الامامية الذين أدوا دوراً مهماً في التاريخ بعد آل بويه حتى عصرنا الحاضر ، حيث سنأتي على آثارهم بعد التطورات التي جرت عقب الهجوم المغولي .

الفارق الواضح بين الاسماعيلية والشيعة ، هو أن الحركة الشيعة ساعدت على نشر العلوم الاسلامية بمختلف شعبها ، من فقه وتفسير وحديث ورجال وغير ذلك ، وانتشر فكر هذا المذهب في شرق العالم وغربه ، وتسلم السلطة في إيران حتى يومنا هذا ، في حين استخدمت الفرقة الاسماعيلية منذ ظهورها اسلوب العنف والاعتقالات ، بينما تمسكت الطائفة الامامية في نشر دعوتها باسلوب العلم والمنطق ، ولعل هذا الاسلوب هو سر بقائها ورمز تطورها على مر الدهر ، رغم أنها حافظت ايضاً على نهجها الجهادي ضد حكومات الجور ، ولم تستسلم يوماً للظلم أو تساومه .

المنعطف الثامن : يؤرخ للانحطاط في تاريخ الاسلام والمسلمين سياسياً وفكرياً ، منذ الغزو المغولي سنة ٦١٦ هـ ، وبعد سقوط بغداد وانقراض الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ ، وقد قيل الكثير عن التبعات الكثيرة التي خلفها هذا الغزو سلبياً ، أو ايجابياً وإن ندر ، ولكن الموضوع يستوعب المزيد .

بشكل عام ، انتهت على يد المغول السلطة السياسية للإسلام بصورة كاملة ، كما قُضى على حجم كبير من الآثار العلمية والمنجزات الثقافية الباهرة التي حققها المسلمون في العصور السابقة ، ولحق الدمار بالشخصية الإسلامية ، وبالأخلاق والآداب والسنن التي وجدت في عصر صدر الإسلام ، واستمرت حتى ذلك الحين ، وكذلك تضرر كثيراً تراث المسلمين الذي شيدته الشعوب الإسلامية بمختلف قومياتها على مدى القرون التي سبقت الغزو ، ويعتقد بعض كبار المؤرخين أن عصر الانهزام النفسي والانحطاط المعنوي والروحي للمسلمين ، الذي تلاحظ آثاره باقية حتى يومنا هذا ، بدأ منذ الغزو المغولي .

وسياسياً ، تفككت معايير وحدة الأمة التي كانت متمثلة في الخليفة ، رغم أن بعض الأقاليم الإسلامية شرقاً وغرباً لم تكن تابعة له ، حتى حينما كانت الخلافة قائمة ، وظهرت بعد سقوطها سلطات متفرقة متصارعة في أفكارها واتجاهاتها ، منها السني ومنها الشيعي ، ثم سرعان ما أفلت تلك الحكومات ، حيث تمثلت في الشرق بسلاطين الفرس والأتراك ، بينما حكم العنصر العربي في غرب العالم الإسلامي مع غلبة الفكر السني عليه .

المنعطف التاسع : استمر هذا الوضع أكثر من قرنين من الزمان ، حتى ظهر تدريجياً ظهوراً إعجازياً نظامان مقتدران في الشرق والشمال ، أحدهما ينطلق من ركائز شيعية والآخر سني الاتجاه ، ثم التحق بهما نظام في أقصى الشرق الإسلامي يومذاك في شبه القارة الهندية .

الأول : ظهور نظام السلطنة (ومن ثم الخلافة) في آسيا الوسطى (تركيا الحالية) بواسطة «آل عثمان» ، بعد نحو قرن واحد من انقراض الخلافة العباسية ، وقد اتخذ هذا النظام لقب الخلافة الإسلامية رسمياً ، بعد أن سيطر السلطان سليم (٩٢٣ هـ) على سوريا ومصر والسعودية ، وامتدت الرقعة الجغرافية للخلافة التي حلت محل خلافة بغداد حتى أوروبا وإفريقيا ، وبسطت سلطتها السياسية والثقافية تدريجياً على كل هذه المناطق . وتألق نجم الخلافة العثمانية في العالم

الاسلامى إلى عدة قرون ، استمرت إلى ما بعد الحرب العالميه الاولى فى الثلث الاول من القرن الرابع عشر الهجرى ، إذ تفككت هذه الخلافة على يد الاوربيين - ولا سيما بخُذع الانكليز - إلى عشرين بلداً عربياً ودولة تركيه واحده .

وكان هذا النظام الاسلامى السنى قوياً سياسياً ، أما على المستوى الثقافى فلم يكن بالمستوى المطلوب ، بيد أنه استطاع أن يلعب دوراً رئيسياً فى تطور الفكر السلامى السنى ، وحمايه الاسلام عدة قرون .

الثانى : ظهور النظام الملكى الصفوى فى ايران فى نهايه القرن الهجرى التاسع ، وبدايه القرن العاشر ، منطلقاً من الفكر الشيعى الاثنى عشرى ، وفى مقابل الاتجاه السنى الذى تمثل فى الخلافة العثمانية ، حيث وقعت نتيجة هذا التقابل صدامات عديده بين الجانبين . وقد ادعى الصفويون أنهم ينتسبون إلى أهل بيت النبى (صلى الله عليه وآله) (وهو ادعاء تناوله المؤرخون فيما بعد بالتدقيق والتمحيص ، فمنهم من ايدوه ومنهم من انكروه) ، واخذوا على عاتقهم حمايه المذهب الشيعى الامامى .

اتسع هذا النظام سياسياً جنباً إلى جنب مع الخلافة العثمانية ، وبسط نفوذه على الجزء الاكبر من الشرق الاسلامى إلى بلاد ماوراء النهر وآسيا الوسطى حتى الحدود الهندية .

وفكرياً وسّعت السلطة الصفويه الثقافه والفكر الشيعى ، بحيث لم تشهد علوم الشيعة الاماميه انتشاراً إلى هذا الحد منذ العهد الذهبى لال بويه ، فقد تطورت علوم الفقه والاصول والحديث والروايه والرجال والكلام والفلسفه والعرفان على اساس الفكر الشيعى الاثنى عشرى .

ورغم أن السلطة الصفوية انتهت بعد نحو قرنين من الزمان على يد الاوزبك ، باحتلالهم العاصمة اصفهان ، كانت الانظمة التي تلتها هي الاخرى شيعية ، ومنها السلسلة القاجارية التي ظهرت في بداية القرن الهجرى الثالث عشر ، وانقرضت على يد رضا خان البهلوى فى النصف الاول من القرن الرابع عشر .

وتعتبر السلطة القاجارية اضعف من السلسلة الصفوية سياسياً وفكرياً ، وقد فرطت بأجزاء مهمة من شمال البلاد وشرقها .

أما النظام الثالث الذى ولد بعد سنوات من استقرار نظام الخلافة العثمانية والسلسلة الصفوية ، فتمثل بالسلطة التيمورية من اسرة «امير تيمور» التى استولت على شبه القارة الهندية ، واستندت على الفكر السنى مع بعض الميول الشيعية احياناً ، وكانت تعاني من حالة التذبذب السياسى ؛ أما ثقافياً فلم تؤدّ دوراً ذا أهمية .

انتهت هذه السلسلة فى اواخر القرن الهجرى الثالث عشر (١٢٧٥هـ) على يد الانكليز ، الذين سيطروا تماماً على شبه القارة دون منازع حتى النصف الثانى من القرن الهجرى الرابع عشر ، إذ تحرك الهنود ضد الاستعمار وخلصوا بلادهم منه ؛ ولكن جرى تقسيم هذه البلاد الواسعة إلى دولة اسلامية ودولة هندية ، حيث انقسمت الاولى من ثم إلى باكستان وبنغلاديش ، واستمر الوضع على هذه الحال إلى يومنا هذا . ويعيش المسلمون فى شبه القارة الهندية حالياً فى وضع لا يُحسدون عليه ، فهم فى الباكستان وبنغلاديش يلف مصيرهم الغموض ، وفى الهند يعانون من وضع يؤسف له .

وبنشوء بعض الفرق التى اثارت فتناً بين الشيعة والسنة ، والسنة والسلفية ، كفرقة جيش الصحابة الوهابية ، بات مصير المسلمين فى شبه القارة الهندية اكثر غموضاً مما سبق ، سيما إذا علمنا أن مستواهم الثقافى ضعيف ، وأن القدرة السياسية تمسك بها العناصر العلمانية التى تقمع أى طموح لاقامة النظام الاسلامى ، الذى كان هو الهدف الذى قُصّل

بسببه المسلمون عن الهند ، والذي دعا إليه مؤسسو باكستان الكبرى . وفي هذه الفترة كان الكثير من المناطق الاسلاميه
فى إفريقيا وآسيا يُعانى من الاستعمار الاوربى .

المنعطف العاشر : يعتبر مؤرخون ثورة الدستور (المشروطه) فى ايران وفى تركيا العثمانية بدايةً لمنعطف تاريخى ،
رغم أن الآثار السياسيه والثقافيه التى نجمت عنهما كانت ضعيفه .

فقد اختمرت هذه الفكره (فكره المشروطه) لدى الجانبين ، مع اختلاف زمنى امده عقد أو عقدان بتأثير من اوربا
وبصاعق اسلامى ، وكانت النتيجة أن استقر نظام المشروطه فى ايران سنه (١٣٢٤ هـ) وفى الدوله العثمانية قبل هذا
التاريخ بقليل ، وقد استولى دعاة الفكر الغربى والنظام العلمانى على مقادير الامور ؛ لان أصل الفكره أتى من الاجانب
، ونُحى علماء الدين الذين ناصروا هذه الفكره بشده ، كخطوة نحو تحقيق الحكومه الاسلاميه العادله ، وأبعدوا عن
الميدان السياسى ولا سيما بعد صعود رضا خان بمساعدة الانكليز . ورغم أن هذه المرحله كانت فى البدء بادره نحو
الاعتناق والحرية ، إلا أنها انتهت إلى النظام الاستبدادى الذى يجب أن يُبحث أيضاً باعتباره منعطفاً فى التاريخ
الاسلامى .

المنعطف الحادى عشر : استقرار الاستعمار الانكليزى والفرنسى فى الهند والدول العربيه وإفريقيا ، وهيمنه النظام
الاستبدادى فى ايران وتركيا على صورتين : ففى تركيا نشأ نظام اتاتورك الاستبدادى بتطرف شديد نحو العلمانيه ،
وازاحه الدين تماماً عن الميدان السياسى ، وقمع كل الحركات الاسلاميه ، ومنع مظاهر الدين وإغلاق المدارس العلميه
الاسلاميه ، ونشر الثقافه الاوربيه بكل مظاهرها فى اطار من القوميه التركيه .

استمر هذا الوضع فى الهيكل الحكومى التركى إلى يومنا ، ولكن لم يستطع اتاتورك أن يقضى على الاسلام ، فالشعب التركى لازال مسلماً متمسكاً بتقاليده الاسلاميه فى قناع اوربى ، كما أن الفكر الاسلامى السياسى آخذ بالاتساع ، ومن المتوقع أن يسيطر انصار قيام النظام الاسلامى على مقاليد الامور السياسيه عاجلاً أم آجلاً .

وفى ايران انطلق نظام رضا خان الاستبدادى فى محاربة الاسلام وثقافته ومظاهره بكل ما اوتى من قوة ، ولكن قوة النظام آلت إلى الضعف بعد أن فرّ رضا خان فى اعقاب الحرب العالميه الثانيه . ولم يتمكن بعده ابنه محمد رضا سنوات طويله من السيطرة على تحرك علماء الدين والاسلاميين بشكل عام ، حتى فرّ هو الآخر من ايران وانقرضت هذه السلسله التى استمر حكمها خمسين عاماً ، واستقر النظام الاسلامى فى ايران ، الذى ستقارن فيما يلى من البحث بينه وبين الانظمه السابقه التى حكمت البلدان الاسلاميه .

المنعطف الثانى عشر : استقرار نظام الجمهوريه الاسلاميه فى ايران ، الذى يبدو فى الظاهر أنه منعطف يخص ايران دون غيرها ، لكن الحق - والحق يقال - أن هذه الثوره هى ثوره اسلاميه شامله لا تتحدد بالحدود الجغرافيه لايران ، وإنما لها امتدادات واسعه سعه العالم الاسلامى ، وهو ما سنوضحه فى الفقرات التاليه :

١ عوامل قيام الثوره الاسلاميه :

١ - ظهر الفكر السياسى الاسلامى ، أو فكره استقرار النظام الاسلامى الشامل والحكومه الاسلاميه المستقله مع ظهور الاسلام ، ونفذت تلك الفكره على ارض الواقع مع هجره النبى (صلى الله عليه وآله) إلى المدينه ، واستمرت - كما مر بنا - إلى القرن الرابع عشر فى العالم الاسلامى بصوره وأخرى ، وتحت مسميات مختلفه ، ومثلت السلطه العثمانيه آخر قاعده حكوميه حملت اسم الاسلام ، وبانقراضها انتهت عملياً الحكومات الاسلاميه سوى سلطه آل سعود فى الحجاز ، التى تتظاهر بالدين وتدعى التزامها بالشريعه .

٢ - نشأت جذور الاختلاف بين الفرق الاسلامية ، ومنها السنة والشيعة والخوارج وغيرها من الطوائف ، من اختلاف الرؤى حول الحكم ، حيث ترى كل فرقة نوعاً خاصاً من الحكم .

٣ - التطورات التي حصلت سابقاً ، والمنعطفات التي ذكرناها قبل منعطف الثورة الاسلامية ، نجمت عن نمط واحد مع الفكر السياسى ونظام الحكم .

وهذا لا يعنى أن كل الخلافات المذهبية ناجمة عن السياسة ، وإنما جاءت الخلافات السياسية والرؤى المتباينة حول نظام الحكم سبباً رئيسياً لظهور الفرق المختلفة ، التي راحت تقدم بعد ظهورها اطروحاتها وافكارها فى الفقه والكلام ، ومن ثم كانت هذه الاختلافات امراً طبيعياً لم تأت كلها من اختلاف الرؤى حول الحكم .

٤ - لم يفصل الاسلام يوماً عن الفكر السياسى الدينى ونظام الحكم ، وأما فصل الدين عن السياسة ، وظهور الانظمة العلمانية فى معظم البلدان الاسلامية ، فهي ظاهرة معاصرة تبناها انصار الغرب ووقفوا وراءها بكل قوة ؛ وإلا فإن المسلمين كانوا يتطلعون على المستوى الفكرى إلى الحكم الاسلامى ؛ باعتباره جزءاً من الهوية الاسلامية لكل مسلم ، حتى فى اوائل الغزو المغولى ، وكانوا يأسفون لانقراض دولة الخلافة على يد المغول ؛ كما كانت الانظمة المهيمنة على البلدان الاسلامية ، التي لا تمت إلى الدين بصله ، ترفع شعار الاسلام ، وتحتمى بالمصطلحات الاسلامية من أجل خطب ود شعوبها ، وهذا يكشف عن رسوخ فكرة الحكم الاسلامى وارتكازها فى اذهان عامة المسلمين .

٥ - إن الثورات المتعددة التي قادها أشخاص ادعوا المهدية ، واستجابة المجتمعات الاسلامية لهذه الدعوات ، تبين أن المسلمين يراودهم الامل فى مجيء الحكومة الاسلامية الصالحة ، فهم يلبون مثل تلك الدعوات متصورين أنها ستحقق امانهم فى هذا المضمار .

والمُدَّعون للمهديَّة بدورهم كانوا من ابناء السنَّة ، الذين زعموا انتسابهم لاهل البيت (عليهم السلام) ، من أجل أن تنسجم دعواتهم مع تطلعات وآمال المسلمين ؛ طمعاً في كسب المزيد من الانصار ، وهو ما كان يحصل فعلاً .

إن دراسة هذه الثورات التي وقعت في العالم الاسلامي ، ولا سيما في القارة الافريقية ، تكشف عن هذه الحقيقة بلا أن تترك مجالاً للبس والغموض .

٦- في خضم التاريخ الاسلامي طوت فكرة الحكم الاسلامي طريقها ، وواجهت مختلف الظروف حتى وصلت إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة ، حيث برزت عدة عوامل مهدت للثورات الجديدة ، ودفعت لقيام مصلحين كبار للدعوة إلى الاسلام :

العامل الاول : الاستعمار

من تلك العوامل سيطرة الغرب سياسياً وعسكرياً وثقافياً على العالم الاسلامي ، مما اشرنا إليه في المنعطف الحادي عشر . فقد بسط الاستعمار الاوربي نفوذه على اندونيسيا وبلدان الشرق الاسلامي منذ نحو ثلاثة أو اربعة قرون ، وعلى شبه القارة الهندية وإفريقيا منذ حوالي قرنين ، وعلى آسيا الوسطى منذ نحو قرن حيث استعمرها الروس . ولم يدخر المستعمرون جهداً إلا واطلقوه في سبيل التأثير على المسلمين ، الذين سكنوا المناطق التي خضعت لنفوذهم ، وقد ثبت الاستعمار دعائمه من خلال الدعوة إلى التنصير التي انتشرت في شرق العالم الاسلامي وغربه ، ولمن أراد الاطلاع على هذه الدعوة المشبوهة يمكن مراجعة كتاب (التبشير والاستعمار) ؛ كما دّس المستعمرون المساجد والمعابد والمدارس العلمية ، وتجاوزوا على الاوقاف الاسلامية ، واعتدوا على علماء المسلمين ، بل دخل الاستعمار الروسي في آسيا الوسطى منذ نحو سبعين عاماً ، حرباً ضارية مع العقائد الدينية الاسلامية وغير الاسلامية ، ورَبَّى في حجره عدة اجيال

من المسلمين فى اجواء إلحادية ؛ أما فى الصين فقد عانى المسلمون هناك من جور حكامهم منذ أكثر من أربعة قرون

وإذا عُدنا إلى المنطقة ، وألقينا نظرة على بعض بلدانها كإيران والدولة العثمانية وغيرها ، فإن روسيا وبريطانيا وفرنسا واميركا أخيراً كانت تتدخل فى شؤونها ، وترسم لها مصيرها رغم ظاهرها الاستقلالى .

بدأت تطفو التأثيرات المشؤومة للاستعمار المباشر وغير المباشر لهذه البلدان على السطح تدريجياً ، واخذت تتغلغل إلى ثقافتها وتقاليدها وفكرها . هذا من جهة ومن جهة أخرى امتدت اليد الاستعمارية نحو ثروات هذه الشعوب لنهبها ، وتجعل منها شعباً مغلوباً على أمرها ، تعاني من التبعية بأشكالها السياسية والاقتصادية والثقافية .

هذا العامل وما خلفه من تبعات سيئة ، حث المسلمين الغيارى على التحرك للخلاص من شر الاستعمار البغيض ، ويمكن فى هذا المقام سرد أسماء مئات العلماء والسياسيين والزعماء المسلمين ، الذين قاوموا الاستعمار فى القرن الأخير بكل ضراوة ، ونال الكثير منهم درجة الشهادة الرفيعة .

ولم يذكر التاريخ إلا عدداً محدوداً من هؤلاء القادة ، منهم الامير عبد القادر الجزائري ، وآية الله الميرزا محمد حسن الشيرازى ، والسيد جمال الدين الاسد آبادى ، وآية الله السيد ابو القاسم الكاشانى ، والشيخ محمد عبده ، وعبد الحميد بن باديس ، والشيخ حسن البنا ، وسيد قطب ، وآخرون ، إلا أننا سنواجه اسماء العشرات من هؤلاء القادة الذين تحركوا ضد الاستعمار ، لو أردنا دراسة تاريخ كل بلد من هذه البلدان التى حكمها الاستعمار . ويمكن الاطلاع على ذلك من خلال مراجعة بعض الكتب التى تناولت هذه الظاهرة بالتفصيل ، ومنها كتاب الحركات الاسلامية خلال القرن الأخير للشهيد مرتضى المطهرى ، وكتاب حاضر العالم الاسلامى .

إننى اعتقد أن هذه الثورات والانتفاضات وظهور هؤلاء القادة ، جاءت نتيجة للسيطرة الاستعمارية على المسلمين ،
وتعبيراً عن ردود الفعل تجاه هذا الغزو .

العامل الثانى : العلوم الجديدة

العامل الاخر لهذه الثورات وظهور المصلحين ناجم عن العامل الاول ، رغم أنه لا يدخل فى اطار المؤامرات المتعمدة للاستعمار . هذا العامل هو صيانة الاسلام والمسلمين ، وبخاصة الجيل المتعلم ، من مخاطر ذوبانه فى العلوم الجديدة ، التى باتت تُرسخ فى عقول الشباب المسلمين دون رقيب من دين ؛ ذلك لان اذهان هؤلاء الشباب غير مسلحة دينياً لتلقى تلك العلوم بالطريقة الصحيحة ، وغير مستعدة لايجاد علاقة منطقية بينها وبين العقائد الاسلاميه ، مع فقدان أو ندرة العناصر العالمه التى تستطيع أن تمحو من اذهان الشباب الشبهات التى تأتى من تلك العلوم .

هذا العامل لازال باقياً على قوته يهدد العقائد والتقاليد الاسلاميه فى عقر دارها ، وهو يمثل جانباً من الغزو الثقافى الذى بات يهدد العالم الاسلامى ، بل كل الاديان السماويه ، ويمثل خطراً كبيراً ، بحيث خصص الامام الراحل (قدس سره) ، وقائد الثورة الاسلاميه ، وبقية الشخصيات الحريصه على دينها ، جزءاً من خطابها وتوجيهاتها للتحذير من مخاطر هذا الغزو الخطر ، حيث تستمر ، ولا بد أن تستمر ، المواجهه المقدسه مع هذا الخطر الذى يعتبر الاكبر من نوعه ضد الاسلام ، وآخر سهم فى جعبه الاستعمار لضرب المسلمين .

العامل الثالث : التعرف على النظم الغربيه

أدى الاستعمار الغربى - رغم الاضرار الكبيره التى الحقها بالعالم الاسلامى - إلى صحوه الامه ، فقد تعرف المسلمون تدريجياً على التطور العلمى والمؤسساتى الغربى ، واستفادت اذهانهم مرة أخرى مفردات من قبيل الحرية والاستقلال

والتقدم والتحضر ، بعد أن كاد الجهل والاستعمار أن يقضيا عليها تماماً ، حتى وهى فى ذهن الانسان المسلم ، ولهذا فإن الكثير من قادة المسلمين فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، امثال السيد جمال الدين الاسد آبادى ، كانوا على اطلاع باوضاع اوربا واحوالها ، ومن ثم تأثروا بالحركات السياسية والثقافية هناك . أجل ، الحقيقة المذكورة لا تنكر ، ولكن يجب أن نضيف اليها ملاحظة هى أن التعرف على الحضارة الاوربية والتأثر بها أثمر بطريقتين :

الاولى : أولئك الذين كانت تسرى فى عروقهم الحمى الاسلامية ، ويؤلمهم التخلف والذل اللذين عانى منهما المسلمون ، فكانوا يدعون إلى الاستقلال والحرية فى اطارهما الاسلامى ، والعودة إلى السنن والاداب الاسلامية ، ومنهم السيد جمال الاسد آبادى ، والشيخ محمد عبده ، وحسن البنا ، وابو الاعلى المودودى ، وآخرهم الامام الخمينى ، فقد أخذ هؤلاء الكبار الدروس والعبر من التطور الاوربى ، لكنهم لم يستسلموا له ، بل حافظوا على اصالتهم وشخصيتهم الاسلامية ، رغم ما يُستشف من بعض كلمات السيد جمال الدين الاسد آبادى من أنه كان يدعو إلى الحرية والديمقراطية الغربية . وبطبيعة الحال كان منهج الاسد آبادى وغيره من القادة المسلمين - كما سنذكر لاحقاً - يختلف عن النهج الذى اختطه الامام الخمينى ، ولم يكن يدور فى خلد أولئك القادة تأسيس الحكم الاسلامى على أساس ولاية الفقيه ، وإنما كانوا يدعون إلى الاستقلال وعظمة الاسلام والمسلمين .

الثانية : أولئك الذين تعلموا من الغرب اسلوبه فى الحرية والديمقراطية بجميع الموصفات الغربية ، رغم أنهم اطلقوا دعواتهم باسم الاسلام ، دون أن يحدوهم طموح إلى إقامة نظام الحكم الاسلامى ، ومنهم على ما اتصور مؤسسها الباكستان محمد على جناح واقبال اللاهورى ، وغيرهما من مخططى استقلال الباكستان ، واوائل زعماء الاستقلال فى الجزائر والمغرب وتونس واندونيسيا وغيرها .

ولعل من الافضل أن نقول : إن جميع الحركات الاستقلالية تعاون فيها وتنافس في آن واحد جناحان ، أحدهما ديني والاخر غربي ، وكان النصر حليف الثاني ، ومثل هذا التضاد ظهر ايضاً في ايران إبان الثورتين الدستورية والاسلامية ، ففي الاولى انتصر الجناح الغربي ، وفي الثانية الديني . ولا نشك في أن شخصية اسلامية كشخصية عبد الحميد بن باديس في الجزائر ، كانت تفكر وتطمح ، وهي على رأس الثورة ، أن يعود النظام الاسلامي الخالص ، وليس النظام الذي تحقق على يد الجناح الاخر ، ولا يزال هذا التضاد مشهوداً بقوة في الجزائر ومصر ، والكثير من البلدان الاسلامية الاخرى .

ومن النماذج الاخرى على العلاقة المتقاطعة بين هذين الاتجاهين ، اضافة إلى نموذج الثورة الدستورية (المشروطة) في ايران ، التضاد في حركة تأميم النفط الذي وقع بين الجناح الديني والجناح القومي . وعلى أية حال فإن مثل هذه العوامل ساعدت على انضاج الفكرة القائلة بضرورة استقرار النظام الاسلامي المستقل عن الغرب ، وعن جميع الانظمة الحاكمة في العالم ، وادت إلى قيام الثورات ، وتشكيل الاحزاب والجمعيات والحركات المنظمة التي سنشير إليها باختصار ، رغم أن بعضها اتخذ المنهج الغربي في تحركه السياسي .

I الحركات السياسية الاسلامية في القرن الاخير

١ - الحركة الاصلاحية للسيد جمال الدين الاسد آبادي المعروف بالافغاني ، في أواخر القرن الثالث عشر واول القرن الرابع عشر الهجريين ، وقامت على اساس دعوة المسلمين إلى اليقظة والاستقلال ، واحياء الاسلام والوحدة وامثال ذلك ، حيث استمر بها وبخاصة في بعدها العلمي تلميذه الشيخ محمد عبده .

٢ - نهضة الخلافة في شبه القارة الهندية التي ظهرت اواخر الخلافة العثمانية تأييداً لها .

٣ - نهضة الخلافة في مصر في نفس الفترة السابقة بقيادة الشيخ ماضى أبو العزائم المتوفى سنة (١٣٥٦ هـ) .

٤ - ثورة الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجزائر ، التي استندت إلى ثلاثة شعارات : الاسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا ، وانتهت باستقلال الجزائر بعد وفاة قائدها ، ولكن بالطريقة الغربية وليست الاسلامية .

٥ - ثورة المسلمين في شبه القارة الهندية بدعوة من الفيلسوف والشاعر الهندي اقبال اللاهوري ، وبقيادة محمد علي جناح ، وانتهت باستقلال الباكستان ، ولكنها لم تكن حركة اسلامية خالصة .

٦ - ثورة علال الفاسي وحزبه حزب الاستقلال التي أدت إلى استقلال المغرب من فرنسا ، ولكن على الطريقة الغربية .

٧ - ثورة الشعب الاندونيسى والبلدان المجاورة للاستقلال من الاستعمار الهولندي ، وفعلاً تحقق الاستقلال وفق المنهج الغربى .

٨ - حركة الاخوان المسلمين بقيادة الاستاذ حسن البنا في مصر ، التي كسبت الكثير من الانصار في البلدان الاسلامية ، ثم انقسمت فيما بعد . وللفكر الاخوانى حالياً نفوذ - تحت مسميات مختلفة - في السودان وتونس والجزائر وافغانستان والهند والباكستان وماليزيا واندونيسيا والبوسنة ، وغيرها من الاقطار الاسلامية ، ومنها الجماعة الاسلامية في شبه القارة الهندية بزعامه الاستاذ أبو الاعلى المودودي .

٩ - آخر وأهم هذه الحركات التي دعت إلى الاستقلال ، واستعادة الهوية الاسلامية وتأسيس الحكم الاسلامى ، هي الثورة الاسلامية في ايران بزعامه الامام الخميني رضوان الله تعالى عليه ، وقد كُتب الكثير حول هذه الثورة في العالم الاسلامى ، بل في كل العالم سلباً وايجاباً ، ولسنا هنا بصدد الخوض في تفاصيل حياة زعيمها الراحل وتاريخها ، وإنما نحاول أن نشير فقط إلى بعض ابعادها وميزاتها .

١ ميزات الثورة الإسلامية في إيران

١ - أكبر ميزة في الثورة الإسلامية ، وأهم عامل في انتصارها ، يكمنان في كون قائدها عالماً بارزاً متضلّعاً في العلوم الإسلامية ومرجعاً للتقليد ، والمرجعية في المذهب الشيعي لها مكانتها الخاصة ، حيث ينال من تتوفر فيه شروطها قداسة خاصة واحتراماً كبيراً ، وتعتبر الأمة حكم المرجع حكماً لله ورسوله ، وفي التمرد عليه والتخلف عنه حرمة أكيدة ، ولمرجع التقليد بين الشيعة استقلال في الفتوى والحكم ، وفي استلام الحقوق الشرعية وإنفاقها والتصرف بها ، وتعلو الفتوى التي يصدرها كل قانون ، وعليه فإن قيادة الثورة الإسلامية كانت تتمتع بارتفاع مكانة دينية بين الناس ، وهذا العامل كان سبباً رئيسياً لانتصار الثورة ، وهو الذي أعطى للجمهور الثقة بثورته الإسلامية .

٢ - كبار انصار الثورة هم من علماء الدين ، ومعظمهم من تلامذة مدرسة الامام يوافقونه في الرأي وفي افكاره العلمية والفقهية والسياسية .

أما العناصر الاخرى الذين ناصروا الثورة من غير سلك العلماء ، فكانوا كثيرين ايضاً ، حيث انسجمت افكارهم مع القيادة وعلماء الدين ، بل كان معظمهم من مقلدي الامام ؛ كما كانت هناك عناصر أخرى تدعو إلى الوطنية دون الدين ، وتناصر قيام حكم ديمقراطي على الطراز الغربي ، استسلمت للثورة أو فضّلت اعتزال الساحة .

ولم تفعل فكرة التضارب الفكري الديني الوطني فعلها في الثورة الإسلامية ، رغم الجهود التي بذلها دعاة الفكر الغربي ، والدعم الذي تلقوه من الغرب في سبيل ذلك ، وبقيت الثورة مصونة من التضاد الباطني . والفضل يعود أيضاً إلى قيادة الثورة الفريدة من نوعها ، ويمكن ملاحظة نموذج من هذا التضاد في أول استفتاء عام حول اسم النظام الاسلامي ، ففي حين اقترح الآخرون اسماً من قبيل : الجمهورية الديمقراطية أو الجمهورية الديمقراطية الإسلامية ، ادلى الامام برأيه وحدد الاسم بـ «الجمهورية الإسلامية» فقط ، دون اضافة أى كلمة أخرى أو حذف أى شيء من الاسم .

ولابد من التأكيد هنا أن الفكر الاسلامى الخالص لم يكن ليتغلب على الفكر الديمقراطى الخالص ، أو الفكر الملتق بين الاسلام والديمقراطيه ، لولا عظمه قائد الثورة وصلابته .

٣ - لهذا السبب انتصرت الثورة وهى تستند إلى مبانى الفقاهة والقوانين الاسلاميه تماماً ، دون أن تتأثر بالاختلاط مع الافكار الاخرى ، وكان الفشل من نصيب كل الاتجاهات والتيارات المعارضه الاخرى .

٤ - وللسبب ذاته قام بتدوين دستور الجمهوريه الاسلاميه الفقهاء والخبراء بالفقه بما ينطبق مع الموازين الاسلاميه ، ثم صادق الشعب عليه . ويمكن القول بكل جرأه : إنه لم يُعدّ دستور بهذه الشموليّه والالتزام الدقيق والعميق بالشريعه الاسلاميه فى العالم كله ، ومنه الدول الاسلاميه وعلى مر التاريخ الاسلامى ، ولا يمكن أن يُقارن به أى من الدساتير العالميه الموجوده ؛ وللاسف لم يوظف أى جهد حتى الان لاجراء مقارنة من هذا القبيل رغم أهميه ذلك .

ومن خصائص هذا الدستور أنه تم تدوينه على يد مجموعه كبيره من الفقهاء والحقوقيين ، ووافق عليه اكثريه الشعب ، كما ارتضاه جميع مراجع التقليد فى ايران .

ومن مزاياه أيضاً معالجته لمسأله قياده الثورة وشروط القائد ، وتأسيس مجلس الخبراء المكون من المجتهدين المنتخبين من قبل الشعب ، ومجلس خبراء الدستور المؤلف من كبار المجتهدين والحقوقيين لمراقبه القوانين التى تصدر عن المجلس التشريعى ؛ لكى لا تعارض الشريعه والدستور .

واخيراً لابد من القول : إن من المزايا المهمه للثورة الاسلاميه هو انبثاق مثل هذا الدستور عنها .

٥ - رغم أن شخصيه الامام استقطبت قلوب الشعب نحوها ، إلا أن هناك شريحه كبيره من الناس يطلق عليها اسم «حزب الله» احبت الامام حباً جمّاً ، وشكلت الشريان الرئيسى للقوات الشعبيه ، التى أخذت على عاتقها منذ اوائل أيام

الثورة مهمة الدفاع عن الثورة ومكتسباتها ، وبخاصة خلال سنوات الحرب الثمانية ، وهذه مزية أخرى اتصفت بها الثورة الاسلامية واستلهمت منها من شخصيتها قائدها .

٦- رفعت الثورة قبل انتصارها شعار الاستقلال والحرية والجمهورية الاسلامية ، ولم تهمل هذه الشعارات بعد الانتصار ، بل أخذ بها في الدستور وفي القوانين المتشعبة منه وفي السلطات الثلاث .

فعلى صعيد الاستقلال السياسى مثلاً ، استقلت الثورة تماماً عن الاقطاب السياسية العالمية ، ولا سيما القوتين العظميين سابقاً ، وهذه حقيقة مجمع عليها لا يمكن أن ينكرها أحد ، بل يمكن القول بكل جرأة : إنه لا توجد في العالم الحاضر دولة مستقلة تماماً عن احدى القوى الكبرى سوى الجمهورية الاسلامية في ايران ، والدليل على ذلك مواقف هذه الدول من القضايا العالمية المهمة ، التي تتحرك ضمن الدائرة التي ترسمها تلك القوى .

وقد حاول المناوئون للثورة في الداخل والخارج ، وفي خضم التطورات السياسية التي شهدتها الثورة ، الايحاء بارتباط الثورة أو أحد اركانها بالقوى الخارجية ، في حين تتبنى الابواق الاستكبارية مسؤولية الترويج الاعلامي لتلك الافتراءات ، إلا أن مسار الاحداث برهن على بطلان تلك المدّعات .

وفي البعد الاقتصادي احتفظت الثورة باستقلالها أيضاً ، أما العقود التجارية والاقتصادية والصناعية التي لها مع الدول المختلفة ، فهي ضرورية ومما لا غنى لاية دولة عنها ، كما أنها لا تؤثر في الاستقلال السياسي للبلاد .

وربما يفكر البعض بضرورة اقامة جدار حديدي حول ايران ، كما فعلت البانيا قبل انهيار الكتلة الشرقية ، يمنع أية علاقة اقتصادية وصناعية مع الخارج ، ويعزل ايران تماماً عن العالم ، ولكن هذا الاسلوب لا يعنى الاستقلال الاقتصادي ، وإنما يؤدي إلى العزلة الاقتصادية ، وهو مرفوض جملة وتفصيلاً .

أجل ، لابد أن نؤكد أن من الاهداف التي تتوخاها الجمهورية الاسلامية في المجال الاقتصادي ، الوصول إلى الاكتفاء الذاتي . كما انها تتجنب عقد الصفقات والاتفاقيات الاقتصادية مع طرف سياسي دولي خاص ، الامر الذي يعرض الاستقلال الاقتصادي والسياسي للخطر .

ومن العوامل التي تساعد على الاستقلال الاقتصادي السعي لتأمين المواد الأولية في داخل البلاد ، ولهذا العامل في الجمهورية الاسلامية الاولوية حالياً ، غير أن الاستغناء تماماً عن الآخرين أمر لا يمكن تحقيقه في العصر الحاضر ، ويجب أن تكون الحاجة متقابلة ، أي من كلا الجانبين وليس من جانب واحد ؛ لكي لا يتضرر الاستقلال السياسي والاقتصادي . ينطبق ذلك أيضاً على القروض والالتزامات المالية .

الاستقلال الصناعي والعلمي يبدو أنه لا يتحقق بسهولة ، ولا يُنال إلا بعد أن تبلغ الجامعات والمعاهد العلمية للبلد مبلغاً علمياً ، تستطيع به أن تنافس الدول الصناعية المتطورة ، وفي غير ذلك لا نستطيع ادعاء الحصول على هذا النوع من الاستقلال ، ومع ذلك ينبغي أن ينصب السعي على ألا تدفع هذه الحاجة إلى التبعية للبلدان المتطورة ، وهي سياسة تتبعها الجمهورية الاسلامية حالياً .

الشعار الاخر الذي رفعتة الثورة هو شعار الحرية الذي يُعمل به حالياً في نظام الجمهورية الاسلامية ، حيث تُراعى في ظل هذا النظام جميع الحريات التي نص عليها الدستور ، وما تطلقه بعض العناصر من دعوى تقييد الحريات ، إنما هو في الحقيقة محاولة للطعن في النظام الاسلامي ، فيقال مثلاً : لماذا لا يحق لكل فرد أن يرشح لعضوية مجلس الشورى الاسلامي ، أو لرئاسة الجمهورية ، أو أن يتصدى للوزارة الفلانية ؟ أو يقال : لماذا لا تطلق الحرية للاستيراد والتصدير ؟ وامثال هذه الاشكاليات التي تتناقض في محتواها مع روح النظام الاسلامي ، وتهدف إلى مواجهته ، في حين ينص

الدستور على منع بعض الحريات من قبيل تلك الموجودة في الغرب ، والفساد الاخلاقي ؛ حفظاً للنظام والثورة التي من مبادئها حماية المجتمع من التفكك .

إذن ، الجمهورية الاسلامية لم تتجاوز الشعارات الثلاثة التي رفعتها الثورة وما نص عليه دستورها ، وهنا يجب الاشارة إلى أن الاخطاء والتخلفات الادارية التي قد تصدر من بعض المسؤولين ، يجب ألا يُحمّل النظام مسؤوليتها ، فهي مما لا يمكن غض النظر عنها ، بل لابد من انتقادهم عليها وملاحقتهم ، والمهم هنا ألا تصبح مثل هذه التصرفات ذريعة لمهاجمة النظام .

٧ - كان للثورة الاسلامية اصداء واسعة وكبيرة عالمياً ، ولم تتوقف موجاتها عند البلدان الاسلامية ، وإنما شملت كل العالم . ويمكن القول بكل جرأة : إنها كانت خلال العقد الاخير ، بل القرن الاخير ، من أهم الاحداث العالمية على الاطلاق ، بحيث استحوذت انباؤها على اهتمام العالم أكثر من أى حدث آخر ، بسبب ما احتوته الثورة من احداث ، من قبيل الجهاد الذي خاضه الامام على مدى سنوات ، والانتصار الذي حققه الشعب بشكل مفاجئ على الشاه ، وردود الفعل التي ابدتها القوى الكبرى إزاء ذلك ، واجتماعها على تدمير الثورة والقضاء عليها واحتجاز الرهائن الاميركيين في طهران ، والحرب المفروضة التي دامت ثمانى سنوات وتبعاتها ، كل هذه الاحداث وغيرها ضاعفت من أهميه الثورة ، وحركت الشعوب نحو اكتساب المزيد من المعرفة عنها وعن قيادتها التي تمثلت في الامام الخميني(قدس سره) .

يقول الامام عن منافع الحرب : « إننا صدّرنا ثورتنا في هذه الحرب ، وميّزنا اصدقاءنا عن اعدائنا ، وانتصرنا على القوى الكبرى ... » ؛ أجل ، فقد هبت عاصفة الثورة الاسلامية على كل العالم ، ولا يكاد يوجد أحد لم يسمع عنها وعن قائدها .

فمن ميزات الثورة الإسلامية إذن عالميتها ، ووضوح اهدافها على المستوى العالمى ، ومعلوم أن هذه الميزة تستتبع ميزات كثيرة أخرى .

٨ - جاءت الثورة الإسلامية لتعجل من الحركة الإسلامية العالمية ، وانطلقت بانتصارها الصحوه الإسلامية ، أو الاصولية الإسلامية كما يسميها الاعداء ، وتسارعت هذه الحركة ، وهذا هو المعنى الذى أراده الامام من تصدير الثورة .

٩ - جددت الثورة الإسلامية الحياة السياسية والثقافية الإسلامية ، واصبح الامام رمز هذا التجديد فى هذا القرن ؛ وفيما مضى من المقال اشرنا إلى معنى تجديد الحياة السياسية ، أما تجديد الحياة الثقافية فهو عبارة عن التجديد فى الفقه والنظام والحكم والاقتصاد الإسلامى ، وهى موضوعات قابلة للبحث والنقاش ، ويمكن أن تنافس نظيراتها فى العالم .

١٠ - تركت الثورة الإسلامية الكثير من التأثيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية ، مثل : اصلاح الشبان ، والمحافظة على عفة المرأة ، والحث على اكتساب العلوم الدينية ، والعودة إلى الثقافة الإسلامية الاصيله ، وحياء الجمعه والجماعة ، وإشاعة روح التضحية والايثار والشهادة فى سبيل الدين ، ونشر اجواء سليمة فى المراكز التعليمية وفى المجتمع كافة ومكافحة الفساد ، ولفت انظار جيل الشبان نحو الغيب والشؤون الاخرية ، وتعزيز بنية الامة فى مواجهة الصعاب ، وبث الروح فى فريضة الحج ، سيما بإقامه مراسم البراءة من المشركين التى تمثل روح الحج ، وحياء الحجج الابراهيمي ، واشراك الشعب فى السلطة ، وايقاظ الحس السياسى لدى عامة الناس ، وغيرها من الميزات الكثيرة .

ومن الاثار المعنوية والثقافية التى تستحق التأمل قليلاً موضوع تجديد البعد العرفانى فى الاسلام . الذى استلهم من الروح العرفانية للامام ، لان الامام لم يكن مجتهداً بارعاً وفقهياً كبيراً وحسب ، وإنما كان من كبار الفلاسفة والعرفاء فى عصره ، ومؤلفاته العرفانية فى الشر والنظم لا تقل عن آثاره الفقهية والاصولية ، وبذلك جعل بين الفقه والعرفان

حلقة وصل ، كما كان الامر فى صدر الاسلام ، وقدّم للمجتمع الاسلامى جيلاً من التلامذة الذين انشأهم على هذه الطريقة ، وهذا البعد فى الثورة لم يطرق لحد الان .

١١ - اوجدت الثورة الاسلامية - كما هو الحال فى صدر الاسلام - نوعاً من الثقافة والادب والشعر الثورى الاسلامى ، مما لا سابقة له وخاصة فى القرون الاخيرة ، وقد بُذلت جهود فى سبيل جمع هذا التراث الادبى للثورة ، وتعتبر وصايا الشهداء التى تنشر باستمرار فى الصحف كنزاً ثميناً من أدب الثورة والعرفان .

١ مقارنة الثورة الاسلامية بالحركات الاسلامية

بلحاظ ماذكرناه من خصائص للثورة الاسلامية واشرنا إليه من منعطفات تاريخية اسلامية على مدى القرون الماضية ، لا يبقى مجال للشك بأن هذه الثورة لا يمكن مقارنتها فى كل الاحوال مع تلك المنعطفات ، لا سيما التى وقعت بعد عصر صدر الاسلام من تسنّم الامويين للسلطة ، ومن بعد العباسيون ، والخلافة العثمانية ، والانظمة الملكية التى تبعتها ؛ فهذه التحولات التاريخية لم يكن لقياداتها كخصائص الامام الخميني ، ولا انصار كأنصاره ، ولا خطاب جديد كالخطاب الذى أتى به الامام . خذ على سبيل المثال الخلفاء العباسيين السفاح والمنصور وغيرهما ، وانظر إلى الخلفاء الامويين فى الاندلس ، أو الفاطميين فى مصر ، أو العثمانيين ، وإلى سلالات الملوك المختلفة ، فلم يحمل أىّ منهم سمات الامام . ولم تماثل انظمتهم السياسية حدث الثورة الاسلامية من حيث الخصائص والميزات .

والمشهود فى تلك الانظمة أنها حققت انتصارات عسكرية وفتوحات للبلدان لم تقم بها الثورة الاسلامية ، لكن هذه الثورة سخرت القلوب ، وحققت انتصارات معنوية بدلاً من تلك الفتوحات .

كما لا يمكن مقارنة الثورة بالحركات الإسلامية المعاصرة ، كحركة الإخوان المسلمين التي تعتبر الاوسع والاعرق من بين الحركات الموجودة ؛ ذلك أن المرشد العام للإخوان ومؤسس الحركة حسن البنا كان معلماً ، وليس فقيهاً جامعاً للشرائط ، وكان اشبه بزعيم حزب منه بعالم دين ، وهكذا الامر بالنسبة للذين خلفوه في قيادة الحركة وتشعباتها ، كما أنهم لم يفلحوا حتى الان في تأسيس دولة اسلامية ، بل انقسمت الحركة إلى احزاب ومجموعات متفرقة ومتناقضة مع بعضها احياناً ، في مصر وعدد من الدول الاخرى ، تُمالئ غالباً السلطات الحاكمة ، وليس هناك أمل أن تحقق شيئاً على صعيد تأسيس نظام اسلامي .

اين هذه الاحزاب من الثورة الاسلامية بقيادتها العالمية الحازمة المستقلة ؟ فإذا فكرت هذه الحركات يوماً بالنصر ، فعليها أن تتبع تعاليم الامام وتحتذى بنموذج الثورة الاسلامية ، وتتقدم نحو الامام بقيادة عالمه قاطعه حاسمه ، تحت راية الاسلام الخالص الصحيح البعيد عن مهادنة الحكام والارتباط بالسلطات ، وفي ظل وحدة الكلمة ؛ لكي تستطيع بتوفيق الله تحقيق النصر المنشود.

ونعتقد أخيراً أنه لا حاجة لاجراء مقارنة أخرى بين الامام وقادة العالم الاسلامي في الماضي والحاضر ؛ لوضوح هذا الامر ونتائج هذه المقارنة ؛ لان جذور الثورة الاسلامية في ايران تمتد إلى الاعماق ، وهي دون شك أنجح الثورات والحركات الاسلامية على الاطلاق .

فنون وآداب

* صلاح الصاوي (مصر)

قصيدة من نفحات الامام الرضا(عليه السلام) القى إلى عروض المطلع :

« دهمتكَ من عُصص الضنى اغوالها »

حاولت اتمام البيت وأنا ماثل امام ضريحه المطهر فلم استطع ، وكأننى قد شغلت به عنه، ولم يتم ذلك إلا بعد عودتى إلى طهران .

الشاعر

نفحة رضوية

فأطاش لُبَّكَ عَنْ هُدًى إِعْوَالِهَا	دَهَمْتُكَ مِنْ عُصَصِ الضَّنَى أَغْوَالِهَا
فَإِذَا خَفَى اللَّطْفُ فِيهِ زَوَالِهَا	كَمْ كُرْبَةٍ بِكَ أَحْدَقَتْ لَا تَنْجَلِي
يَرُّ مَا تَرَاءَى ظَاهِرًا أَحْوَالِهَا	لِلَّهِ فِي أَقْدَارِهِ حِكْمٌ تُغَا
لِجَمَالِهَا وَمَعَ الْجَمَالِ جَلَالِهَا	يَحْوِي النَّقِيزُ نَقِيزَهُ فَمَعَ الْجَلَا
يَبْسَتْ عَلَى دَرْبِ الْفَنَاءِ أَوْصَالِهَا	وَالرُّوحُ إِنْ ظَمِئَتْ تَهَاوَتْ دَوْحَهُ
فِيهِ الْمَرَارَةُ شَوْكُهَا وَنَصَالِهَا	وَالْقَلْبُ إِنْ حُرِمَ الْمَوَدَّةَ أَعْسَبَتْ
جَثَمَتْ عَلَى صَدْرِ الْفَيْدِ جِبَالِهَا	وَالْهَجْرُ يَثْقُلُ بِالْفَوَادِ كَأَنَّمَا
وَعْنَى وَالْأَرْجَلَى يُحَلُّ شِكَايِهَا	عَجَبًا لِمَا بِي لَا يَدَى مِنْى تُطَا
قَدْ أَحْكَمَتْ بِمَفَاصِلِي أَغْلَالِهَا	أَمْشَى أَسِيرَ أَقْدَةٍ تَنْتَاشُنِي

يحكى أفانينَ العِياءِ هُرَّاءِها	حتى أويتُ إلى الفراشِ بجُئْه
شَبَّتْ على سِيوفُها ونبالِها	فَبَقِيْتُ أعزَلَ في إِسارِ مِنِيَّه
ويعودُنِي بالسالفاتِ خيالِها	تتصدَّقُ الذكري على بأنسِها
قَدْ زَلَّ عَنْ صَهَوَاتِها خيالِها	أفراسُ آمالِ كبار تُرتَجى
فَتَفَلَّتْ مِنْ كَفِّهِ أذيالِها	مُتَشَبِّهًا جَهْدَ المُنَى بلحوقِها
شِخْنَاتِها فأراحها هَطالِها	بَرَقَتْ وأرعدت الخواطرُ أفرَعَتْ
حتى صَفَا فَسألْتُه ما بالِها	فَصَهَرْتُ قَلْبِي في لَهيبِ مدامِعي
دُبْنَا كذاكَ وخيمُها ووبالِها	ماذا جَنِينا من ذنوبِ يستب
وزراً نتائجُ وزره سِينالِها	ياقلبِ هذا ماجرى ولِوازر
زَيْغُ عِرا قَلْبِي كذاكَ إخالِها	عَقَلِي يُحدِّثُنِي بأنِ خَطِئَتِي
إِلَّا تَحَسَّنْ في الحقيقَةِ حالِها	والنفسُ ما انشَرَحَتْ لِتُدْرِكَ توبَةَ
لَمَّا تَزَلْ مَبسوطَةً أَفضالِها	أُتْرَاكَ تُدْرِكُ أنِ رَبِّكَ كَفُّه
تذكيرِ نفسِ غَرَّها إِمهالِها	أَمْ كانتِ الامراضُ إِلَّا رَحْمَةً
وَكأنما إِمهالِها إِمهالِها	فَتَبَجَّحَتْ نَسِيَتْ تَمادِي غِيَّها
إِنَّ الخَطايا طيَّها غَسالِها	لَا تَبْكُ خَوْفاً من فِواحِ أعْقَبَتْ
وتزاحمت في خاطِرِي أمثالِها	عَظُمَتْ على خَطِئَتِي وتواردت
ولوالِها تُصدى به أطلالِها	لملمت في كَفِّ الملامَةِ جُئْه

وَأُطِّلَ مِنْ فَلَكِ النُّبُوهِ أَلْهَى	بَرَقَتْ هُنَا مِنْ أَفَقِ مَشْهَدَ رَحْمَةٍ
إِذَا هَجَرَتْ وَلِلنَّفُوسِ صِقَالُهَا	الذَّاكِرُونَ إِذَا نَسِيَتْ الْوَاصِلُونَ
مَا بَيْنَ أَكْنَافِ الْوَلَاءِ عِيَالُهَا	لَهُمُ الْوِلَايَةُ وَالْخَالِاتُ كُلُّهَا
إِلَّا تَحَقَّقَ بِالْهَدَى إِقْبَالُهَا	وَحَى الْعِنَايَةِ مَا اهْتَدَتْ نَفْسٌ بِهِ
رُوحِي فِدَاكَ يَمِينُهَا وَشِمَالُهَا	مَوْلَايَ يَا مَنْ بَرُّهُ سَبَقَ الْمُنَى
صَدَحَتْ عَلَى أَيْكَ الرِّجَا آمَالُهَا	مَا إِنْ أَضَاءَتْ بِخَاطِرِي إِلَّا وَقَدْ
شُفِيَتْ وَزَالَ مَعَ الضَّنَى بَلْبَالُهَا	وَتَضَوَّعَتْ نَفْسِي بِأَشْدَاءِ الْحِمَى
قَدْ أَعْقَبَ اسْتِسْلَامُهَا اسْتِسْأَلُهَا	هَرِغْتُ إِلَى الْإِعْتَابِ تَلْتَمِسُ الرِّضَا
عِبْرَاتٍ يَنْمُو لِلرِّضَا سَيَالُهَا	كَفَّأَى مَجْدَافَانِ فِي بَحْرِ مِنَ الْـ

* --- * --- *

اهل البيت (عليهم السلام) في روايات الصحابة

* ناصر الباقري

اهل البيت (عليهم السلام) على لسان الحسن بن علي (عليهما السلام) (١)

كان الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) ثاني الائمة بعد أبيه امير المؤمنين (عليه السلام) ، وخامس أهل الكساء ، وابن محمد المصطفى ، وابن علي المرتضى ، وابن فاطمة الزهراء .

يقول ابن أسعد اليافعي في مرآة الجنان : « ومناقبه (أى الحسن بن علي) بالانساب ، والاكتساب ، والقرباء ، والنجابة ، والمحاسن ، فى الظاهر والباطن معروفة مشهورة ، وفى تعدادها غير محصورة ، وكان مع نهاية الشرف والارتفاع فى غاية التلطف والاتضاع . »

وقال ابو نعيم : « دخل اصبهان غازياً مجتازاً إلى غزاة جرجان ، ومعه عبد الله بن الزبير ... » .

واخرج ابن عبد البر فى الاستيعاب ، وابن الاثير فى تاريخه الكامل : « كان الحسن بن علي (رضى الله عنه) حليماً كافياً ، ورعاً فاضلاً ، دعاه ورعه وفضله إلى أن يترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله ، وكان يقول : والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى وما يضرنى أن آلى أمر أمة محمد (صلى الله عليه وآله) ، على أن يهراق فى ذلك محجمة (١) دم » .

إنه كان من أندى الناس كفاً ، وأوصلهم لعباد الله ، وأعظمهم على الفقراء والمحرومين ، وكان حليماً عاقلاً ، زاهداً ورعاً تقياً ، محباً للخير ، ذا سكينه ووقار ، فصيح القول ، بليغ العبارة ، حسن المنطق ، حاضر البديهة ، قوى الارادة ، جم المناقب ، كثير الفضائل ، حج بيت الله الحرام ماشياً خمساً وعشرين سنة والنجائب لتقاد بين يديه (٢) ، وخرج من ماله مرتين ، وقاسم الله تعالى ماله مرتين ، وروى ثلاث مرات ، حتى إنه كان يعطى من ماله نعلأ أو يمस्क نعلأ ، ويعطى خفا ويمسك خفا . وكان الحسن (عليه السلام) احد سيدى شباب أهل الجنة ، ووصى والده على اسرته وأصحابه ، وصاه بالنظر فى وقوفه وصدقاته ، وكتب إليه عهداً مشهوراً ووصية ظاهرة فى معالم الدين وعيون الحكمة والاداب . وقد نقل هذه الوصية جمهور العلماء واستبصر بها فى دينه ودنياه كثير من الفقهاء . ولما استشهد ابوه ولى الخلافة بوصيته إليه .

روى الحديث عن جده المصطفى وابيه على المرتضى وخاله هند بن أبى هالة .

إن سيرة الامام الحسن (عليه السلام) من أولها إلى آخرها تحكى لنا سلوك رسول الله وفكره وعصمته وهديه وشجاعته ومنطقه ، جمعها كلها سلام الله عليه .

بعض ما ورد بحقه من جده (صلى الله عليه وآله)

روى فى صحيحى البخارى ومسلم مرفوعاً إلى البراء بن عازب قال : « رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) والحسن بن على على عاتقه يقول : اللهم إني أحبّه فأحبّه » (٣).

وروى أحمد بن حنبل أن النبى (صلى الله عليه وآله) قال وقد نظر إلى الحسن والحسين (عليهما السلام) : « من أحبّ هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة » .

وعن الترمذى بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » (٤).

وعن عبد الله بن عمر قال : « سمعت رسول الله يقول : هما ريحائتاى من الدنيا » .

وروى أن العباس (رضى الله عنه) جاء يعود النبى (صلى الله عليه وآله) فى مرضه ، فرفعه وأجلسه فى مجلسه على سرير له رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال العباس : هذا علىّ يستأذن ، فقال : يدخل ، فدخل ومعه الحسن والحسين (عليهما السلام) ، فقال العباس : هؤلاء ولدك يا رسول الله صلى الله عليه وآله عليك قال : هم ولدك يا عمّ اتحبهما؟ قال : نعم . قال : أحبّك الله كما أحبّهما » .

وفى كتاب الامالى عن جابر بن عبد الله الانصارى قال : « سمعت رسول الله يقول لعلى بن أبى طالب قبل موته بثلاث : سلام الله عليك أبا الريحائتين . أوصيك بريحائتى من الدنيا ، فعن قليل ينهدم ركنك ، والله خليفتى عليك » .

بعض ما قاله اهل السنة فى مدح ريحانة الرسول (صلى الله عليه وآله)

وهذا باب واسع مترامى الاطراف لا يمكن استيعابه ، وتسجيل ما اشتهر من اقوال اهل السنة فى تكريم السبط الاكبر (عليه السلام) ، ولكننا نكتفى بالترى القليل.

روى الزهرى عن أنس بن مالك : « لم يكن أحد أشبه برسول الله (صلى الله عليه وآله) من الحسن بن على (عليه السلام) » (٥).

وعن واصل بن عطاء : « كان الحسن بن على (عليهما السلام) عليه سيماء الانبياء وبهاء الملوك » (٦).

وقال المدائنى : « كان الحسن (عليه السلام) اكبر ولد على ، وكان سيداً سخياً حليماً ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحبّه » .

ولما حمل مروان بن الحكم سرير الامام الحسن (عليه السلام) إلى البقيع قال له الحسين (عليه السلام): «أتحمل سريره؟ أما والله لقد كنت تجرعه الغيظ فقال مروان: إنني كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال» (٧).

شهادته

لما نقض معاوية عهده مع الامام الحسن (عليه السلام) عمد إلى اخذ البيعة ليزيد ولده، وما كان شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي (عليهما السلام)، فـدس إليه السم، فمات بسببه سنة خمسين من الهجرة النبوية، وله من العمر سبعة واربعون عاماً.

وروى عن أم بكر بنت المسور قالت: «كان الحسن بن علي (عليهما السلام) سم مراراً، كل ذلك يفلت حتى كانت المرة الأخيرة التي مات فيها، فإنه كان يختلف كبدة، فلما مات أقام نساء بني هاشم النوح عليه شهراً» (٨).

ما روى عنه (عليه السلام)

عن الحسن بن علي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «يا معشر الانصار، ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً؟ قالوا: بلى. قال: هذا على فأحبوه واكرموا واتبعوه. إنه مع القرآن والقرآن معه، وإنه يهديكم إلى الهدى ولا يدلكم على الردى. فإن جبرئيل أخبرني بالذي قلته لكم عن الله عز وجل» (٩).

عن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: أول من يرد على الحوض أهل بيتي ومن احبني من أمتي» (١٠).

وعنه (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا معشر الانصار، ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: هذا على فأحبوه بحبي، وأكرموا بكرامتي، فإن جبرئيل أمرني بالذي قلت لكم» (١١).

وعنه (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «أما أنت يا علي فمني وأنا منك، وأنت ولي كل مؤمن بعدى» (١٢).

وعنه (عليه السلام) في خطبة طويلة: «ولما نزلت: (وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها) يأتينا جدّي (صلى الله عليه وآله) كل يوم عند طلوع الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت - يرحمكم الله - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» (١٣).

وعنه (عليه السلام)، فيما أخرجه الطبراني في الاوسط، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله عز وجل وهو يودنا، دخل الجنة بشفاعتنا. والذي نفسي بيده، لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا» (١٤).

وعن محمد بن أبي عمير ، عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عن أبيه ، عن جدّه قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من قال : صلى الله عليه وآله ، قال الله جل جلاله : صلى الله عليك ، فليكثر من ذلك . ومن قال : صلى الله عليه محمد ولم يصلّ على آله لم يجد ريح الجنة ، وريحها توجد من مسيرة خمسمئة عام » (١٥) .

وقال (عليه السلام) : « أخبرني جدّي قال : لما دخلت ليلة المعراج روضات الجنان ومررت على منازل أهل الإيمان ، رأيت قصرين عاليتين متجاورين على صفة واحدة ، إلا أنّ أحدهما من الزبرجد الأخضر والآخر من الياقوت الأحمر ، فقلت : يا جبرئيل ، لمن هذان القصران ؟ فقال : أحدهما للحسن والآخر للحسين ، فقلت : يا جبرئيل ، فلم لا يكونا على لون واحد ؟ فسكت ولم يردّ جواباً ، فقلت : لم لا تتكلّم ؟ فقال : حيّاً منك ، فقلت له : سألتك بالله إلا ما أخبرتنى ، فقال : أمّا خضرة قصر الحسن فإنّه يموت بالسم ويخضّر لونه عند موته ، وأمّا حمرة قصر الحسين فإنّه يقتل ويحمّر وجهه بالدم » .

وقال (عليه السلام) « نحن حزب الله المفلحون ، وعتره رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأقربون ، وأهل بيته الطاهرون الطيبون ، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعمل عليه في كل شيء لا يخطئنا تأويله ، بل نتيقن حقائقه ، فاطيعونا فاطعنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولى الأمر مقرونة (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) ، (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ... » .

ومرض الإمام علي (عليه السلام) يوماً فأمر الحسن أن يصلي بالناس صلاة الجمعة ، فصعد (عليه السلام) المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن الله لم يبعث نبياً إلا اختار له نفساً ورهطاً وبيتاً ، فوالذي بعث محمداً بالحق لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد إلا نقصه الله من عمله مثله ، ولا يكون علينا دولة إلا وتكون لنا العاقبة ، ولتعلمن نبأه بعد حين » (١٦) .

وأوعز الإمام أمير المؤمنين إلى الإمام الحسن (عليه السلام) بأن يخطب في الناس فأنبرى إلى أعواد المنبر وخطب هذه الخطبة القيمة : « أيها الناس ، اعقلوا عن ربكم . إن الله عز وجل اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، فنحن الذرية من آدم ، والأسرة من نوح ، والصفوة من إبراهيم ، والسلالة من اسماعيل ، وآل محمد (صلى الله عليه وآله) . نحن فيكم كالسماء المرفوعة والأرض المدحوة ، والشمس الضاحية ، وكالشجرة الزيتونة لا شرقية ولا غربية ، التي بورك زيتها ، النبي أصلها ، وعلى فرعها ، ونحن والله ثمر تلك الشجرة ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ، ومن تخلف عنها فإلى النار هوى ... » (١٧) .

وخطب (عليه السلام) يوماً فقال في خطبته : « سمعت جدّي (صلى الله عليه وآله) يقول : خلقت أنا من نور الله ، وخلق أهل بيتي من نوري ، وخلق محبهم من نورهم ، وسائر الناس من الناس » (١٨) .

- (١)المحجمة: القارورة التي يجمع فيها دم الحجامه .
- (٢)مستدرك الصحيحين ٣: ١٧٨. سنن البيهقي ٤: ٣٣١. حلية الاولياء ٢: ٤٧. ذخائر العقبى: ١٣٧ .
- (٣)مختصر البخارى: ٣٤٥، ح ١٥٤٨. صحيح البخارى، كتاب بدء الخلق . ورواه مسلم فى صحيحه فى كتاب فضائل الصحابة، ورواه الترمذى فى صحيحه ٢: ٣٠٧، ورواه ابن كثير فى البداية والنهاية ٨: ٢٤ .
- (٤)جامع الاصول ٩: ٢٠، ح ٦٥٥٨ .
- (٥)الارشاد ١٨٧. كشف الغمّة ١: ٥٤٦. مسند احمد بن حنبل ٣. ١٩٩. الذرية الطاهرة: ١٠٣. الفصول المهمة: ١٥٢ .
- (٦)ايعان الشيعة ١: ٥٦٣ .
- (٧)مقاتل الطالبين: ٧٦ .
- (٨)مستدرك الصحيحين ٣: ١٧٣ .
- (٩)ملحقات الاحقاق ٢٠: ٤٠٤. آل محمد للشيخ حسام الدين الحنفى: ٧ .
- (١٠)ملحقات احقاق الحق ٢٤: ٥٧٦. الاوائل للطبرانى: ٦٤ .
- (١١)الرياض النضرة ١٧٧: ٢. كنز العمال ١٥٧: ٦. مجمع الزوائد ١٣١: ٩. فضائل الخمسة ٩٨: ٢. ملحقات الاحقاق ٢٠: ٤٠٠. توضيح الدلائل: ١٢٧ .
- (١٢)آل محمد: ٨٣. ملحقات الاحقاق ١٣٠: ٢١ .
- (١٣)ينابيع المودة: ٤٨٢. ط اسلامبول .
- (١٤)مجمع الزوائد ١٧٢: ٩. المحاسن ٦١. حليم آل البيت الامام الحسن بن على رضى الله عنه وارضاه: ٥٥ .
- (١٥)امالى الصدوق : ٢٢٨. امالى الطوسى ٢: ٣٧ .
- (١٦)مروج الذهب ٢: ٣٠٦ .
- (١٧)جلاء العيون ٣٢٨: ١ .
- (١٨)ينابيع المودة ١٥١: ٣ .

من غرر حكم أهل البيت (عليهم السلام)

* اعداد عبد القادر فرج الله

في رحاب الامامه الوادعه تَفِيَّ القلوبُ الصَّدِئَةُ بأحضانِ الرُّضا ، وَتَشَقُّ أنفاسُ الهُدَى والسَّكِينَةِ ، وتُلفى ربيعٌ وُجودِها ، وأنسٌ وَحشَتِها وضِياعِها ، فإذا هِيَ رَيًّا بعد ظمًا ، وخضراءٌ بعدَ إقفار ، ومطمئنَّةٌ بعدِ إصحار .

وفى هذا الباب نستشرفُ فى تلك الرُّحَابِ من أضوائِها ما يَهْدِي سَبِيلَنَا ، وَيُقَوِّمُ خَطَرَاتِ نفوسِنَا ، وَيُثَبِّتُ على مسالكِ الحقِّ والحقيقَةِ خُطَانَا ، حيث (يَزِيدُ الله الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى) و (مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مرشداً) .

وقد كانت مَناهلُ قِسْمَاتِنَا هذه كلُّ من كتب بحارُ الانوارِ ، والكافى ، ونهجُ البلاغَةِ ، وميزانُ الحكمةِ ، وغرر الحكم .

« التحرير »

القلب السليم (١)

معنى القلب وتعريفه :

١ - قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « إنما سَمِيَ القلب من تَقَلُّبه . إنما مثل القلب مثل ريشة بالفلاة تعلقت فى أصل شجرة تقلبها الريح ظهراً لبطن » .

٢ - قال الامام امير المؤمنين (عليه السلام) : « القلب مصحف البصر » .

٣ - وقال (عليه السلام) : « القلب ينبوع الحكمة » .

قلبك أعجب ما فيك :

١ - قال الامام امير المؤمنين (عليه السلام) : « لقد عُلقَ بنياط هذا الانسان بضعة هي أعجب ما فيه ، وذلك القلب ؛ وذلك أن له موادَّ من الحكمة وأضداداً من خلافها ، فإن سَنَحَ له الرجاء أذله الطمع ، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص ، وإن ملكه اليأس قتله الاسف ، وإن عرض له الغضب اشتدَّ به الغيظ ، وإن أسعده الرضا نسي التحفظ ، وإن غاله الخوف شغله الحذر ، وإن اتسع له الامر استلبته الغرّة ، وإن أفاد مالا أطغاه الغنى ، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع وإن عضته

الفاقة شغله البلاء ، وإن جهده الجوع قعد به الضعف ، وإن أفرط به الشبع كظته البطنه ، فكل تقصير به مضر ، وكل إفراط له مفسد . »

القلب إمام الجسد :

١ - قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « القلب ملك وله جنود ، فإذا صلح الملك صلحت جنوده ، وإذا فسد الملك فسدت جنوده . »

٢ - وقال (صلى الله عليه وآله) : « إذا طاب قلب المرء طاب جسده ، وإذا خبث القلب خبث الجسد . »

٣ - وقال (صلى الله عليه وآله) : « فى الانسان مضغۀ إذا هى سلمت وصحّت سلم بها سائر الجسد ، فإذا سقمت سقم بها سائر الجسد وهى القلب . »

٤ - قال الامام الصادق (عليه السلام) : « إن منزلة القلب من الجسد بمنزلة الامام من الناس . »

اصناف القلوب :

١ - قال الامام الباقر (عليه السلام) : « القلوب ثلاثة : قلب منكوس لا يعثر على شىء من الخير ، وهو قلب الكافر ، وقلب فيه نكتة سوداء ، فالخير والشر فيه يعتلجان ، فما كان منه أقوى غلب عليه ، وقلب مفتوح فيه مصباح يزهر فلا يطفأ نوره إلى يوم القيامة ، وهو قلب المؤمن . »

٢ - وقال (عليه السلام) : « القلوب أربعة : قلب فيه نفاق وإيمان ، وقلب منكوس ، وقلب مطبوع ، وقلب أزهر أنور ... فأما المطبوع فقلب المنافق ، وأما الأزهر فقلب المؤمن ، إن أعطاه الله عز وجل شكر ، وإن ابتلاه صبر ، وأما المنكوس فقلب المشرك ، ... وأما القلب الذى فيه إيمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف ، فإن أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك ، وإن أدرك على إيمانه نجا . »

خير القلوب :

١ - قال الامام على (عليه السلام) : « إن هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها للخير . »

٢ - وقال (عليه السلام) : « أفضل القلوب قلب حُشى بالفهم . »

٣- وقال (عليه السلام): « اعلموا أن الله سبحانه لم يمدح من القلوب إلا أوعاها للحكمة » .

القلب السليم :

١- سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله): « ما القلب السليم ؟ فقال : دين بلا شك وهوى ، وعمل بلا سمعة ورياء » .

٢- قال الامام امير المؤمنين (عليه السلام): « لا يصدر عن القلب السليم إلا المعنى المستقيم » .

٣- وعنه (عليه السلام): « لا يسلم لك قلبك ، حتى تحب للمؤمنين ما تحب لنفسك » .

٤- وعنه (عليه السلام): « إذا أراد الله بعد خيراً رزقه قلباً سليماً ، وخلقاً قوياً » .

٥- قال الامام الحسن (عليه السلام): « أسلم القلوب ما طهر من الشبهات » .

٦- قال الامام الباقر (عليه السلام): « لا علم كطلب السلامة ، ولا سلامة كسلامة القلب » .

٧- قال الامام الصادق (عليه السلام): فى قوله تعالى : (إلا من أتى الله بقلب سليم): « القلب السليم الذى يلقى ربه وليس فيه أحد سواه . وكل قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط » .

٨- وعنه (عليه السلام) أيضاً: « هو القلب الذى سلم من حب الدنيا » .

٩- وقال (عليه السلام): « صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم ; لأن سلامة القلب من هواجس المذكورات تخلص النية لله فى الامور كلها ... » .

عين القلب :

١- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « ما من عبد إلا وفى وجهه عينان يبصر بهما أمر الدنيا ، وعينان فى قلبه يبصر بهما أمر الآخرة ، فإذا أراد الله بعد خيراً فتح عينيه اللتين فى قلبه ، فأبصر بهما ما وعده بالغيب ، فأمن بالغيب على الغيب ... » .

٢- وعنه (صلى الله عليه وآله): « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى الملكوت » .

٣- قال امير المؤمنين (عليه السلام) : « الناظر بالقلب ، العامل بالبصر ، يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعمله عليه أم له ، فإن كان له مضى فيه ، وإن كان عليه وقف عنه » .

٤- وعنه (عليه السلام) : « تكاد ضمائر القلوب تطلع على سرائر الغيوب » .

٥- ومن دعاء له عليه السلام : « الهى هب لى كمال الانقطاع إليك ، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك ، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمه ، وتصير أرواحنا معلقه بعز قدسك » .

٦- قال الامام زين العابدين (عليه السلام) : « ألا إن للعبد أربع أعين : عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه ، وعينان يبصر بهما أمر آخرته ، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين فى قلبه ، فأبصر بهما الغيب وأمر آخرته ، وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه » .

أذن القلب :

١- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « إن للقلب أذنين ، فإذا هم العبد بذنب قال له روح الايمان : لا تفعل ، وقال له الشيطان افعل ... » .

٢- وعنه (صلى الله عليه وآله) : « لولا تمزّع (تفرّق) قلوبكم وتزيّدكم فى الحديث لسمعت ما أسمع » .

٣- قال امير المؤمنين (عليه السلام) : « إنما مثلى بينكم كمثلى السراج فى الظلمه يستضىء به من ولجها ؛ فاسمعوا أيّها الناس وعوا وأحضروا آذان قلوبكم تفهموا » .

٤- قال الامام الصادق (عليه السلام) : « إن للقلب أذنين : روح الايمان يساره بالخير ، والشيطان يساره بالشر ، فأيهما ظهر على صاحبه غلبه » .

٥- وعنه (عليه السلام) : « ما من قلب إلا وله أذنان ، على إحداهما ملك مرشد ، وعلى الاخرى شيطان مفتن ، هذا يأمره وهذا يزجره . الشيطان يأمره بالمعاصى ، والملك يزجره عنها ، وهو قول الله عزوجل : (عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) » .

٦- وقال (عليه السلام) : « إن لك قلباً ومسامع ، وإن الله إذا أراد أن يهدى عبداً فتح مسامع قلبه ، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه فلا يصلح أبداً ، وهو قول الله عزوجل : (أم على قلوب أفاالها) » .

حالات القلب وأطواره :

١ - قال امير المؤمنين (عليه السلام) : « إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً ، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها ؛ فإن القلب إذا أكره عَمَى » .

٢ - وقال (عليه السلام) : « إن للقلوب إقبالاً وإدباراً ، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل ، وإذا أدبرت فاقصروا بها على الفرائض » .

٣ - وعنه (عليه السلام) : « إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الابدان ، فابتغوا لها طرائف الحكم » .

٤ - قال الامام الصادق (عليه السلام) : « إن القلب يحيى ويموت ، فإذا حيى فأدِّبْهُ بالتطوُّع ، وإذا مات فاقصره على الفرائض » .

٥ - قال الامام الرضا (عليه السلام) : « إن للقلوب إقبالاً وإدباراً ونشاطاً وفتوراً ، فإذا أقبلت بصُرت وفهمت ، وإذا أدبرت كلّت ومَلَّت ، فخذوها عند إقبالها ونشاطها ، واتركوها عند إدبارها وفتورها » .

٦ - قال الامام الحسن العسكري (عليه السلام) : « إذا نشطت القلوب فأودعوها ، وإذا نفرت فودِّعوها » .

من أنباء القرى

نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت (عليهم السلام) في أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير .

مصر

الحسين (عليه السلام) رمز الوحدة الإسلامية

لم تكن كربلاء أكثر من بقعة من بقاع العراق ، ولم يكن يوم العاشر من المحرم أكثر من يوم عادى من أيام التاريخ ، ولكن اليوم وبعد مرور «١٤» قرناً أصبحت «كل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء».

إن حياة الامام الحسين بن على بن أبى طالب (عليهم السلام) ، والتضحيات التى قدمها فى سبيل الاسلام ، ألهمت عبداً ودروساً ، وأضحت اليوم نبزاً لجميع احرار العالم .

وحينما ضحى الحسين (عليه السلام) من اجل الله اقترن اسمه بذكر الله ، واصبح فى كل مكان وفى كل عصر ، وتحول من شهيد إلى رمز للشهادة ، ومن مظلوم إلى شعار صارخ بوجه الظلم والجور ، ومن ذبيح إلى ثار الله الاعظم .

دعت جامعة الازهر فى مصر - ضمن إحيائها لذكرى الامام الحسين (عليه السلام) - إلى الوحدة بين المذهبين الشيعى والسنى .

وجاء فى مقال نشرته صحيفه «الازهر» أنه من الضرورى ردم الهوة التى تفصل بين اكبر مذهبين اسلاميين ، يعنى الشيعة والسنة ،

والعمل فى سبيل التقريب . وازالة الحواجز بين المسلمين ، بغض النظر عن انتماءاتهم المذهبية ، مؤكداً أن الاسلام واحد .

لذا ينبغي أن يكون المسلمون طائفة واحدة ، ويدعى إلى الحوار بين الشيعة والسنة في العالم الاسلامى ، لكى يتم من خلاله مدّ الجسور بين الجانبين ، وتوفير الارضية المشتركة لتوحيد الاراء والافكار بين المذهبيين .

واضاف المقال أن حياة الامام الشهيد الحسين بن على (عليهما السلام) تقودنا إلى اقتفاء مسلك شمولى ، يمكن المسلمين من نبذ العصبية والافات الضيقة والاختلافات ، ويجعلهم مسلمين واقعيين واخوة يسرون على خط واحد ، مثل الانصار والمهاجرين بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة المنورة ، واضعين أيديهم بعضها فى بعض .

n السودان

اختبار الموقف الاسلامى فى السودان

امام المخططات الصهيونية

يشهد العالم الاسلامى مواجهات محتدمة مع الكفر العالمى ، الذى يسعى جاهداً للتغلغل فى جسد الامة الاسلامية للهيمنة عليها اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً .

والمجتمع الاسلامى اليوم امام هذه المواجهات والتحديات بحاجة إلى ترسيخ العلاقات ، وتمتين الاواصر الدينية والثقافية والسياسية بعضه مع البعض الاخر .

إن الاحداث الاخيرة التى شهدتها الحدود الشرقية للسودان هى نتيجة التخطيط الاميركى -الصهيونى للهجوم على الامة الاسلامية ، خصوصاً وأن السودان بحكم موقعه الجغرافى يمثل البوابة الجنوبية للمنطقة العربية الاسلامية .

من جانب آخر فإن السودان هي الدولة الوحيدة التي لا تزال هناك تقاوم المشاريع الاميركية ، وقد استطاعت واشنطن تطويع الدول التي تشرف على البحر الاحمر ، ومهدت مع إسرائيل الطريق لضمان ولاء الانظمة التي تجمعها مع السودان حدود جغرافية .

وقد استغلت كل من أميركا واسرائيل تردى العلاقات السودانية - الاريتريه ، وسعتا لتعميق الهوة بين الجارين الشقيقتين ، بعد أن صنعت من اريتريا عامل قلق وبؤرة توتر في المنطقة .

وقد بدأ التنسيق مع اريتريا واضحاً خلال العدوان الاريتري على اليمن ، واحتلالها لجزر الحنيس الكبرى والصغرى . إن واشنطن تعلم جيداً أن النظام الاسلامي في الخرطوم لا يمكن إسقاطه بالعمليات العسكرية الخارجية ، لذلك فقد استخدمت اساليب جديدة ، منها خلق الازمات الداخلية ودعم المتمردين في الجنوب ، وتقوية ودعم المعارضة العلمانية في الداخل ، وتضييق الحصار الاقتصادي والعسكري عليه .

إن اهداف إسرائيل على المدى البعيد هي السيطرة على مياه النيل وثروات السودان الزراعية والحيوانية ، بالإضافة إلى تهمة وزن السودان الاقتصادي والديموغرافي في أى صراع مستقبلي في المنطقة ، سواء انجزت التسوية العربية - الاسرائيلية أم لم تنجز ، وهذا الامر لا يتيسر لهما إلا من خلال تشتيت قواه في معارك على أكثر من جبهة ، خصوصاً وأن طبيعة النظام الاسلامي في السودان قد خلقت حالة من الصحوة الاسلامية والتوجه الاسلامي في المنطقة ، مما جعل اسرائيل تفكر بأن هذا الوضع سيشكل حجرة عثرة امام تطلعاتها واطماعها من جانب ، وامام مخططات الاستسلام التي تملحها على الانظمة الاخرى من جانب آخر . على صعيد آخر فإن اسرائيل تطمع في تقسيم السودان من اجل جعل نهر النيل خارجاً عن السيطرة ، وتحت رعاية اسرائيلية تتحكم فيه للضغط على مصر من خلاله ، خصوصاً وأن الكيان الصهيوني يعد مشاريع مائة لعدد من الدول الافريقية .

إن السودان نظاماً وشعباً استطاع أن يقاوم ويجهض كل المؤامرات التي استهدفته أرضاً وشعباً ، بل ازدادت ثورته صلابه واستقطبت الجماهير المسلمه داخلياً والامه الاسلاميه خارجياً .

وأخيراً غيّر التحول الاسلامى الذى يشهده السودان الكثير من المعادلات الدوليه والاقليميه فى المنطقه ، وجعل القوى الاستكباريه تفكر بجديّه فى اجهاضه بشتى الوسائل ، (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) صدق الله العلي العظيم.

n لبنان

هل حل العلمانيه بديلاً للطائفية

تعرّض الاعلام الدينى الاسلامى لمحاولات إلغاء تحت ذريعه اطار التنظيم لوسائل الاعلام المرئى والمسموع . وإن الغايه من اخضاع الاعلام الدينى للاشراف الرسمى ونظر السلطه هى توجيه الناشئه الوجهه التى تريدها . وتتضح النوايا عندما نرى تزامن هذا المشروع مع طرح مشروع تعديل قانون الاحوال الشخصيه ، الذى يهدف إلى طرح العلمانيه الشامله بدلاً من الطائفية السياسيه ، ومن ثم العمل لمكافحه الالتزام الدينى وحذف كل ما يتعلق بعنصر الدين من المرافق والانشطه الحيويه ومراكز التعليم . ولعل إلغاء ماده التعليم الدينى من المناهج الدراسيه خير دليل على ذلك ، فالمناهج التربويه الجديده المزمع اقرارها فى المدارس لا يوجد فيها ما يشير إلى شىء اسمه (تعليم دينى) ، كما أن جدول توزيع الساعات الاسبويه خلا من حصه للتعليم الدينى كما لباقي المواد .

والملاحظ أن ماده الرقص مع الموسيقى أو بدونها فى مرحله التعليم المتوسطه هى البديل عن ماده الدينيه . وفى مرحله التعليم الثانويه استحدثت ماده الحضارات لتكون بديلاً عن ماده الدين .

ويحتج انصار الالغاء لماده التعليم الدينى بالامور التاليه :

١ - الطائفية هي سبب الحرب الاهلية ، والعلمانية هي الحل الامثل .

٢ - التعليم الدينى ليس له فاعلية تذكر ، ولا يوجد اهتمام للطلاب بمادة الدين .

٣ - اقرار التعليم الدينى يؤدى إلى تفريق الطلاب حسب الطوائف والمذاهب ، وهو ما يعيق الانصهار الاجتماعى .

٤ - لا توجد امكانية لتوفير اساتذة التعليم الدينى فى كل صف على عدد الطوائف ، وعدم وجود كفاءات على هذا الصعيد .

مع العلم أن مادة التعليم الدينى كانت تعاني من التهميش والاهمال .

إن الالغاء الضمنى لمادة التعليم الدينى هي خطوة على طريق العلمانية الشاملة بالمعنى المتطرف للمصطلح ، أى إلغاء الدين من النفوس بحجة إلغاء الطائفية البغيضة .

والمحصلة النهائية لهذه القرارات المتطرفة هي محاصرة والغاء الدين الاسلامى لدى طلبة المدارس ، لان بقية الديانات الموجودة ليس لها تأثير يذكر على توجيه وتربية الطلبة، باتجاه خلق جيل متدين يشعر بالمسؤولية تجاه بلده ومجتمعه ، بل إن هذه العناية والاهتمام لا نجدها إلا فى الاسلام بصفته يقدم الاطروحة الشاملة والحلول الناجحة لكل مناحى واهتمامات الفرد والمجتمع .

n فلسطين

أصدرت سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى بياناً رفضت فيه فصل قضية الخليل ، وتنفيذ باقى القضايا المعلقة فى مفاوضات المرحلة الانتقالية ، وحملت حكومته نتنياهو مسؤولية التعثر الحاصل فى عملية السلام ، فى محاولة لامتناع غضب الشارع الفلسطينى .

وجاء فى البيان ذكر نقاط الخلاف فى المفاوضات بين الطرفين ، واكد على النقاط التالية :

١ - التمسك بتنفيذ الاتفاق المرحلي بكل بنوده ، ورفض القبول بتجزئته أو الفصل بين اعادة الانتشار في الخليل وفي المنطقتين «ب» و«ج» من مفاوضات الحل النهائي .

٢ - الربط بين آلية الانتشار في الخليل وبين فتح الممر الامن والمطار، والعمل في منشآت الميناء ، واطلاق سراح الاسرى والمعتقلين وحسم الخلافات الاقتصادية ، بما في ذلك من رفع الحصار عن مناطق سلطة الحكم الذاتى .

٣ - الاصرار على تسليح تماثيل لافراد الدوريات المشتركة في الخليل وبقية مناطق الضفة والقطاع .

٤ - موافقة السلطة الفلسطينية على ترتيبات امنية محددة في الخليل، بما في ذلك من تحديد اماكن انتشار القوات الدولية الفاصلة بين الطرفين ومهماتهما .

واعلنت السلطة الفلسطينية أنها قررت القيام بتعبئة الجماهير في مواجهة اعمال التوسع والاستيطان ، وذلك عبر تسيير التظاهرات وتنظيم الاعتصامات وعقد المؤتمرات الوطنية ، للدفاع عن الارض ، والتضامن مع الاسرى الفلسطينيين .

أما الحكومة الاسرائيلية فردت بتسريب نص وثيقة «ابو مازن - بيلين» لفضح ازدواجية الموقف للسلطة العرفية ، محاولة منها لاختعاد الشارع الفلسطينى والحماس الجماهيرى المتزايد .

وتنص هذه الوثيقة التى بقيت طى الكتمان منذ الاتفاق عليها فى العام ١٩٩٥م ، على قيام الكيان الصهيونى بضم ثلاثة تجمعات استيطانية : فى شمال غربى الضفة الغربية ، وفى جنوب جبل الخليل ، وفى منطقة القدس . على أن يحصل الفلسطينيون بالمقابل على مساحة من الارض فى النقب إلى الجنوب من قطاع غزة . كما تنص الاتفاقية على أن تبقى القدس عاصمة للكيان الصهيونى .

وبدأ الكيان الصهيونى فعلاً بإنشاء مستوطنات جديدة فى القدس لاجل تهويدها . وأعطت حكومة نتياهو الضوء الاخضر لمشروع بناء حى استيطانى فى القدس فى جبل ابو غنيم ، مما جعل المجموعة العربية فى الامم المتحدة تلجأ إلى مجلس الامن

، بعد اعلان الحكومة الاسرائيلية موافقتها على بناء الحى اليهودى الجديد فى جبل ابو غنيم فى جنوب شرق القدس ، إلا أنهم اصابوا بخيبة أمل عندما اعلن الوفد الاميركى فى الامم المتحدة أن مجلس الامن ليس الهيئه المناسبه لمناقشه المسائل الثنائيه الاسرائيلية - الفلسطينية ، وأن أىّ تحرك مثل هذا للامم المتحدة قد يسىء إلى عملية السلام .

وحدد الاميركيون موقفهم بوضوح عندما اتخذوا حق النقض (الفيتو) لتعطيل مشروع قرار اوربى ، يطلب من السلطات الاسرائيلية تجنب أى اجراء أو تحرك من شأنه تغيير الوضع على الارض ، بما فى ذلك من إقامة مستوطنات جديدة .

وبهذا النقض اعطت اميركا الضوء الاخضر لاسرائيل بتهويد القدس .

إن الفيتو الاميركى يعنى استهتار واستخفاف كل من اميركا والصهاينه بالموقف العربى والحقوق الاسلاميه، ويرجع هذا كله إلى طبيعه التعامل العربى الرسمى المتخاذل مع اميركا والكيان الصهيونى .

ففى الوقت الذى يعلن فيه نتيهاو اقامه حى يهودى فى القدس الشرقيه ، يعلن عرفات أنه ضد العنف ويمنع الشعب الفلسطينى من مواجهه مخطط الاستيطان الصهيونى ، ويذهب إلى واشنطن ليعلن من هناك أن نتيهاو شريكه فى السلام ، ويعلن أيضاً أن الاميركيين يتفهمون المطالب الفلسطينيه .

وفى الوقت الذى يعلن نتيهاو اغلاق المؤسسات الفلسطينيه فى القدس الشرقيه ، نرى حسنى مبارك يستقبله ويدعو إلى تهدئه الموقف من جانب الفلسطينيين ، ليساعد الكيان الصهيونى على تمرير مخططة الاستيطانى فى القدس .

إن المواقف العربيه الرسمىه لم تكن بالمستوى المطلوب ، وتعتبر من العوامل المساعدة فى اهدار الحقوق الفلسطينيه ، وتضييع القدس الاسلاميه ، غير أن ثمة بوادر صحوة ضمير ، ومواقف وردود فعل بدأت تظهر داخل اوساط سلطه الحكم الذاتى .

ويأمل الشعب الفلسطينى المسلم وباقى الشعوب الاسلاميه ، أن يتطور هذا الموقف وهذه الصحوة إلى موقف يأخذ موقعه على الصعيد العملى .

وعلى صعيد آخر عقدت في القاهرة ندوة اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية ، حضرها نخبة من المثقفين الاسلاميين والسياسيين المصريين ، وطالبوا بإيجاد خطاب سياسى قوى وموحد لمواجهة التعتن الصهيونى ، واعادة الاعتبار لفلسفة الاستشهاد وثقافة الحرب والجهد ، واستخدام المصطلحات الاسلامية فى صياغة هذا الخطاب .

وأعلن السياسيون المصريون رفضهم للحوار مع اليسار الصهيونى ، مشيرين إلى أنه لا فرق بين يسار أو يمين داخل الكيان الصهيونى ، ووضحوا أنهم جميعاً مغتصبون للأرض والتاريخ والمستقبل .

كتاب « مكان تحت الشمس »

فى عام ١٩٩٦م نشر بنيامين نتيناهو كتابه الذى ترجم بعنوان «مكان تحت الشمس» ، وقد حمل الكتاب خلاصة افكار وآراء ومتبنيات نتيناهو ، التى اصبحت فيما بعد أساس حملته الانتخابية التى تمكن خلالها من الوصول إلى الحكم رئيساً لحكومة الكيان الصهيونى الغاصب . فما هى ابرز الافكار التى يعرضها نتيناهو ؟

بعد أن يعرض ادعاءات الفكر الصهيونى الزاعم للحق التاريخى لليهود فى امتلاك ارض اسرائيل ، التى أخرجوا منها بالقوة على يد ما يسميه بالاستعمار العربى (الاسلامى) ، يطرح النقاط التالية :

١ - أن اليهود لم يسلبوا العرب المسلمين ارضهم ، وإنما العرب هم الذين سلبوا أرض اليهود ، كما جاء فى الصفحة (٩٦) من الكتاب ، ومن هنا كان عدوان اسرائيل على العرب والمسلمين بنظره هو استرداداً لحق مسلوب ، وسيستمر العدوان حتى تُسترد اسرائيل (الغاصبة) ما تعتبره كامل حقوقها .

٢ - أن الحق التاريخى لليهود يبرر كل الممارسات الاسرائيلية فى المنطقة ، أى كل الاساليب الصهيونية العدوانية واللاانسانية فى حربهم لآبناء الشعب الفلسطينى المسلم ، واستباحة الحقوق المشروعة لكل من يقف امام الامتداد الصهيونى ، سواء فى داخل فلسطين أو خارجها .

٣ - إيمانه بالمبدأ القائل : إن صاحب القوة هو صاحب الحق ، كما جاء فى الصفحة (٨٣) ، وبناء على هذا المبدأ تكون اسرائيل هى صاحبة الحق فى السيادة على (ارض اسرائيل) ، وبذلك يكشف نيتها عن إيمانه والتزامه بشن حملة إبادة منظمة للوجود الفلسطينى ، فى كل ما يعتبره ارض اسرائيل التاريخية الممتدة من الفرات إلى النيل ، مؤكداً أن الصراع بين الطرفين هو (حرب وجود وليست حرب حدود) .

ثم بعد ذلك يُحذر نيتها الصهيونية من تقديم أى تنازلات فى سبيل ما أسماه (تعايش عربى يهودى فى المنطقة) ، فكل دعوة للتنازل هى فى نظره تفريط بالحق التاريخى لليهود ، ثم يناقش مسألة السلام ، ويؤكد رفضه للسلام القائم على التنازلات ، حيث يدعى أن اسرائيل قدمت تنازلات كثيرة إلا أنها لم تحصل على السلام ، لذا يطرح مفهومه للسلام فيقول فى الصفحة (٢٩١) : «إن السلام بين اسرائيل وجاراتها هو سلام ردع ، وإن احتمال تحقيقه يتوقف توقفاً مباشراً على قدرة اسرائيل فى الردع ، فكلما بدت اسرائيل أقوى أبدى العرب موافقتهم على ابرام سلام معها » .

وقد أكد نيتها على اليهود فى العالم مطالباً إياهم بالهجرة الجماعية السريعة إلى اسرائيل ، كما جاء فى الصفحة (٣٧٢) ومن ثم فهو يصر على رفض قيام دولة فلسطينية ، وعلى التمسك بالجولان والضفة الغربية اللذين يعتبرهما قلب (الوطن اليهودى) بما فى ذلك مدينته القدس ، مندداً بما اقدم عليه بيريز من التفريط بغزة واريحا والخليل وبعض مدن الضفة الغربية ؛ فاسترداد كل الحقوق التاريخية لليهود التى يؤمن بها الصهيونية ، وقهر العرب والمسلمين ، وفرض خضوعهم لارادة اسرائيل ، هى السلام الحقيقى كما يفهمه نيتها .

وفى مكان آخر من الكتاب يبرز تخوفه من الاسلام ، ويقول إنه ليس عدواً لاسرائيل فقط ، وإنما هو عدو العالم كله ، لذلك كان قيام جبهة عالمية فى وجه الاسلام أمراً ضرورياً لاستئصاله والقضاء عليه .

وبناء على ذلك يمكننا أن نستنتج أن فكر نتنياهو هو عودة إلى الفكر الصهيوني الكلاسيكي المتمتت ، والطامح إلى بناء اسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل بالقوة العسكرية ، والهادف إلى جلب يهود العالم إليها على انقاض الامة الاسلامية ، وهذا هو جوهر الفكر الصهيوني منذ هرتزل إلى نتنياهو ، مروراً بوايزمن وبن غوريون وبيغن وعشرات غيرهم .

وأخيراً يمكن أن نصف الكتاب بأنه عبارة عن مراجعة للفكر الصهيوني ، وتعريف بتاريخ اليهود القديم والحديث ، ودراسة للفكر التنظيري المستقبلي للحركة الصهيونية العالمية .

n الجمهورية الاسلامية الايرانية

الجمهورية الاسلامية وحركة عدم الانحياز

إن الجمهورية الاسلامية في ايران - منذ اللحظة الاولى لانتصار الثورة الاسلامية المباركة حتى يومنا هذا - تعرضت إلى العشرات من المؤامرات والدسائس والمخططات العدوانية من قبل الدول الغربية والاستكبار العالمي ، وعلى رأسها اميركا والكيان الصهيوني ، لذلك فليس من الغريب أن تستخدم بعض الدول الغربية تعابير خاطئة مشوشة حول ايران الاسلام وقدرتها وقادتها ، وغالباً ما تقود الحملات السياسية والاعلامية ضد النظام الاسلامي لغرض محاصرته وإضعافه ؛ لاعتقادها بأن الحكومة الاسلامية لن تستطيع الاستمرار في نهجها الذي انتهجه لها مؤسس الجمهورية الاسلامية الامام الراحل (قدس سره) ؛ إلا أننا نجد اليوم ايران الاسلامية وهي اشد عزمًا وارسى قواعد .

لقد استطاعت ايران الاسلامية أن تحقق تطوراً وتقدماً تنموياً مدهشاً وملموساً للجميع ، وذلك بفضل قيادتها الحكيمة وسياساتها الصائبة سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي ، وكذلك على صعيد العلاقات مع دول العالم ، والمشاركة في المؤتمرات العالمية .

فعلى صعيد الاصلاحات المبدئية لميثاق حركة عدم الانحياز ، ومشاركة الجمهورية الاسلامية فى اتخاذ القرارات الدولية واهمية قضايا التنمية الاقتصادية ، اكدت الجمهورية الاسلامية لزوم الارتقاء بمستوى دور حركة عدم الانحياز فى القضايا الدولية ، وضرورة التشاور المنظم لتوحيد الرؤى والمواقف بين الدول الاعضاء فى الحركة .

وطالبت ايران الاسلامية حركة عدم الانحياز أن تولى اهتماماً متزايداً فى مجال القوانين فى العلاقات الدولية ، والحظر الكامل لاسلحة التدمير الشامل ، وأن تهتم بالقضايا البعيدة المدى ، والمشاريع والمواقف التى تطرأ بفعل الاحداث المستجدة والمعاصرة فى المجتمع الدولي ، وأن تلعب دوراً فاعلاً داخل منظمة الامم المتحدة من أجل القضاء على الفقر والمجاعة فى العالم .

الجمهورية الاسلامية والجمعية العامة

للامم المتحدة

إن الجمعية العامة للامم المتحدة يجب أن تكون مظهراً يجسد مبدأ المساواة ، فى حاكمية وسيادة الدول فى كافة مجالات الاهتمام الدولي ، وإن المبادئ الاساسية لميثاق الامم المتحدة تنص على المساواة والسيادة والمشاركة الكاملة لجميع البلدان الاعضاء فى المنظمة الدولية ، فى اتخاذ قرارات هذه المنظمة . هذه هى النظرة الواقعية للجمهورية الاسلامية فى ايران ، وهى تمارس دورها فى المنظمة من خلال هذه النظرة ، لذلك فقد اكدت الجمهورية الاسلامية أن أى تغيير فى هيكلية الامم المتحدة يجب أن يعزز ويقوى المبادئ الاساسية لميثاق المنظمة الدولية .

وعلى صعيد المشاريع المقدمة والمقترحة لاجراء التغييرات فى هيكلية مجلس الامن ، شددت الجمهورية الاسلامية على ضرورة التمحيص والدراسة الدقيقة ، للتوصل إلى قاعدة واساس يكون موضع قبول جميع الدول .

محكمة ميكونوس علامات استفهام

إن قرار محكمة ميكونوس الزائف والجائر لم يكن الفصل الأخير في مسلسل المؤامرات الاميركية والصهيونية ضد ايران الاسلامية حكومة وقيادة وشعباً . ومادامت الجمهورية الاسلامية صامدة في مواقفها مدافعة عن حقوق المحرومين والمستضعفين في العالم الاسلامي ، فإنها ستواجه هذه المؤامرات والدسائس .

استند حكم محكمة ميكونوس الجائر على افادات أشخاص تلطخت ايديهم بدماء هذا الشعب المسلم ، امثال طريد العدالة بنى صدر وزمرة المنافقين ، وجاء افتعال هذه الضجة بالتنسيق مع القضاء الالمانى ، من أجل ارضاء الشيطان الاكبر والمحافل الصهيونية ، خصوصاً بعد اعتراف القادة الاميركيين بفشل محادثات مسيرة التساوم في الشرق الاوسط ، وقد اثرت هذه الضجة من اجل التغطية على هذه الفضيحة ، وإجبار ايران الاسلامية على رفع العقوبات من امام مسيرة التساوم .

إن الشعب الايراني المسلم وجميع الشعوب الاسلامية الحرة تستنكر الالهانة التي وجهتها السلطة القضائية ، وبعض المسؤولين الالمانيين للمقدسات والقيم الاسلامية ، ويجب على الالمانيين أن يقدموا تفسيراً واضحاً بهذا الشأن ، وأن يستعدوا لتحمل عواقب خطوتهم هذه .

إن جذور هذا الاجراء الاعلامي لمحكمة محلية في ألمانيا ، تعود إلى السياسة الاميركية المغرضة . ولو انصفوا وجانبوا الباطل لعرفوا أن الشعب الايراني المسلم هو الضحية الكبرى للارهاب في التاريخ العالمي المعاصر ، حيث تعرض المئات من خيرة رجاله وشخصياته الفكرية والسياسية لعمليات ارهابية جبانة لعملاء الاستكبار العالمي ، وهو يبدي معارضته لاي شكل من اشكال الارهاب ، ويسعى إلى مكافحة هذه الافة بكل ما أوتي من قوة .

إن الدول الغربية - وعلى رأسها اميركا التي تدعى مكافحة الارهاب - هي في الحقيقة من اكبر الدول الارهابية في التاريخ ، وإن ملف جرائمها ضد البشرية بذريعة تأمين مصالحها لازال ماثلاً في اذهان العالم اجمع ، وما دعم اميركا اللامحدود للكيان الصهيوني وسياسة التمييز العنصري لهذا الكيان ، إلا دليل واضح على ما نقول .

مواقف مبدئية

وصف قائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى السيد الخامننى المواقف العدائية - على اثر الاحكام الجائرة لمحكمة ميكونوس -
لوزراء خارجية الاتحاد الاوربي ضد الجمهورية الاسلامية بأنها وقحة وخاطئة وغير مؤدبة .

وأكد سماحته أن الحكومات الاوربية فاقت باقى الحكومات فى انتهاكها لحقوق الانسان خلال القرن الحالى ، وهى التى اشعلت
حربين عالميتين مدمرتين ، واستعمرت عشرات الدول فى العالم ، وواصلت افسادها خلال عصرنا الحاضر ، واقترن وجودها مع
هذه الانتهاكات .

واليوم نراها تلتزم الصمت حيال الجرائم الصهيونية المتواصلة فى الاراضى المحتلة ، وقصف المناطق السكنية الاهله فى لبنان ،
وتنفيذ عمليات خطف سكان القرى اللبنانية الحدودية ، ولم تتخذ أى موقف بشأنها ، كما أن المجرمين الذين قتلوا آلاف
الابرياء فى البوسنة والهرسك أو دفنوهم احياء ، يتسكعون اليوم فى شوارع المدن الاوربية بكل حرية ، ولا يتعرض لهم احد .

كما أن سماحته استغرب من قرار الاتحاد الاوربي المتضمن قطع الحوار النقدي مع الجمهورية الاسلامية ، قائلاً إن استخدام
مصطلح الحوار النقدي للتعبير عن الحوار بين اوربا وايران كان خطأ منذ البداية .

إنهم هددوا الحكومة الاسلامية بقطع الحوار النقدي ، بينما نلاحظ عدم أهمية مثل هذا الحوار بالنسبة للجمهورية الاسلامية ؛
لأنها لم تكن هى التى طلبت ذلك .

كما وصف قائد الثورة الاسلامية اعداء الشعب الايرانى المسلم بالظالمين وذوى القلوب المريضة .

واكد سماحته قائلاً إن الشعب الايرانى المسلم ملتزم بمواقفه المبدئية الصلبة كالجبل الاشم ، لا يعير أية أهمية لتصريحات
ومواقف وزراء خارجية الاتحاد الاوربي ، ويجب على الحكومة الاسلامية أن تقف بكل قوة امام اجراءاتهم الخبيثة ، ويجب أن
نلتزم بالصبر والتريث واستثمار الفرص المناسبة لاتخاذ القرار الصائب ، الذى يصب فى مصلحة الاسلام وعزته .

حق الشعب وحرية فى الاسلام

لا فى ديمقراطيتهم

اضافت الجمهورية الاسلامية فى ايران صفحة ذهبية إلى صفحاتها الرائدة ، من خلال مراعاتها بدقة بالغه الشروط المطلوبة لترسيخ رأى الشعب واشراكه فى اتخاذ القرار ، وذلك من خلال حجم المشاركة الواسعة لهذا الشعب الواعى ، فى الحملة الانتخابية الرئاسية ، التى كانت لها اصداء واسعة على الصعيدين الدولى والاقليمى .

وبالرغم من كل الحملات الاعلامية المضادة ، استطاعت الجمهورية الاسلامية من خلال ممارسة صحيحة لتداول السلطة ، أن تخرج الدول الاستعمارية ومن يدور فى فلكها ، لتجعل من تجربتها هذه نموذجاً فريداً ، ترك كل ادعاءات تلك الدول فى مطاوى التجارب المتخلفة والشعارات البالية ، وفى مقدمة تلك الدول الولايات المتحدة الاميركية ، التى اعتاد اعلامها المضلل على ترويج اكاذيب حول حقوق الانسان فى ايران . فقد وجهت لها تجربة الاسلام فى انتخابات الرئاسة فى ايران ، لطمه قوية ، ولكل مقولات وتنظيرات الساسة الغربيين اعداء الاسلام ، التى تتهم النظام الاسلامى فى ايران والنظم الاسلامية ، بشكل عام بالذكتاتورية ، والارهابية والاستبدادية ، وتقييد أو سلب الحريات .

إن التجربة الاسلامية فى ايران قدمت نموذجاً رائعاً لاحترام رأى الشعب ، ومشاركته الحقيقية فى اتخاذ القرار ، يفوق كل النماذج التى تدعى الديمقراطية المعروفة ، وبمؤذجها هذا اشرق صبحها ، وتألق نجمها ، فى سماء الحقيقة الدامغة ، وأثبتت أن الحرية الحقيقية للانسانية والاحترام الحق لارادتها ، لا يتحقق إلا فى ظل النظام الاسلامى الاصيل ، لا فى ديمقراطياتهم .

n العراق

معاناة متجددة فى ظل نظام صدام

إن تدهور الأوضاع المعيشية للشعب العراقي المسلم جعله يواجه تحديات خطيرة ، فقد أصبح هذا البلد العريق بإسلامه مسرحاً لنشاط الحركات الوهابية واليهودية والمسيحية .

إن الحالة الاقتصادية المتردية التي يمر بها الشعب العراقي ، هي من العوامل المساعدة لتهيئة الجو المناسب لنشر الافكار الضالة بين ابناء هذا الشعب المسلم . وقد استغلت هذه الحالة من قبل الحركة الوهابية التي قامت مؤخراً في كردستان العراق بنشر كتب تنهجم بها على التشيع ومذهب أهل البيت (عليهم السلام) ، وعلى المرجعية الشيعية . منها :

اولاً : كتاب يا شيعة العالم استيقظوا ، مستغلة مؤلفه الشيعة لنشر افكاره المنحرفة حول عقائد الشيعة ، مدعية بأن المؤلف يفند في كتابه بعض معتقدات الشيعة .

ثانياً : كتاب الفرقة الناجية ، ويتهجم فيه على افكار الشيعة وعقائدهم .

ثالثاً : كتاب سؤال في علي بن ابي طالب ، ويتضمن روايات كاذبة يتهم الشيعة بأنهم يؤمنون بها ، وهم منها براء .

وكذلك وزعت منشورات تحت عنوان «احذروا الشيعة الروافض» ، واشترطت سجلت فيها محاضرات ضد الافكار والعقائد الشيعية بأعداد كبيرة .

وتقوم الحركة الوهابية بنشر افكارها المسمومة تحت غطاء انساني ، من خلال انشاء المستوصفات الصحية وامثالها ، وكذلك من خلال المشاركة في بناء بعض المساجد أو ترميم بعض آخر ، وخاصة في القرى ، أو من خلال وعاظ المساجد ، وذلك بدفع مرتب شهري لهم . أو من خلال الاعانات المادية للفقراء .

واخيراً عمدت هذه الحركة لشراء الكتب الشيعية من الباعة المتجولين واتلافها كي لا يطلع عليها احد .

أما الحركة اليهودية فهي تعمل سراً ويتجاهين : الاول البحث عن العوائل اليهودية التي دخلت الاسلام منذ زمن بعيد ، والتعاطف معهم لغرض اعادتهم إلى الديانة اليهودية من خلال عرض بعض المغريات ، مثل تسهيل خروجهم إلى فلسطين أو إلى أى دولة اجنبية أخرى . أما الذين يفضلون البقاء في العراق فتقدم لهم مساعدات مادية لغرض كسب ودهم وعطفهم .

والاتجاه الثاني يتمثل باستغلال بعض ابناء الشيعة الموجودين في كردستان العراق ، وذلك بالتحايل عليهم بشتى الطرق والاساليب لغرض ابعادهم عن كردستان إلى مناطق مجهولة من العالم .

وأما الحركة التبشيرية المسيحية فإنها تعمل باتجاهين مختلفين أيضاً : فهي تعمل من جهة لنشر افكار المسيحية من خلال طبع الانجيل وتوزيعه في كافة انحاء كردستان ، كما أنشأت مكاتب خاصة لهذا الغرض مهمتها اصدار الكتب والقصص التبشيرية باللغتين العربية والكردية .

والاتجاه الاخر هو العمل لافشاء الرذيلة والفساد الاخلاقي ، وخاصة بين اوساط الشباب ، من خلال توزيع اشربة الفيديو التي تحوى افلاماً منحرفة ومبتذلة ، وكذلك انشاء نواد مختلطة توزع فيها المشروبات الكحولية . وهذا غيظ من فيض مأساة الشعب العراقي المسلم .

لعبة محاكمة صدام

وعلى صعيد آخر يبدو أن المسؤولين المهتمين بالشؤون الانسانية في الحكومة البريطانية ، باتوا يفكرون بمحاكمة صدام كمجرم حرب ، بعد أن ضج الرأي العام في بلادهم بسبب الاثار السلبية التي بدأت تظهر على الجنود البريطانيين الذين شاركوا في حرب الخليج الفارسي ، متناسين حقيقة ما كانت عليه مشاعرهم الانسانية حينما كانوا يزودون صداماً بالاسلحة الكيماوية والجرثومية وغيرها من الاسلحة لضرب ايران الاسلامية ، والشعب الكردي المسلم في كردستان تعبيراً عن عدائهم للاسلام .

وقد اعلن كل من رئيس الوزراء البريطاني ، وزعيم حزب العمال ، ورئيسة الوزراء السابقة دعمهم للجهود الرامية إلى جرّ صدام إلى محكمة دولية ، بتهمة ارتكاب جرائم حرب والقتل الجماعي .

وقد نظمت هذه الدعوى ضد صدام بسبب انتهاكه القوانين والاعراف الدولية مؤخراً .

n قطر

بعد أن غزا الاسلام دياجير الظلام، وانتشرت الصحوة الاسلامية في اغلب بقاع العالم ، وارتفعت صرخات الله اكبر في عقر ديار الكفر والالحاد ، واصبح الفكر الاسلامي رائجاً بعد أن نفضت عنه الايادي الخيرة غبار التحجر والجمود ، فأجابت على الشبهات وردت الاباطيل وصفعت المنحرفين من المتلبسين بلباس الدين ، وازاحت عن وجوه وعاظ السلاطين قناع الزيف والنفاق ، فأقبل اصحاب الفطرة السليمة على الاسلام ، وآب من ابعدهم موجات الانحراف والتغرب إلى الفكر الاسلامي الاصيل ، وصار ابناء الغرب يُقبلون على اعتناق الاسلام ، فلهم في كل يوم ولادة بل ولادات جديدة ، وصوت يردد اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أخذت تطالعا بين الفينة والاخرى ادعاءات فارغة وتصريحات باطلة تطعن في امور اصبحت من البديهيات ، والمسلمات الثابتة في التشريعات الاسلامية لدى المسلمين ، على لسان مأجورى وعملاء الغرب ووسائل الاعلام الغربية . منها ما اثارته عبر قناة تلفزيونية لبلد عربي مسلم ، النائبة الاردنية توجان الفيصل ، لتعلن أن حكم تعدد الزوجات الذي يسمح به الاسلام حكمٌ بطل زمانه .

مما جعل الكاتبة المصرية صافيناز كاظم المعروفة بتوجهاتها الاسلامية ، والمشاركة لها في البرنامج التلفزيوني ، أن تغادر الاستديو احتجاجاً وغضباً على تصريحات النائبة الاردنية وتنديدها بتعدد الزوجات .

إن الغاية من تصريحات النائبة الاردنية هو اثاره مشاعر المسلمين والنيل من معتقدات الاسلام ، لذلك صدر على إثر هذا التصريح الكثير من الادانات والاستنكارات لهذه التصريحات التي تعتبر مخالفة للشرع .

وقد حمل الشيخ يوسف القرضاوى بشدة على النائبة الاردنية، ووصفها بأنها امرأة سليطة اللسان جريئة على احكام الله وحرماته ، كما انتقد خلال خطبة صلاة الجمعة في المسجد الرئيسى فى الدوحة ، قناة الجزيرة لاتاحتها الفرصة لتوجان الفيصل للكلام .

وهاجم خطباء المساجد فى قطر النائبة الاردنية بعبارات شديدة فى خطب صلاة يوم الجمعة . قال احدهم : «إننا نعانى من قضايا اخطر كثيراً من هذه القضية ، مثل ارتفاع نسبة الطلاق ، وارتفاع نسبة العنوسة فى المجتمع ، وإن هذه الموضوعات أولى بالمناقشة من استضافة امرأة لا تعرف عن شرع الله إلا القليل » .

واعتبر خطيب آخر أن دعوات النائبة الاردنية هذه تعنى إغلاق باب الحلال وفتح باب الحرام .

n المغرب

الزيارة التي قام بها المفكر والكاتب الفرنسى روجيه غارودى بدعوة من الجامعات والمؤسسات الاكاديمية فى المغرب ، ادت إلى اثاره ردود فعل فى الاوساط الصهيونية فى المغرب .

وقد ادلى السيد غارودى بحديث فى اجتماع عقد فى منزل رئيس الحزب الشعبى الديمقراطى ، حيث حضره «٤٠٠» طالب جامعى ، تحدث فيه عن تاريخ ظهور الحكومة الصهيونية .

وضمن اشارته إلى الاهمية الاستراتيجية لاسرائيل بالنسبة للغرب قال : «إنه - وبعد سقوط النظام الشاهنشاهى فى ايران - تعهدت اسرائيل بمسؤولية المحافظة على مصالح الغرب النفطية فى المنطقة» . و اضاف «إن اميركا واسرائيل يهدفان للسيطرة على العالم بأسره» .

وعقيب هذه التصريحات استنكر مكتب العلاقات الاسرائيلية فى الرباط فى بيان له ، دعوة الجامعات والمؤسسات الاكاديمية المغربية للمفكر الاسلامى السيد غارودى .

وقال السيد غارودى بعد صدور هذا البيان والاعتراض على زيارته للمغرب : «الاعتراض على زيارتي للمغرب من حق المسؤولين فى المغرب ، وليس من حق مؤسسة اجنبية» .

وحول اتهمه بعدائه للعرق السامى قال : «إن هذه ضجة اعلامية مفتعلة» . وفى معرض التحدث عن كتابه (الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية) قال : لم يجب أى أحد لحد الان على أسئلتى التى طرحتها فى كتابى . إنهم لم ينتقدونى بل حاولوا الطعن بشخصيتى ، وكنت قد انتقدت فى السابق الاصولية المسيحية وبعض اشكال الاصولية للمسلمين ، إلا أنه عندما كتبت حول الاصولية الصهيونية احوالونى إلى المحكمة» .

علماً أن كتابه هذا ترجم إلى (١٤) لغة .

وعلى هامش المؤتمر الذى عقد فى الجمهورية الاسلامية الايرانية مؤخراً ، تكريماً للسيد جمال الدين الاسد آبادى ، التقى مندوب مجلة رسالة الثقليين مع المفكر الاسلامى روجيه غارودى ، وكان هذا اللقاء فرصة مناسبة لحواره ومعرفة وجهات نظره فى الكثير من القضايا التى تهم المسلمين وقضايا الساعة . وعندما سؤل عن العدو الحقيقى للامة الاسلامية أجاب بأن العدو الحقيقى اليوم هو الولايات المتحدة الاميركية وكل من يدور فى فللكها ، وهم كثيرون ، وأن علينا فى مواجهتهم والوقوف بوجه مخططاتهم العدوانية ألا نضيع الوقت فى الصراع فيما بيننا ، وإلا فسيقضى بعضنا على بعض ، وهذا ما يفرح عدوتنا .

وقال : لقد كان الاميركيون سعداء بإذكاء نار الحرب بين العراق وايران . وعندما كانت الحرب مشتعلة بين الاتحاد السوفياتى والمانيا قال ترومان - الرئيس الاميركى فى ذلك الوقت - : اذا ضعف الاتحاد السوفياتى فعلىنا أن نساعد ، وإذا ضعفت ألمانيا فعلىنا أن نساعدنا أيضاً ، فالمهم أن يُدمَّر الاثنان .

ولذا يجب ألا نكون طرفاً واداةً فى لعبتهم التى يريدونها لاضعافنا وتفريقنا إذاً علينا قبل كل شىء معرفة العدو الحقيقى وما تبقى فإنه ثانوى .

وعن حقوق الانسان قال السيد غارودى : «إن أبشع انتهاك لحقوق الانسان هو الذى تمارسه الولايات المتحدة الاميركية ، والادلة والشواهد كثيرة على ذلك ، فمثلاً يوجد - حسب الاحصائيات التى أجريت فى الغرب - ٨٠٪ من المنابع الطبيعية فى بلدان العالم الثالث ، ولكن ٢٠٪ فقط من الاكثر ثراءً فى العالم يملكون ٨٣٪ من هذه الثروات ، أما النسبة الباقية وهى ٨٠٪ ، وهم الاكثر فقراً فى العالم ، فلا يملكون سوى ١/٤٪ منها . وهذا ما يسبب موت عدد مساو لعدد سكان هيروشيما - الذين قضوا بالقنبلة الذرية - كل يومين فى دول العالم الثالث .

هذا هو الانتهاك الحقيقى لحقوق البشر . إن أولئك الذين يدعون الدفاع عن حقوق البشر هم المنتهكون الحقيقون لهذه الحقوق .

n روسيا

ترجمة معانى القرآن الكريم

عندما اخلصت الاديبة الروسية فاليريا بوروخوفا وجهها ونيتها لله ، واتجهت إلى قراءة القرآن الكريم ، فوجئت بإحساس عجيب عبّر عنه بقولها : «لقد وجدت القرآن الكريم دستوراً ومنهجاً للانسان والانسانية جمعاء ، غطى بحقائقه جميع النواحي السياسية والاجتماعية مدعومة بمعجزات اكتشفها العلم الحديث .

لقد بهرنى حديث القرآن عن النواحي والحقائق العلمية ، ووجدته قد انفرد عن التوراة والانجيل بحقائق ودلائل علمية بارزة ، تؤكد أنه كتاب (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) كما يقول الله سبحانه وتعالى» .

وتعطى الاديبة المسلمة فاليريا امثلة تدلل على انبهارها من آيات القرآن الكريم قائلة : «عندما قرأت قول الله (وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) تأكدت أن تلك حقيقة علمية انفرد بها القرآن ، فقد اكتشف علمياً أن الشمس هي مصدر الضوء والحرارة ، أما القمر فهو سطح عاكس للضوء ، وبالتالي فإن هناك فرقاً كبيراً بينهما ، وتلك حقيقة علمية تفرد بها القرآن . أما كتب الانجيل فقد قالت إنه لا يوجد فرق بين الشمس والقمر » .

ومثال آخر تورده فاليريا تقول : «عندما قرأت في كتاب التوراة والانجيل أن الله خلق السموات والارض في ستة أيام ، وفي اليوم السابع استراح من التعب والارهاق الذي حل به . كنت في قرارة نفسي لا أصدق هذا ، فمستحيل أن يتعب الله ، وعندما قرأت الاية الكريمة التي تقول: (ولقد خلقنا السموات والارض في ستة أيام وما مسنا من لغوب) ، اطمأن قلبي وعقلي اكثر ، وازداد تعلقى بالاسلام».

وقد تحدث القرآن الكريم عن الحقائق العلمية وعن مختلف العلوم ، مثل علم التشريح وعلم الاجنة والانسجة والوظائف الحية ، وهي حقائق لم يستدل عليها الانسان إلا في القرن العشرين حينما اكتشف الميكروسكوب الالكتروني والاشعة السينية .

إن القرآن الكريم لا يعارض التقدم العلمي ، بل يدعو إلى البحث والتدقيق العلميين ، وفي هذا الصدد تقول فاليريا إنها اتضح لى جلياً أن القرآن لم يخالف الحقائق العلمية الحديثة منذ القرن السابع الميلادى ، وأنه لن يخالفها إلى قيام الساعة ، وأن الانسان كلما تقدم وازداد رقيه وتمكنه من اكتشاف خبايا الطبيعة البشرية وعلوم الطبيعة والكون ، تبين وثبت صدق قول الله تعالى : (سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

فى بداية عام ١٩٧٤م بدأت فاليريا ترجمتها لمعانى القرآن الكريم إلى الروسية ، فأعادت قراءة التراجم الاجنبية ، وبخاصة الانكليزية منها ، مرات عديدة ، وبعد اثني عشر عاماً من البحث الدؤوب استطاعت هذه الاديبة والباحثة المسلمة فى نهاية عام ١٩٨٦م ، أن تنتهى من ترجمته معانى الاجزاء العشرة الاولى من القرآن الكريم .

وبهذا العمل يستطيع ٩٦ مليون روسى مسلم فى روسيا وآسيا الوسطى ، و ١٥٠ مليون روسى فى روسيا واوكرانيا قراءة أول ترجمة صحيحة لمعانى القرآن الكريم بلغتهم .

n سيراليون

جمهورية سيراليون من البلدان الافريقية ذات الاكثرية الاسلامية ، والتي عمل الاستعمار الغربى طويلاً على اضعاف حركة الاسلام فيها ، وطمس هويتها الحضارية ، كما عمل المحتل على استغلال ثرواتها الطبيعية المهمة ، وإفقار أهلها وإخضاعهم لسيطرته ونفوذه .

تقع جمهورية سيراليون فى غرب القارة الافريقية على ساحل المحيط الاطلسى ، يحدها من الشمال والغرب جمهورية غينيا ، ومن الجنوب المحيط الاطلسى ، ومن الشرق جمهوريتا ليبيريا وغينيا .

تبلغ مساحتها (٧٤/٠٠٠ كم ٢) . أشهر مدنها مدينة فريتاون ، ومدينة بو ، ومدينة كنما ، ومدينة كابالا ، ومدينة صفدو ، عاصمتها مدينة فريتاون الواقعة فى جنوب البلاد على ساحل المحيط الاطلسى ، وهى من العواصم الجميلة .

يبلغ عدد سكان سيراليون أربعة ملايين نسمة تقريباً ، عدا المغتربين من الجاليات المختلفة الذين يصل عددهم إلى أكثر من خمسين ألفاً نسمة تقريباً .

الاكثرية الساحقة من سكان سيراليون هم من المسلمين . وتقدر نسبة المسلمين بسبعين أو ثمانين فى المئة من مجموع السكان . أما النسبة الباقية فتتنمى إلى مذاهب مسيحية ، وأديان وثنية .

أكثر المسلمين ينتمون إلى المذهب المالكى ، وهم يتعاطفون مع أتباع أهل البيت (عليهم السلام) .

تنتشر المساجد في انحاء سيراكيون كافة ، ويقدر عددها بأربعمئة مسجد تقريباً ، أكثر هذه المساجد قديم البناء ، وتكتسب طابعاً اثرياً .

ويوجد في العاصمة فريتاون حوالي مئة مسجد ، منها الجامع العتيق ، وجامع الجليل ، ومسجد الرحمة ، ومسجد مندى ، كما بنى حديثاً مركز إسلامي كبير فيها من قبل أحد التجار المغتربين ، ويتضمن مسجداً كبيراً يتسع لأكثر من خمسة آلاف مصل .
ويضم كذلك حسينية كبيرة لأقامة مجالس العزاء أيام عاشوراء ، ولأحياء المناسبات الإسلامية المختلفة ، كالأحتفالات في أعياد الفطر السعيد والأضحى المبارك والغدير الاغر ، وكذلك يضم المركز مكتبة عامة للمطالعة ، وقاعة للاجتماعات والمحاضرات ، ومغتسلاً للاموات ، ومدرسة ، ومستوصفاً لمعالجة المرضى .

ويقدر عدد المدارس الأهلية الإسلامية في الوقت الحاضر بحوالي (١٥٠) مدرسة ، تعلم أبناء المسلمين القراءة والكتابة والأحكام والعقائد الإسلامية . كما تربيهم تربية دينية .

n تركيا

الإسلاميون وتحديات التعددية السياسية

يدور في الأوساط السياسية الإسلامية والدولية نقاش حول قدرة الحركات الإسلامية ، على إدارة دفة السلطة بعد الفوز في الانتخابات الدستورية ، فالكثيرون من غير الإسلاميين يرون في وصول الإسلاميين إلى السلطة ، عن طريق الأسلوب الديمقراطي أو الانقلاب العسكري ، طريقاً للاستفراد بالحكم وحرمان الآخرين منه ، ولذا فإن الإعلام الموجه في العالم الغربي يدفع باتجاه اضطهاد الإسلاميين وحرمانهم من المشاركة السياسية ، أو ابتزازهم إذا تمكنوا من تحطيم جدار الشك والتعتيم ، وحصلوا على فوز ساحق هنا وانتصار معتبر هناك .

وقد شهدت السنوات الاخيرة وخاصة الثمانيات وبداية التسعينات صعوداً كبيراً للتيار الاسلامى . وقد تجاوز هذا التيار حدود الصراع الفكرى ليكون احد الاطراف المشاركة فى عملية التغيير السياسى . فى اغلب بلدان العالم الاسلامى ، وليحظى باهتمام دولى كبير ، ونواجه عداءً متزايداً من قوى دولية لم تأخذ الظاهرة السياسية الاسلامية على أنها واقع ينبغى دراسته والتعامل معه بصورة عقلانية وواقعية ، وانما يحركها العداء التاريخى للإسلام ، لتحارب من يتبناه ويتخذه شعاراً فى نشاطاته السياسية والثقافية . وتصف من يرفع الشعارات الاسلامية بالتطرف والارهاب .

فى حين لم يعارض بعض الاسلاميين ممارسة العمل السياسى القائم على التعددية السياسية ، والتنافس على كسب اصوات الناس عبر شعارات وبرامج سياسية تستجيب لمطالبهم وطموحاتهم . بل حاول الاسلاميون فى العديد من البلدان - كتركيا مثلاً - الاندماج فى الواقع السياسى كما هو قائم ، دون مناقشة العديد من جوانب هذا الواقع التى لا تتسجم مع التعاليم والمفاهيم ، التى تربوا عليها سنوات طويلة . ورغم تبنى البعض من الاسلاميين فكرة أن الديمقراطية صيغة حضارية للحكم لا علاقة لها بحضارة الاسلام ومفاهيمه السياسية ، يرون فى بعض جوانبها تطبيقات عملية تصلح للواقع المعيشى ، فى حين يرى علماء الدين أن النظام الاسلامى هو افضل الانظمة الانسانية لانه يوفر توازناً بين الدنيا والاخرة ، يحقق نظاماً سياسياً واجتماعياً عادلاً ، فلو طبق فى شعب من الشعوب لوفر له السعادة والرفاه ، لكنهم فى غياب تطبيق الاسلام بصورة كاملة لا يمانعون من ممارسة العمل السياسى ، ضمن الديمقراطية القائمة على اعطاء الشعب حق الاختيار من التحديات مقابلة الاسلام بالعلمانية .

لقد لوحظ فى تجربته وصول الاسلاميين الاتراك ممثلين بحزب الرفاه إلى السلطة ، بمشاركة حزب الطريق القويم العلمانى ، أن الكثير من ممارسات الضغط قد سلطت عليهم لكى يخففوا من اندفاعهم فى تنفيذ وعودهم السياسية ، التى تميل إلى تأكيد هوية تركيا الاسلامية ضمن ما يسمح به نظام علمانى قائم على ضوابط صارمة ، تعزل الدين عن أى مظهر من مظاهر السلطة .

وفى كل مناسبة أو أزمة يتم التلويح بالجيش التركى ، الذى يعتبر نفسه حامياً لمصالح العلمانية التركية . وتتولى الولايات المتحدة الاميركية ووسائل اعلامها مسؤولية التهديد بالجيش ، لردع حزب الرفاه عن تنفيذ بعض مشاريعه ، وكذلك اثاره

المؤسسة العلمانية التركية التي تضم وجوهاً عديدة في الساحة السياسية التركية ، ضد الحكومة القائمة ، وتصوير الامور وكأنها تتجه نحو أزمة أو كارثة ، مما يستدعى من الجيش المبادرة بالانقلاب لتصحيح الاوضاع .

كما تعمل الولايات المتحدة على تهويل نشاطات الحكومة التركية الحالية ، واثارة القوى والعناصر التي لا ترغب في منح الاسلاميين فرصة الاحتكاك بالواقع السياسى لاكتشاف قدرتهم على ادارة البلاد .

الكشف عن عدم مصداقية

دعاوى العلمانيين

واليوم نرى ضعف بنية النظام العلمانى ، حيث تهدده قرارات مثل حرية اللباس ، وبناء مسجدين ، والموافقة على الحج برأ ، واعطاء الناس حرية التبرع بجلود الاضاحى التي تنحر يوم عيد الاضحى المبارك .

وقد فشلت القوى العلمانية فى تبرير موقفها المعادى ، خصوصاً وأن الحجاب منتشر فى كل مكان من تركيا ، وأنه وفقاً لمبادئ العلمانية، يمكن الانسان أن يعيش وفقاً لما يعتقد ، بل إن المعارضين لاطلاق حرية اللباس رفضوا اقتراحاً باجراء استفتاء عام فى ذلك يلزم الجميع .

والاعجب من كل ذلك هو تدخل الجيش فى الامور الدينية عندما يكون الامر لصالحه ، ومنها مسألة التبرع بجلود الاضاحى حيث يعارض المتحدثون باسمه من العلمانيين اعطاء الحق للمواطنين بالتبرع ، رغم أن ذلك من ابسط حقوق الانسان .

اخراج الضباط المتدينين من الجيش

قام كبار ضباط القوات المسلحة التركية فى اجراء عاجل بعزل العشرات من الضباط والمراتب من الجيش .

وتقول مصادر تركية مطلعة إن السبب الحقيقي الذى يكمن وراء اخراج هذه المجموعة من الضباط ، هو قيامها باجراء اتصالات مع الاحزاب الاسلامية فى تركيا .

n ألبانيا

مستقبل المسلمين المجهول

بين الدور الاميركى والمصالح الاوربية

عصفت فى الاونة الاخيرة احداث وصراعات متتالية فى ألبانيا المسلمة، جعلتها تتصدر قائمة الدول التى تشكو من عدم الاستقرار السياسى والثبات الاجتماعى . واتخذت الاحداث بعداً خطيراً حينما فُجئ الناس فلم يجدوا دولة ولا حكومة ولا اجهزة حكومية تمسك بزمام الامور ، بل الفوضى قد عمت البلاد . ويقول المراقبون إن هذه الحالة لم تحدث مسبقاً بهذه السرعة فى دولة من دول العالم . فماذا يدور فى ألبانيا ؟ . نحن لا نريد فى معرض الاجابة على هذا السؤال الدخول فى تفاصيل وجزئيات ما يحدث ، إلا بقدر ما يهمنا من معرفه اوضاع المسلمين فى تلك الدولة التى تقع فى قلب اوربا ، والتى كانت فترة طويلة تئن تحت وطأة الحكم الشيوعى ، حتى تحررت منه مؤخراً بعد انحسار الشيوعية وانهيار النظرية الماركسية .

تكتسب ألبانيا اهميتها حينما نعرف أنها تتمتع بموقع جغرافى فريد ، ومناخ يصعب أن نجد مثيله فى أوربا مجتمعة ، بالاضافة إلى زيادة فرص الاستثمار الحقيقية فى هذا البلد البكر (بلد المستقبل كما قال أحد رجال الاعمال اليونانيين) .

إن أميركا - حسب ما يقول المراقبون - ترغب فى أن تكون البانيا قاعدة عسكرية لها ، مما يعزز وجودها داخل المنظومة الاوربية ، ومن ثم يمكنها السيطرة على الوضع فى البلقان كاملاً ، لتتمكن من قيادة الناتو عسكرياً ، ويظل أمن اوربا كله فى يد أميركا . ومن هذا المنطلق ترى اميركا فى اشغال الموقف فى البانيا فرصة مواتية ، ومناسبة للقضاء على الدور الاوربى الذى أخذ بالتزايد

فى العقود الاخيرة ، خصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفياتى ، والتغيرات السياسية التى طرأت على دول اوربا الشرقية . ولعل الطريقة التى حُسمت بها الحرب الدموية التى حصلت فى البوسنة والهرسك ، والتى جاءت وفق الطرح الاميركى ، خير شاهد ودليل على ما ذهب إليه المحللون والمراقبون السياسيون .

وبمناسبة ذكر الصراع الذى جرى فى البوسنة والهرسك يقفز إلى الذهن صور الاحداث المروعة ، والممارسات البشعة التى أُلتم بالمنطقة ، وتنافض المواقف الدولية والملابسات التى افرزتها الحلول السياسية وقتها ، مما يدعو إلى أن تدور بخلد المرء أسئلة كثيرة وهو يشاهد ما يحدث فى ألبانيا . فلماذا تشتعل الصراعات فى اوربا حيث يوجد المسلمون او راحة المسلمين ؟ هل هو ثار قديم لن تنساه اوربا حين فتحتها المسلمون وحكموها مدة طويلة من الزمن ؟ ولماذا كانت البوسنة ثم الشيشان ثم ألبانيا ؟ وهل لان الشعب الالبانى غاليته من المسلمين وإن كانوا لا يعرفون عن الاسلام شيئاً ؟ واخيراً هل ما يحدث فى ألبانيا حرب اهلية ؟ أم مخطط لتقسيم ألبانيا إلى جنوب يونانى ارثوذكسى ، وشمال ايطالى كاثوليكي ، وعلى المسلمين السلام ؟ . ولا يسعنا فى هذه العجالة أن نجيب اجابات شاملة عن هذه الاسئلة ، بقدر ما نريدها أن تكون إثارات فى طريق القارئ المسلم ، كى لا تمر الاحداث التى تعصف بالمسلمين مروراً عابراً ، دون الاعتبار بها والوقوف على حقيقة العداء الذى يكنه الغرب والاستكبار العالمى للإسلام والمسلمين فى أية بقعة من بقاع العالم . ولكن نشير إلى مسألة مهمة نجمل من خلالها الاجابة على التساؤلات المطروحة بما يناسب المقام ، حيث تعد التركيبة السكانية لالبانيا من المؤشرات المهمة التى تقودنا لمعرفة أهداف الصراع القائم ، فالمسلمون يمثلون أكثر من ٨٥٪ ، كما يمثل المسيحيون النسبة الباقية وهم قسمين : ارثوذكسيون فى الجنوب ، وكاثوليكيون فى الشمال ، ولان المسلمين يشكلون الاغلبية فإن نظرة اوربا إلى ألبانيا دائماً مرتبطة بهذه النسبة ، وبالصراع القديم الذى جرى فى اوربا ، الامر الذى يدفعها إلى التدخل إما لعزل الالبانيين عن تراثهم الاسلامى وجذورهم الدينية ، أو للقضاء عليهم وذلك بتركهم نهياً للواقع الاقتصادى المتردى ، أو بتركهم تحت الاحتلال كما هو الحال فى كوسوفو ، ومن ثم تتحكم هذه الامور والعوامل فى ابراز ردود فعل ومواقف من شأنها تأجيج الصراعات والفتن ، حتى تفقد هى نفسها السيطرة عليها ، ومن ثم تأتى أميركا لتدخل حفظاً للتوازن . وطبيعى أن يكون تدخلها لغير صالح المسلمين .

الدور الاسلامى ونداء المسؤولية

منذ انفتاح ألبانيا على العالم ، وتصدع الجدار الحديدى الذى كان يحيط بها ، وانتخاب أول حكومة مستقلة فى عام ١٩٩٢م ، اهتمت اوربا بألبانيا اهتماماً خاصاً ؛ لعلمها بأن الغالبية مسلمون ، لذلك فقد سارعت إلى احتوائها ضمن منظوماتها المختلفة ، ومؤسساتها المتنوعة على كافة المستويات ، وأعدت عليها من وسائل اللهو والترفيه مالا يتناسب والوضع الاقتصادى والظروف المعيشية لها ، وسخرت وسائل الاعلام على طريق افساد الشباب واغراقهم فى احوال الانحراف والضياع ، فانتشرت الجريمة وتفشيت تجارة تهريب السلاح وتجارة المخدرات ، ولا سيما بعد تغلغل المافيا الايطالية فى الاراضى الالبانية. هذا من جانب ، ومن جانب آخر قامت الكنيسة فى اوربا بإعادة ما أغلق من كنائس ، وبناء الجديد منها ، وتدافعت الهيئات التنصيرية والمحافل التبشيرية لاغتنام الفرص ، والحصول على مواطنى أقدام لنشاطاتها بمختلف الوسائل وبذرائع شتى ، خصوصاً عن طريق جلب المساعدات العينية والمادية والخبرات المختلفة من اوربا إلى ألبانيا . وهذه المسألة تجعلنا نتساءل عن دور العالم الاسلامى فى هذه المرحلة الحساسة من عمر ألبانيا المسلمة ، وما قدم المسلمون للشعب الالبانى المسلم ، خصوصاً والموضوع يتعلق بحيشة شعب كامل يمتاز بجذوره الاسلامية عبر مئات السنين ، وبصالته التاريخية الضاربة فى عمق ازمنة الفتوحات الاسلامية ، التى انارت ظلام اوربا فى القرون الوسطى بنور الاسلام ، ويتعلق بوجود وهوية شعب مسلم اراد له اعداء الاسلام أن يبتعد عن دينه وعن هويته ، كى يسهل استغلاله والتسلط عليه باسم المدنية والتحرر تارة وباسم الثورة على الظلم وكل ما هو قديم ، واعتماد نظريات الاتحاد والعلمانية تارة أخرى . ويؤسف أن يأتى الجواب يكتنفه الخجل والحيرة أن لا شىء يستحق أن يذكر أو يتناسب مع خطر الوضع الحالى ، أو مع ما تقوم به بقية الاطراف المناوئة للإسلام لاحتواء الوضع الالبانى لصالحها ، ومسح الهوية الاسلامية لهذا الشعب .

n الاسلام والغرب

فلسفة «فصل الدين عن السياسة»

في منظور الغرب

نال القس كارلوس بلو جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٩٦م ، وهو من القساوسة النشطين في جزيرة تيمور الشرقية ، التي تبلغ نفوسها (٨٥٠) ألف نسمة ، وهذه الجزيرة كانت مستعمرة برتغالية حتى استولى عليها الاندونيسيون قبل واحد وعشرين عاماً . ويعتق ٨٥٪ من سكان الجزيرة المذهب الكاثوليكي الان . ولم تكن هذه النسبة تتجاوز الـ ٣٠٪ سنة ١٩٨٥م ، حيث لعبت الكنيسة الكاثوليكية في الجزيرة دوراً كبيراً في تغيير عقائد الناس وجرهم إليها ، مما دعا إلى أن تعلن الفاتيكان والبابا بنفسه مراراً تأييده للقس كارلوس والكنيسة الكاثوليكية في تيمور الشرقية . ومما تجب الإشارة إليه هنا ، أن الغرب يتبنى مبدأ فصل الدين عن السياسة من جهة ، ويهدى - من جهة أخرى - جائزة السلام لقس في جزيرة لا يتعدى سكانها المليون شخص ، في حين يلتزم الصمت حيال المذابح التي تنفذ ضد عشرات الالاف من المسلمين في طاجيكستان والشيستان وغيرها ، بحجة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الاخرى .

على صعيد آخر فقد عرض من قناة (زد - د - اف) التلفزيونية الالمانية فيلم سياسى وثائقي تحت عنوان «ساحة الحرب الانيه» ، وقد كشف الفيلم عن الوجه اللانساني للغرب حيال المذابح التي تعرض لها المسلمون في طاجيكستان على يد النظام الحاكم ، حيث قتل نحو خمسين ألف مسلم بمباركة ومساعدة موسكو وتأييد الغرب ، معتبراً ذلك نتيجة للسياسة الغربية المتبعة حالياً ضد المسلمين في العالم ، كما كشف الفيلم عن النفاق الذي تنتهجه السياسة الاميركية في افغانستان ، واعتبر ايران الاسلامية قوة مزاحمة للاطماع الغربية في المنطقة .

ماهو مستقبل الغرب

فى كتاب صدر مؤخراً باسم (صراع الحضارات) لكتابته الاميركى صاموئيل هانتينغتون ، خاطب فيه زعماء الغرب قائلاً : إن على اوربا واميركا أن تتقدما معاً فى صراع الحضارات ، وإلا فإن هاتين القوتين سيقضى عليهما كل على حدة . ويقول : إن عدد نفوس الغرب آخذ بالتناقص تدريجياً ، كما أن مصداقية الحلول الغربية للمشاكل فى العالم على اعتاب أن تفقد اعتبارها . ولا شك فى أن المقصود من فقدان الاعتبار هذا برأى الكاتب ، لم يكن إلا الحسرة على زوال سلطه الغرب وهيمته على سائر الحضارات . ولا يفوتنا أن نذكر أن كتاب صراع الحضارات يحتوى على معلومات جيدة ، كما أنه يحتوى على تناقضات كثيرة ، فقد بين كاتبه قلقه المتزايد على الوضع الحالى للحضارة الغربية ومستقبلها .

شواهد الانحطاط الغربى تفوق التصورات

إن تسرب بعض الاخبار عن بعض المؤسسات الاجتماعية يؤدى إلى القلق والحيرة لدى الرأى العام ، ومن تلك الاخبار موضوع الزيادة السريعة فى عدد القساوسة الشاذين جنسياً فى الكنيسة الكاثوليكية الالمانية ، الذى اشار إليه عالم الالهيات القس هانز پتر هاينتس فى لقاء له مع اذاعة (زودوست فونك) ، حيث قال : إن ٢٠٪ من القساوسة الكاثوليك يعانون حالياً من الشذوذ . وقد ساعد على هذا الشذوذ منع القساوسة من الزواج .

وقبل عامين كشف قس اميركى لدى حضوره مؤتمراً لدراسة شؤون الكنيسة الكاثوليكية الالمانية عن هذا الموضوع أيضاً . وقد ناقش مجلس الكنائس الكاثوليكية الالمانية فى اجتماعه الاخير موضوع الشذوذ بين القساوسة . وقد وافقت الاكثريه على هذه الظاهرة بشرط ألا تمس مبدأ الامتناع عن الزواج .

على صعيد آخر استحدثت فى ايطاليا وزراة سميت وزراة (التضامن الاجتماعى) ، وكان من جملة مقترحاتها أن تقدم الدولة تسهيلات خاصة (عوناً مالياً وبيوتاً بأسعار مخفضة) للمتزوجين بشكل قانونى ، مما ازعج الحزب الشيوعى المتحالف مع الحكومة ، حيث هدد بالانسحاب واسقاط الحكومة إن لم تشمل التسهيلات المقترنين بدون زواج شرعى وقانونى .

ومن هذه الشواهد والاقام الكثير الكثير مما يعفّ القلم عن كتابته ، ويتنزّه اللسان عن ذكره ، وهي علامات ومؤشرات على سقوط الغرب والحضارة الغربية .

n بريطانيا

التطلع نحو الاسلام

أشارت احصاءات احدى المؤسسات الخيرية المسيحية إلى تزايد عدد المسلمين الانجليز ، المتمسكين بأداء وظائفهم الدينية في بريطانيا ، وكتبت اسبوعية الصاندي تايمز الصادرة في لندن ، استناداً إلى هذه الاحصاءات ، أنه إذا ما استمر انخفاض عدد المسيحيين المتمسكين بالحضور في الكنيسة الانجليزية ، فإننا سنشهد حتى عام «٢٠٠٢» تفوق عدد المسلمين الذين يترددون على المساجد على عدد المسيحيين الذين يترددون على الكنائس .

هذا ومن المقرر أن يتم بناء أكثر من «١٠٠» مسجد جديد في بريطانيا خلال السنوات الثمانية القادمة . وذكرت الاسبوعية ذاتها نقلاً عن المدير التنفيذي لاتحاد الابحاث المسيحية أن الاحصاءات الجارية تكشف عن قدرة الاسلام ، وأن الدين الاسلامي يعتبر من اسرع الاديان نمواً في العالم . و اضافت الصحيفة إلى أن آخر الاحصاءات المتعلقة بعام ١٩٩٥م ، يشير إلى وجود (٨٥٤) الف مسيحي يترددون على الكنائس الانجليزية بانتظام ، في حين يوجد (٥٣٦) الف مسلم ملتزم بالتعاليم الاسلامية في هذا البلد . وشهدت الفترة الزمنية الفاصلة بين عامي ١٩٩٢م و ١٩٩٤م نمواً سنوياً للمسلمين الذين يترددون على المساجد ، بمقدار (٣٢) الف مسلم ، في حين بدأ عدد المسيحيين الذين يترددون على الكنائس بالتناقص بمعدل سنوي مقداره (١٢) الف مسيحي .

إن التطلع لمعرفة الاسلام وسرّ تأثيره الكبير في المجتمعات التي انفتحت عليه ، دفع الاسقف ألن سميث سون أن يعلن أنه سوف يتفرغ لقراءة القرآن الكريم طيلة فترة الصوم المسيحي ، ويتوقف عن قراءة الانجيل الذي اعتاد أن يقرأه في تلك الفترة كل عام .

ويشرف هذا الاسقف على كنيسة تعد من أقدم كنائس بريطانيا ، وهي كنيسة «جارو» في نيوكاسل .

وصرح الاسقف سميث سون أنه يمكن تعلم النقاء والالتزام من الاسلام ، وأن المسيحية ستكون بخير لو أنها نظرت إلى الاديان الاخرى

نظرة جد ، وأضاف قائلاً: إن الغرب بحاجة إلى أن يتعلم من الاسلام .

وذكرت «الصاندي تايمز» أن اسقف منطقة باركينك دعا قادة الكنائس إلى أخذ العضة من جاذبية وسحر الدين الاسلامي ، وقال هذا الاسقف : إن أحد معالم الجاذبية الاسلامية للمستضعفين من الشباب هو السعي لتطبيق العدالة الاجتماعية والعرقية .

واوضحت الصحيفة أن وجوها معروفة بينها السيد مايكل تايسون بطل الملاكمة العالمي ، والسيد كريس يوبنك بطل بريطانيا في الملاكمة ، والمغني السابق المعروف كيت ستيفنز الذي غير اسمه إلى يوسف اسلام ، قد اعتنقوا الاسلام .

مع قراء الثقلين

باب نفتح منه على عوالم قراء مجلة «رسالة الثقلين» بكل ما تزخر به هذه العوالم من آراء ، فنكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلّتهم فكراً وثقافة ومعرفة. وفيما يلي مقاطع منتخبة من بعض رسائلهم الكريمة: «التحرير»

الاستعمار الخبيث بكل اشكاله

إنني لا ادري من أين ابدأ وأين أنتهى ، فقللى ولسانى عاجزان عن التعبير عما فى الضمير ، فكللى فرح واعتزاز بما تقومونه وتبدلونه فى سبيل نشر دين الله ، وخدمة الاسلام والمسلمين ومواجهة الاستعمار الخبيث بكل اشكاله وانواعه ، واهتمامكم البالغ بإحياء مذهب أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، والذين دكنا عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ووصفهم بأنهم سفينة النجاة ، فتوجتم مجمعكم الاسلامى الرسمى باسمهم فازداد شرفاً على شرف ، ورفعتم ذكرهم بعد ما تعرض لاشد الحملات والنكبات التى قد عرفها التاريخ ، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . فالله اسأل أن يسدد على طريق الخير خطاكم ، وأن يكمل جهودكم بالنجاح . والذي ارجوه واتمناه منكم هو دوام المراسلة والتواصل للاستفادة من اصداراتكم ونشاطاتكم ، ولتعميق اواصر المحبة والاخوة ؛ لنكون كما قال الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله): « كالجسد الواحد » .

على عبدالله على حسين

اليمن

* * *

1 لا تعدل باهل البيت خلقاً

إخوتى فى الله تعالى ، أهدى اليكم تحية الحب والاحترام .

وبعد ، أفيدكم علماً أن هديتكم الثمينه (مجلة رسالة الثقلين) قد وصلتنا وفرحنا بها كثيراً .

إنها مجلة شاملة لموضوعات مفيدة ونافعة وهامة جداً . اسأل الله أن يجازيكم خير الجزاء على هذه الخدمة الجليلة ، ولكم منا عظيم الشكر لارسالها لنا ، ولاهتمامكم البالغ وبذل جهودكم لاجراء هذه المجلة الغراء الفريدة . كما نرجو أن ترسلوها لنا باستمرار .

جزاكم الله عن الاسلام وعن رسوله وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم جميعاً ، الذين حبهم سعادة وبغضهم خسران ، خير الجزاء .
وكما قال استاذنا المرحوم على بدر فای في هذه الايات :

فلا تعدل بأهل البيت خلقاً فأهل البيت هم اهل السيادة

فبغضهم من الانسان خسر وحبهم لدى البعث سعادة

هذا ونتمنى لكم دوام التوفيق والنجاح في جميع مهامكم الاسلامية ، ودمتم سنداً للمسلمين والسلام عليكم .

فؤدى الامين اندونغ

مدير مدرسة الفلاح الاسلامية

السنغال

* * *

الكثير من الاخطاء

إنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن أقدم اليكم بالشكر والامتنان عما تسدونه للاسلام والمسلمين ، من خدمات جلييلة عبر مجلتكم الميمونة رسالة الثقلين ، المجلة الثقافية الفكرية الاسلامية الجامعة ، التي من خلالها تعرفنا على الكثير من الاخطاء المرتكبة من قبل كثير من المسلمين ، الذين يُجلّون صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكثر من إجلالهم لأهل بيته الطاهرين ، علماً أن بعض الصحابة تنازعوا في الزعامة والرئاسة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقبل دفنه ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل غيروا وصيته ، وقتلوا ولديه الحسن والحسين ، بالإضافة إلى أننا كنا نخشى أن نتحدث فيما جرى من احداث ، عن الصحابة من جهة ، وأهل البيت (عليهم السلام) من جهة أخرى ، وكأننا لا نريد أن نفهم شيئاً ، لكن بفضل هذه المجلة استطعنا أن نتجاوز كل هذه الاخطاء ختاماً نكرر لاسرة مجلة رسالة الثقلين شكرنا الجزيل ، لما تفضلتم به من ارسال نسخ مجلتكم البناءة إلينا ، دون وضع التكاليف وبعد المسافة بيننا وبينكم عائقاً أمام ذلك ، فجزاكم الله عنا خيراً .

الشيخ على ابو بكر ميانجو

اهل البيت الاسلامي

اوغندا

* * *

المعنوية والفكرية

الاخ السيد رئيس تحرير مجلة رسالة الثقلين المحترم .

أتشرف وأسعد بأن احبيكم والاخوة العاملين معكم ، متمنياً لكم التوفيق والسداد في مهمتكم .

لقد بادرت بالكتابة إليكم لاعرض لكم احتياجاتنا المعنوية والفكرية ; وذلك أننا بهذه الدولة المسلمة (بوركينافاسو) ، التي يعتبر اغلب سكانها مسلمين ، حيث بلغت نسبتهم فيها ٨٤٪ من مجموع السكان ولله الحمد ، نحتاج إلى الكتب والمجلات الاسلامية بجميع انواعها ، نرجو تحقيق هذا الطلب . وإن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

يوسف زايري

واغادوغو - بوركينافاسو

* * *

والمعرفة

الحمد لله القائل : (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم) .

وبعد أحبتي في الله ، لقد سمعنا عنكم وعرفناكم عن طريق الاصدارات والكتب الصادرة عنكم ، فأحببنا أنا ومجموعة من زملائي الطلاب الكتابة إلى مؤسستكم ، ليتسنى لنا الحصول على الكتب والمجلات التي تساعدنا في تحصيل العلم والمعرفة والارشاد .

من جانب آخر نحن نقوم بإنشاء مكتبة عامة يمكن من خلالها للاخوة المؤمنين والاخوات المؤمنات استعارة الكتب المختلفة والافادة منها ، فنرجو أن تساعدونا في هذا المجال .

جابر حسين جابر

اليمن / صعدة

* * *

ومنفعة كبيرة

تشرفنا بالاطلاع على مجلتكم الموقرة التي أعجبتنا موضوعاتها القيمة ، وكذلك الاقلام الخيرة التي ساهمت فيها ، ووجدنا فيها خيراً ومنفعة للمغتربين خصوصاً من المسلمين ، وغيرهم من الذين يريدون الاطلاع وتوضيح ونشر مبادئ العقيدة الاسلامية .

لذلك نرجو أن تسجلونا في قائمة الذين ترسلون لهم مجلتكم الموقرة ، وأن تواصلوا إرسال منشوراتكم لنا بصفة مستمرة ، وحبذا لو ترسلون لنا بعض الاعداد السابقة لمجلكم ونحن لكم شاكرون .

وإن شاء الله سيكون لمجلكم وما يصلنا من الكتب والمنشورات الاسلامية ، الاثر والوقع الجيد على نشاط مكتبتنا المتواضعة ، التي نسعى ونرغب أن تكون في خدمة طلابنا وفي خدمة المسلمين ، وكذلك كل الراغبين في الاطلاع على حقيقة الدين الحنيف .

حفظكم الله وسددنا وإياكم في خدمة دينه الحنيف .

حمد عمر

مدير مدرسة الدعوة الاسلامية

نيجيريا

* * *

شاملة وذات اهداف اسلامية مهمة

لقد حصلت على هديتكم وسررت بها كثيراً ، فقد وصلني العددان الثالث عشر والرابع عشر من مجلة رسالة الثقلين ، وكذلك مجموعة من الكتب القيمة . وأنا أطمع في أن ترسلوا لي بعض الكتب الفقهية على مذهب اهل البيت (عليهم السلام) ، وكتباً حول السيرة النبوية وسيرة اهل البيت (عليهم السلام) ، وكتباً حول المرأة في الاسلام ، وأن ترسلوا لي الاعداد السابقة من رسالة الثقلين ، وكل ما يصدر عنكم لتكون عوناً لي في الدعوة وتعليم الطلاب .

إن مجلتكم هذه هي مجلة ذات علوم واهداف اسلامية ، وهي شاملة من ناحية الثقافة والفكر الاسلامي ، وهي تكشف الكثير من الحقائق والمعارف عن اهل البيت (عليهم السلام) وتوجيهاتهم ، وما كانوا يهتمون به من اجل ارتقاء الدين لتحقيق رضا الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) .

لقد طالعتها فوجدتها مغنية عن غيرها من المجلات ، فهي رسالة حقيقية في سبيل نشر الاسلام ، وهي على كل حال مرمي للباحث المحقق الجاد لمعرفة حال الاسلام والمسلمين في الفترات الماضية وفي وقتنا الحاضر .

آدم تيجان كوني

مالي

* * *

1 امنيته أن اساهم في مجلتكم

اتقدم لكم بجزيل الشكر والتقدير لما تقومون به من بذل جهد كبير ، لاجل تبليغ رسالة الله إلى كل من ينتمي إلى الشريعة الاسلامية السمحة ؛ وذلك لتنمية وعي الانسان والرقى به إلى المستويات الفكرية العقائدية الرفيعة .

اعزائي في الله ، أيها الاخوة الاحباء ، في الحقيقة لا أريد أن أبالغ أن مجلة رسالة الثقلين قد اعجبتني عندما اطلعني عليها احد اصدقائي ، فقرأت بعض مواضيعها وخاصة الادبية ، فوجدتها رائعة وممتازة بما تحتويه من مواضيع ، وكذلك من حيث الطباعة والغلاف .

أعزائي ، أود أن أتشرف بالحصول على موافقتكم بقبولي صديقاً لكم ، حيث أمنيته بأن أساهم بهذه المجلة بكتابة القصة القصيرة إذا أمكن ذلك .

كما أن لي املاً أن ترسلوا لي مجلتكم ، فأنا لاجئ عراقي وحاجتي ماسة للاطلاع والتعرف على الثقافة الاسلامية ، مما دفعني لكتابة هذه الرسالة لكم لتمدوا لي يد العون والمساعدة لبناء شخصيتي إسلامياً .

اخوكم حيدر مصطفى القطراني

للاجئين العراقيين .

* * *

إصداراتكم

نحييكم تحية الاسلام المعطرة بكل خير وبركة .

وبعد ، تشرف جمعية الهدى للشباب الاسلامي بأن تقدم إلى حضراتكم طلبها ، بمد يد العون والمساعدة عن طريق ارسال الكتب الاسلامية والمصاحف ؛ لتوزيعها على شباب جمعية الهدى بشكل خاص ، والشبان المسلمين المتطلعين للاسلام لتتور عقولهم ، وترفع من ايمانهم . لذا نرجو منكم تلبية طلبنا خصوصاً ونحن بحاجة ماسة في الوقت الحاضر للكتب والاصدارات الاسلامية المتنوعة . لكم منا جزيل الشكر وجزاكم الله عنا خير الجزاء

رئيس جمعية الهدى للشباب الاسلامي

جاسكا - غانا

* * *

1 مجلتكم أثارت إعجابي

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « إني تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتُم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً ، كتاب الله وعترتي اهل بيتي » صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

قيل إنه لا يحمل همّ هذه الامة - وهو ثقل - إلا من كان همه الله ، وغايته طلب وجهه ، فهانت عليه الشدائد ، واسترخص الموت .

إخواني مسؤولي رسالة الثقلين حفظهم الله ورعاهم ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : أنا أخوكم في الله محمد قاسم عباس من السويد ، أود أن أنوه بسفركم الجليل (رسالة الثقلين) الغراء ، التي ما إن رأيتها أول مرة عند أحد الاخوة حتى أثارت إعجابي ، مما حدا بي إلى أخذ عنوانكم ومراسلتكم ، عسى أن أتمكن من الاشتراك بمجلتكم الغراء . لذا أرجو منكم أيها الاخوة ارسال قسيمة الاشتراك برسالة الثقلين ، وإعلامي عن كيفية دفع قيمة بدل الاشتراك إليكم . كذلك أود لو ترسلون إلى بعض اعداد رسالة الثقلين الصادرة سابقاً ؛ لاتمكن من التعرف عليها أكثر .

محمد قاسم عباس

السويد

* * *

علوم اهل البيت (عليهم السلام) .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . إنها لنفحة إلهية ، أن اشرقت شمس الهداية مع فتح المدرسة المباركة الموسومة باسم مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) ، وظهور الحق بتخصيص معرض للكتب الشيعية والمختصة بذكر فضائل اهل البيت والتعريف بهم عليهم سلام الله ، في باماكو عاصمة مالي غرب إفريقيا ، وإنها لفرصة نلتمس منكم مشاركة فعالة ومساهمة مباركة بارسال اصداراتكم ، وكذلك المصادر التي تعنى بفكر اهل البيت (عليهم السلام) من تفسير وحديث وفقه واقتصاد وعقائد وفلسفة وغيرها ، بالعربية والفرنسية إن وجدت ، لاثبات وجودكم في الساحة من خلال مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) المباركة ، ولكي تكون مساهماتكم جسراً نورانياً بين البلدين ووسيلة لنشر علوم اهل البيت (عليهم السلام) ، الذين هم سر وجودنا . فداهم العالمون . وقد روى عنهم : « من وجد مورداً عذباً يرتوى منه فلم يغتنمه ، يوشك أن يظلماً ويطلبه فلا يجده » (هداية العلم في تنظيم غرر الحكم) .

مدرسة اهل البيت (عليهم السلام)

عبد المجيد حكيم الهى

باماكو - مالي

* * *

العلم والدين

الاخوة في مجلة رسالة الثقلين .

يسرنا ويسعدنا ، نحن مؤسسى معهد النور للتعليم والتهذيب الاسلامى في بلدة كوجيكرو بجمهورية ساحل العاج ، أن نرسل لكم خالص الشكر والتقدير لجهودكم الجبارة في خدمة العلم والدين ، ونشر تعاليم الاسلام الحنيف . ونحيطكم علماً بأن هذه المؤسسة التعليمية قد تم تأسيسها منذ عام ١٩٨٥ م ، ويفد إليها الكثير من أبناء المسلمين ليتعلموا امور دينهم ، بجانب تعلم اللغة العربية ، ولكن تنقصها بعض المصادر من كتب ومجلات ، فأنمل منكم امدادنا بالكتب الدينية والمجلات للاستفادة منها ؛ حتى تتحقق الفائدة المرجوة من تلك المعاهد والمدارس ، وتتسع رقعة الاسلام والمسلمين في شتى بقاع القارة الافريقية .

مدير معهد النور للتعليم والتهذيب الاسلامى

ساحل العاج .

* * *

اهل البيت(عليهم السلام)

اخوة الايمان فى مجله رساله الثقليين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، لقد وقع بصرى على عنوانكم أثناء مطالعتى لاحد الكتب ، ولقد كنت فى حينها اتساءل وابحث عن مؤسسه اسلاميه لغرض المراسله ، وطلب تزويدى بكتب ومجلات تهتم بنشر افكار وعقائد مذهب اهل البيت(عليهم السلام) ، وما يتعلق بأطروحه السيد الامام الخمينى العظيم(رحمه الله) ، وافكار السيد القائد آية الله الخامنئى أدام الله ظله . ونحن نعيش فى كندا ، حيث إننا بعيدون عن الاصدارات والكتب الاسلاميه . أرجو منكم أن تزودونا بما تستطيعون لنشر فكر اهل البيت(عليهم السلام) واتباعهم الحقيقين من المعاصرين .

أدامكم الله عزوجل ، وجعلنا واياكم من المتمسكين بنهج اهل البيت ، والسائرين على خطاهم(عليهم السلام) .

احمد محمد

مونتريال - كندا



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol.6, No.21 - May. - August 1997